

# الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : طه حسين

## فهرس

١٧٧	..... الدستور الايتالى الجديد	..... محمود عزمى
١٨٤	..... التعاون الدولى فى الميدان الاقتصادى	..... محمود الدرويش
١٩٢	..... اتحاد الاراضى المنخفضة	..... محمد رفعت
٢٠٠	..... المسيو سومى (قصة)	..... كلود أفلين
٢١٢	..... الصبغة المذهبية للصراع العالمى الحاضر	..... محمد عبد الله عنان
٢٢٠	..... بين الدلتا والصعيد	..... سليمان حزين
٢٢٩	..... وداع إيطاليا ( قصيدة )	..... عبد الرحمن صدق
٢٣٢	..... حياة غاندى وموته	..... سلامه موسى
٢٤٠	..... ظافر الحداد	..... شوقى ضيف
٢٤٧	..... غاندى البطل الروحى	..... فؤاد طرزى
٢٥٣	..... النقد الجديد فى رأى سبنجارن	..... محمد رشاد رشدى

من هنا وهناك ( ح. ، السيد أبو النصر الحسينى ، أحمد محمد عيش )  
 شهرية العلم — شهرية السياسة الدولية — شهرية الفلسفة  
 شهرية المسرح — شهرية السينما — من كتب الشرق والغرب  
 من وراء البحار — ظهر حديثا — فى مجلات الشرق



تصدرها دار الكاتب المصرى  
 شركة مساهمة مصرية  
 القاهرة

أنطون تشيكوف

# قصة رجل مجهول

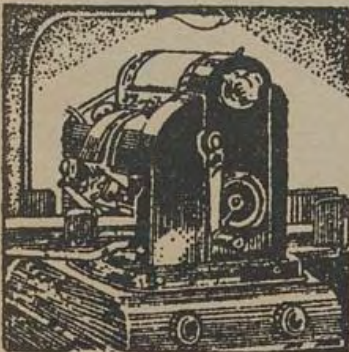
تعريب محمود الشبيطي

٤ + ١٢٢ صفحة ، الثمن ١٠ قروش

البريد ١٢ مليماً



ظهر حديثاً



## جستيلتن

آلة نسخ الصور  
الأولى في العالم

صيانة مجانية لمدة ٥ سنوات

الموزعون: الكاتب المصري ش.م.م. القاهرة. ٥٢ شارع قصر النيل، ت ٥٤٢٧٣  
الاسكندرية: ٨ شارع طلعت حرب باشا، ت ٢٣٨٩٩ - بورسعيد: شارع محمد محمود باشا، ت ٤٦٨



# ناتج قضائة الأندلس

ألفه

الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن  
النباهي المالقي الأندلسي

وسمّاه

كتاب المراقبة العليا  
فيمن يستحق القضاء والفتيا

نشر

إ. ليثي پروفنسال

أستاذ اللغة والحضارة العربية بالسربون  
مدير معهد الدراسات الاسلامية بجامعة باريس

٢٤ + ٢٤٨ صفحة ، الثمن ٧٥ قرشاً

البريد المسجل ٦٠ مليا  
وللخارج ٧٢ مليا



ظهر حديثاً



كتاب

# البخلاء

للجاحظ

حقق نصه وعلق عليه

طه الحجابري

مدرس الادب العربي بجامعة فاروق الاول

٥١ + ٤٦٨ صفحة ، الثمن ١٠٠ قرشاً

البريد المسجل ٩٦ مليا  
وللتخارج ١٠٨ مليا



ظهر حديثاً



عبد الغفران البشري

# قطوف

مقدمة لـ مسين

هي الأدب كل الأدب ، وهي الفن كل الفن ،  
وهي الكلام الذي يجمع إلى رصانة الأدب  
القديم وجزالته خصب الأدب الحديث وثروته

طبعة في جزأين ، ثمن الجزء ٢٠ قرشاً

البريد للجزأين ٣٨ ملياً



ظهر حديثاً

محمد الصادق حسين

# البيت السبكي

بيت علم في دولتي الممالك

« وأنا اليوم مجتهد الدنيا على الاطلاق  
لا يقدر أحد يرد علي هذه الكلمة . »  
« الفلاح حر لا يد لآدمي عليه . »  
تاج الدين السبكي

٩٦ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشاً

البريد ٢٠ ملياً



ظهر حديثاً



سلامه موسى

# تريه سلامه موسى

العالم طيب . . . إلى أبارك على الحياة .  
رامبو

تاريخ حياة المؤلف باعتبار أن الحياة تريه  
وتاريخ مصر في تطورها وانتقالها من  
القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين

٢٩٢ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشاً

البريد ٢٠ مليا



ظهر حديثاً



حَسَنٌ عِشْمَانٌ

# سافونارولا

الراهب المثار

SAVONAROLA



٣٦٠ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشاً

البريد ٣٤ مليا



ظهر حديثاً



هنري برجسون

# الضحك

بحث في دلالة المضحك

تعريب سامي الدروبي و عبد الله عبد الدايم

كتاب وضعه الفيلسوف الفرنسي الكبير  
هنري برجسون يدرس فيه الضحك  
كظاهرة نفسية والمضحك وأنواعه المتعددة

١٣٦ صفحة ، الثمن ١٥ قرشاً

البريد ١٣ ملياً



ظهر حديثاً



# الكاتب المصري

## مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : طه حسين  
سكرتير التحرير : حسن محمود

تصدر مجلة الكاتب المصري في أول كل شهر عن دار الكاتب المصري ، شركة مساهمة مصرية ، وتطبع بمطبعتها .

### الاشتراك

١٠٠ قرش في السنة لمصر والسودان ،  
١٢٠ قرشاً في السنة للخارج أو ما يعادلها .  
يدفع الاشتراك مقدماً باسم دار الكاتب  
المصري . لا تقبل الاشتراكات لأقل من  
سنة كاملة .

تتم العدد بمصر : ١٠ قروش

مجلة الكاتب المصري تعنى بكل  
ما يرد إليها من المقالات والرسائل  
ولكنها لا تلزم نشرها ولا ردها

### إدارة الكاتب المصري

٥ شارع قنطرة الدكة بالقاهرة

تليفون التحرير : ٤٩٢٥٤

الإدارة : ٤٥٠٣٤-٤٧٨١٥-٤٢٧٣٠



AL KATEB EL MASRI

Monthly literary magazine published  
by LE SCRIBE EGYPTIEN S.A.E.  
5 Kantaret el Dekka Street  
Cairo ( Egypt )

Editor-in-chief : Taha Hussein

جميع الحقوق محفوظة لدار الكاتب المصري



# الكتاب المصري



مارس ١٩٤٨

ربيع الثاني ١٣٦٧

مجلد ٨ - عدد ٣٠

السنة الثالثة

## الدستور الايتالى الجديد

منذ حررت روما فى أواخر سنة ١٩٤٤ تهيأت الأمة الايتالية لأخذ أسباب التنظيم الدستورى الذى يستدعيه انقضاء العهد الفاشى ؛ فكان ما كان من أمر قيام حكومة مؤقتة ، وانسحاب العاهل من تولى شؤون الملك ، وتنصيب ولى العهد وصيا ثم ملكا ، واستفتاء الشعب فى شكل الدولة فتقريره الجمهورية بدل الملكية ، وانتخاب جمعية تأسيسية لوضع الدستور . وقد استغرق ذلك كله ثلاث سنوات ؛ إذ صدر هذا الدستور الايتالى الجديد فى السابع والعشرين من شهر ديسمبر لسنة ١٩٤٧ ، ولم يبق لاستكمال أسباب ذلك التنظيم الدستورى غير إجراء الانتخابات البرلمانية الذى تحدد الثامن عشر من شهر أبريل المقبل موعداً له .

ولقد تميز انتقال إيطاليا من الملكية إلى الجمهورية بأنه لم يستند إلى كثرة جارفة أو متفوقة من أصوات المشتركين فى الاستفتاء ، فقد تجاوز عدد الجمهوريين عدد الملكيين بنسبة العشر ليس غير ، وكذلك تبين خلاله تعادل بين قوات المحافظين وقوات الحريين وقوات الشيوعيين ، فكان من شأن ذلك التميز وهذا التبين أن جاء الدستور الايتالى الجديد وسطا لا هو إلى أقصى اليمين ولا هو إلى أقصى اليسار ، بل نتيجة للتفاعل والتصالح بين التيارين جميعا .

ليس فيه نص مشلا على أن للدولة الايتالية دينا رسميا ، وليس فيه نص على إطلاق حرية الاعتقاد بصريح اللفظ والعبارة ، وإن كفلت فيه حرمة



حقوق الانسان . ولكن فيه نصوباً على أن معاهدة لاتران هى التى تحدد العلاقات بين إيطاليا ودولة الفاتيكان وبين الايتاليين والكنيسة الكاثوليكية ، وعلى أن حرية العبادة مكفولة ، وأن إقامة الشعائر الدينية فى عموم مباحة ، وأن العلاقات مع سائر الأديان والطوائف تحددها اتفاقات خاصة .

وليس فيه نص صريح كما هو وارد فى الدستور السوفيتى أو الدستور البلغارى على محو الفروق وتوجيه النشاط الفردى ، وليس فيه إغفال لهذين الاعتبارين أصلاً ، بل إن فيه تقريراً لحق المواطنين فى العمل وتشجيعاً للأوضاع التى تعين على توفير هذا العمل ، وسعيًا فى سبيل التغلب على العقبات الاقتصادية والاجتماعية « التى تحد فى الواقع » من حرية المواطنين ومساواتهم وتعوق استكمال الشخصية البشرية وتحول بين العاملين والمساهمة الفعالة فى تنظيم البلاد السياسى والاقتصادى والاجتماعى .

وليس فيه نص على إلغاء الملكية الخاصة ، لكن فيه نصاً على أن « الملكية عامة وخاصة » لا يجوز للاستثمار الخاص أن يتعارض مع « المنفعة الاجتماعية » أو أن يضار « الأمن العام والحرية والكرامة البشرية » ، كما ينبغى أن يحدد القانون أحكام « الرقابة اللازمة لتوجيه النشاط الاقتصادى العام ، والخاص » لأغراض اجتماعية .

والدستور الايتالى الجديد واقع فى مئة وتسع وثلاثين مادة موزعة على ديباجة « للمبادئ الأساسية » وكتابين خصص أولهما « لحقوق المواطنين ، وواجباتهم » وخصص ثانيهما « لكيان الجمهورية » ، تتلوها ثمانية عشر بنداً « للأحكام الانتقالية » . وقد أعلنت المادة الأولى من مواده أن « إيطاليا جمهورية ديمقراطية تقوم على العمل ، والسلطان فيها للشعب يتولاه بالطرق وفى الحدود التى يقررها الدستور » ، كما أعلنت المواد التالية فى الديباجة أن الجمهورية تكفل حرمة حقوق الانسان منفرداً أو داخلاً فى الهيئات الاجتماعية التى تبدو فيها شخصيته كما تقتضى تأدية واجباته نحو التضامن السياسى والاقتصادى والاجتماعى ؛ وتقرر المساواة بين المواطنين فى الكرامة الاجتماعية ولدى القانون دون تمييز بسبب النوع أو الجنس أو اللغة أو الآراء السياسية أو الأوضاع الشخصية والاجتماعية ؛ وتعترف لكل مواطن بحق بذل نشاط أو تولى منصب يتفق مع مقدراته وبمطلق اختياره ويستطيع أن



يعاون به على التقدم المادى والروحى للجماعة ؛ وتحمى الأقليات اللغوية ؛ وتنشر الثقافة والبحوث العلمية ، وترعى التراث الفنى والتاريخى للأمة ؛ وتنزل على أصول الفقه الدولى فى معاملة الأجانب فتلجى عندها من يحرمون فى بلادهم التمتع بالحريات الديموقراطية التى يكفلها الدستور الايتالى ، وتحرم على نفسها تسليمهم من أجل جرائم سياسية ؛ وكذلك تطلق الحرب وسيلة من وسائل حل المنازعات الدولية ؛ وتقبل الحد من السيادة ، بالتساوى مع الدول الأخرى ، ضرورة من ضرورات المحافظة على السلام ، وتشجع المنظمات الدولية التى تهدف لهذه الأغراض .

ويجىء بعد الديباجة الكتاب الأول من الدستور وهو الخاص بحقوق المواطنين وواجباتهم ، وقد تميز هو الآخر بما يتميز به التفكير الايتالى من التنظيم والترتيب ؛ فقسم إلى أربعة أبواب : للعلاقات المدنية ، والعلاقات الخلقية الاجتماعية ، والعلاقات الاقتصادية ، والعلاقات السياسية .

وفى باب العلاقات المدنية نص على الحرية الشخصية التى لا يصح الحد منها إلا بسند مسبب صادر من السلطات القضائية ووفق أحكام القانون . على أنه يجوز فى حالات الاستثناء والاستعجال أن تلجأ سلطة الأمن العام الى إجراءات مؤقتة يجب عليها إبلاغها للسلطات القضائية فى ظرف أربع وعشرين ساعة ؛ فإذا لم تجزها هذه السلطات القضائية فى ظرف أربع وعشرين ساعة أخرى فأنها تصبح ملغاة من تلقاء نفسها . وفى هذا الباب كذلك نصوص على أنواع الحريات المعروفة والحرمات المقررة لحرية الرأى والاعراب والصحافة والاجتماع وحرمة المنازل والمراسلات ، وهى نصوص مطابقة فى عمومها لما يرد عنها فى الدساتير السمحة المعروفة ، لكنها تتميز ببعض الطرافة فى بعض جوانبها ؛ فقد ورد فيها مثلاً أن « القانون يقرر الحد الأقصى للحبس الاحتياطى » ؛ وأن للسلطات أن تمنع الاجتماعات العامة « لأسباب أمن مثبتة صحتها قبل المنع » ؛ وأن مصادرة الصحف غير جائزة إلا فى حالة الضرورة القصوى والاستعجال ، فيبلغ أمرها للقضاء فوراً فيصدر فيها حكمه فى اليوم ذاته ؛ وأن القانون ينظم طريقة معرفة وسائل تمويل الصحافة والمطبوعات الدورية ؛ وأنه لا يجوز أن يحرم شخص لأسباب سياسية أهليته أو جنسيته أو اسمه ؛ وأن عقوبة الاعدام غير جائزة إلا فى الحالات التى تنص عليها قوانين



الحرب العسكرية ؛ وأن سائر العقوبات لا يجوز أن تكون فى طبيعتها مخالفة لروح البشرية بل يجب أن تهدف إلى تقويم خلق المحكوم عليه .

وفى باب العلاقات الخلقية الاجتماعية نص على أن الجمهورية تعترف بحقوق الأسرة على اعتبارها « شركة طبيعية » قائمة على أساس الزواج ، بل يذهب إلى تقرير « وحدة الأسرة » بالنسبة لمن يحى من الأطفال خارج الزواج : فيقرر المساواة بين الأطفال الشرعيين وغير الشرعيين . وكذلك تخص بعنايتها الأسر « العديدة » وتحمى الأمومة والطفولة والشباب ، وترعى الصحة على أنها « حق طبيعى للفرد ومصلحة للجماعة » ؛ فتكفل العلاج المجانى لغير القادرين . وينص فى هذا الباب أيضاً على أن « الفن والعلم حران وأن تعليمهما حر كذلك » ، كما نص على استقلال الجامعة ومعاهد التعليم العالى ، وعلى إلزامية التعليم ومجانيته لمدة ثمانى سنوات على الأقل ؛ وأولوية المتفوقين فى التمتع بالتعليم الأرق وإن لم تكن لديهم وسائل الانفاق .

أما باب العلاقات الاقتصادية فانه يبدأ باعلان حماية الجمهورية العمل بجميع أنواعه وتطبيقاته ، وبتقرير حق العامل فى جزاء متناسب مع كمية عمله ونوعه وكاف على أى حال لحياته هو وأسرته حياة حرة كريمة ، وحقه فى الراحة يوماً فى كل أسبوع وأيام الأعياد كلها بحيث تدفع له أجورها ، ولا يحق له النزول عن هذه الأجور ولا عن تلك الراحة ، وحق المرأة العاملة فى المساواة بالرجل العامل وفى رعاية خاصة لها ولولدها أيام الحمل والرضاعة ؛ وحق غير القادر على العمل فى أن تتولاه الدولة بالرعاية ؛ وحق المريض والمصاب والمتعطل والشيخ فى التأمين الاجتماعى ؛ وحق العمال جميعاً فى تأليف النقابات غير خاضعين إلا لشرط التسجيل الذى يتم بمجرد إيداع قانون النقابة ولائحتها الداخلية المستندة إلى القاعدة الديمقراطية .

وكذلك ينص فى باب العلاقات الاقتصادية على أن ينظم القانون التزامات يفرضها على الملكية العقارية الخاصة من حيث تعيين حدها الأقصى وإقامة الوحدات الانتاجية وتحويل الضياع الكبيرة وتشجيع الملكيات الصغيرة والمتوسطة ؛ كما ينظم وسائل إنماء الحركة التعاونية التى تعرف لها الجمهورية وظيفتها الاجتماعية ؛ ويضع قواعد مساهمة العمال فى إدارة المنشآت .

أما باب العلاقات السياسية فقد نص فيه على أن مباشرة عملية الانتخاب



« واجب وطنى » ، وأنها فرض على كل راشد من الرجال والنساء حتى الجنود والعسكريين ، وأن للمواطنين الحق المطلق فى الانضمام إلى الأحزاب السياسية ؛ كما أن القيام بالخدمة العسكرية فرض مقدس على كل مواطن ؛ وكذلك تأدية التكاليف المالية عن طريق الضرائب التصاعدية .

وفى الكتاب الثانى من الدستور الايتالى عرض للنظام البرلمانى الجديد ، وهو لا يتعدد كثيراً عما كان يجرى عليه العمل فى إيطاليا ذاتها قبل الانقلاب الفاشى . فالبرلمان مؤلف من مجلسين : مجلس للنواب ومجلس للشيوخ ، وتجربى لاختيار أعضائهما انتخابات عامة مباشرة وسريّة ، وتكون سن الناخب للنواب إحدى وعشرين سنة على الأقل ، وتكون بالنسبة لانتخاب الشيوخ خمساً وعشرين سنة على الأقل ، ويكون الحد الأدنى لسن المرشح لعضوية مجلس النواب خمساً وعشرين سنة وللمجلس الشيوخ أربعين . ونسبة التمثيل واحداً لثلاثين ألفاً للنواب وواحداً لثلاثى ألف للشيوخ ، ومدة التمثيل للنواب خمس سنوات وللشيوخ ست . على أنه يجوز أن يكون إلى جانب الشيوخ المنتخبين شيوخ معينون ولمدى الحياة هم بحكم القانون رؤساء الجمهورية السابقون وخمسة من المواطنين الذين « يفخر الوطن بنبوغهم فى ميادين الاجتماع والعلم والفن والأدب . »

ويستند التمثيل فى الدستور الايتالى الجديد إلى النظرية التقليدية التى تقضى بأن يكون النائب أو الشيخ ممثلاً للأمة كلها ، فلا يصح محاسبة ناخبه إياه مدة تمثيله ، فلا يذهب إلى حد الدستور السوفيتى أو الدستور البلغارى أو اليوجوسلافى الذى يجعل البرلمانى ممثلاً لناخبه بالذات فيمكنهم من محاسبته ومن « خلعه » أثناء الدورة التشريعية إذا شاءوا .

أما حق اقتراح التشريعات فهو محل طرافة من الطرافات التى تميز بها الدستور الايتالى الجديد . فهو للحكومة ولكل عضو من أعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، ولكل هيئة من الهيئات التى يمنحها هذا الحق قانون دستورى ، وكذلك للشعب مباشرة عن طريق « عريضة » يتقدم بها خمسون ألف ناخب على الأقل .

على أن الدستور الجديد يأخذ بنظام الاستفتاء ، وهو الرجوع إلى الناخبين ليقولوا قولهم فى التشريعات ، وذلك بناء على طلب مقدم من خمسين



ألف ناخب كذلك أو من خمسة مجالس إقليمية . وإيطاليا مقسمة إلى تسعة عشر إقليما ، وذلك فيما عدا التشريعات الخاصة بالضرائب والميزانية والعفو ، والمعاهدات الدولية . ويساهم في إجراء الاستفتاء من له حق الاشتراك في الانتخاب لمجلس النواب .

ويأخذ الدستور الايتالى بنظرية « التفويض التشريعى » على أن يمنح للحكومة وحدها والحالات معينة بالذات ولوقت محدد . وكذلك يأخذ بنظام إصدار المراسيم بقوانين في غيبة البرلمان ، لكن بشرط أن يدعى البرلمان للانعقاد لنظرها بعد خمسة أيام على الأكثر من تاريخ إصدارها وبحيث تصبح باطلة إذا لم يقرها البرلمان في ظرف ستين يوما من تاريخ عرضها عليه .

وخاصية من خاصيات الدستور الايتالى الجديد أنه يبيح « تعديل الأراضى الايتالية » بقانون ، على حين تنص كثرة الدساتير الأخرى على عدم جواز « النزول عن شبر من أراضى الدولة » . ولعل هذه الخاصية ترجع إلى خصوص الوضع الايتالى بعد الخروج من الحرب وتعديل التخوم المفروض بمعاهدة الصلح من ناحية فرنسا ومن ناحية يوجوسلافيا ووجوب إبرام هذه المعاهدة عن طريق التشريع الايتالى .

ومن طرائف الدستور الجديد أيضا ألا يحل البرلمان إلا بعد أخذ رأى رئيسى مجلسيه ، وألا يستطاع حله في الستة الأشهر الباقية على انتهاء مدته التشريعية .

أما مناصب الدولة الايتالية الجديدة ففي مقدمتها منصب « رئيس الجمهورية » ، ويحى توليه عن طريق الانتخاب في جلسة مشتركة تجمع بين أعضاء مجلسى النواب والشيوخ وسبعة وخمسين مندوبا عن مجالس الأقاليم يبعث كل واحد منها بثلاثة تحقيقا لتمثيل اتجاهات الأقليات التى لم تقز بالتمثيل البرلمانى عن طريق الانتخابات العامة . ويشترط لصحة الانتخاب أن يتوافر فيه ثلثا الأصوات ، فاذا لم يتوافر هذا العدد أعيد الانتخاب مرة أخرى ، فان لم تتوافر كثرة الثلثين أعيد للمرة الثالثة واكتفى فيها بالكثرة المطلقة وهى كثرة ما بعد النصف .

والحد الأدنى للسن الذى يجب أن يتوافر في المرشح لرياسة الجمهورية هو الخمسون . ومدة انتخاب الرئيس سبع سنوات ، ويعمل محله في حالة الاستقالة



والامتناع رئيس مجلس الشيوخ . ولا يسأل رئيس الجمهورية إلا فى حالة الخيانة العظمى وفى حالة الاعتداء على الدستور ، ويحاكم فى الحالتين أمام البرلمان بمجلسيه مجتمعين ويصدر الحكم بالكثرة المطلقة .

أما رئيس الوزارة فينتخبه رئيس الجمهورية ، وهو يختار زملاءه الوزراء الذين يعينهم رئيس الجمهورية كذلك . لكن الوزارة لا تتولى الحكم إلا بعد أن تنال ثقة المجلسين ، وتظل مسئولة أمامهما .

وإلى جانب هيئة الوزارة يقوم مجلس أعلى للاقتصاد والعمل ، وهو مجلس استشارى لمجلسى البرلمان والحكومة ، وكذلك مجلس دولة وديوان محاسبة ، وينص الدستور على استقلال هذه المجالس جميعا .

وينص الدستور كذلك على وجود مجلس قضاء أعلى يرأسه رئيس الجمهورية بالذات ويختص بترقية القضاة وتنقلاتهم . أما تعيينهم فينص الدستور على استناده إلى نظام الاختبار والمسابقة ، وهم جميعا غير قابلين للعزل .

ويذكر الدستور الايتالى فيما يذكر من أنظمة الدولة المحكمة الدستورية وهى مختصة بالنظر فى دستورية القوانين والأوامر التى لها قوة القانون ، وفى مسائل تنازع الاختصاص بين الحكومة والأقاليم وفيما بين الأقاليم نفسها ، وكذلك فى الاتهامات الموجهة لرئيس الجمهورية وللوزراء . وتؤلف هذه المحكمة من خمسة عشر عضواً يعين رئيس الجمهورية ثلثهم وينتخب البرلمان ثلثهم ويختار مجلس القضاء من بين القضاة ثلثهم الباقى . وتكون أحكامها نهائية وتنفذ فى اليوم التالى لإصدارها .

ويتجلى آخر الأمر مبدأ التوفيق بين التقليد والتجديد الذى يتميز به الدستور الايتالى الجديد فى صدد الأحكام الخاصة بتنقيح الدستور . فلكل مجلس من المجلسين أن يقترح تعديل الدستور ، لكن يجب أن تجرى فى موضوع التعديل مناقشتان ينقضى بينهما ثلاثة أشهر على الأقل ويصدر فيهما الرأى بالكثرة المطلقة . ويجب بعد ذلك أن تعرض القوانين الصادرة بالتعديل على الاستفتاء الشعبى ، إلا إذا كانت هذه القوانين قد توافرت فى إقرارها كثرة الثلثين فى كل من مجلسى النواب والشيوخ . على أنه لا يجوز أن يكون شكل الدولة الجمهورى محل تنقيح بحال .



## التعاون الدولي في الميدان الاقتصادي

تنادى المبادئ الأولى لعلم الاقتصاد بأهمية التعاون بين أفراد الأمة الواحدة وبين أمم العالم المختلفة لكي تتحقق للأفراد وللأمم فوائد « تقسيم العمل » كاملة ؛ إذ يتباين الأفراد في المواهب وكذلك الأمم تختلف في مواردها الطبيعية . وكلا الأمرين يستتبع أن يتخصص كل امرئ فيما وهب له فيه أكبر المزايا ، ثم يتبادل نتائج الجميع جهودهم ، فيستمتع أبناء المجتمع الواحد بالمزايا الناجمة عن التخصص وتبادل المنافع ، ويستفيد العالم طراً من فوائد تركيز جهود كل مجتمع من مجتمعاته في نواحي النشاط الاقتصادي التي يتوافر له فيها ميزات خاصة ، ثم تتبادل المنافع أيضاً بين دول العالم بما يحقق لها أكبر قسط من الرفاهية . هذه هي أوليات مبادئ الاقتصاد . ولاشك في أنه لو توافر لدى بلاد العالم المختلفة الاستعداد الطيب لتطبيقها باخلاص وشجاعة لكتب التاريخ صفحة مغيرة لما نشاهده الآن . والأمثلة الدالة على تلك الحقيقة كثيرة ، يكفي هنا تقديم واحد منها لما فيه من كبير الدلالة على ما يمكن تحقيقه من مزايا بالتعاون بين الدول في الميدان الاقتصادي . ففي سنة ١٩٤٦ ذهبت بعثة من المهندسين البريطانيين إلى النرويج لدراسة موضوع نقل القوى الكهربائية وبصفة خاصة الاحتمالات المختلفة لنقل القوة الكهربائية الأيدروليكية من النرويج إلى بريطانيا بواسطة سلك ( كابل ) تحت سطح مياه البحر الشمالى . ثم أصدرت حكومة النرويج كتاباً أبيض عن الاحتمالات العملية لتصدير القوة الكهربائية الزائدة عن حاجة النرويج إلى بريطانيا . وتبين أهمية هذا المشروع لو عرف أن مجموع مصادر القوة الكهربائية في النرويج التي يمكنها إعطاء ثمانين ألف مليون من « ساعات الكيلو وات » في العالم لم يكن قد استغل منها سوى ١٣,٧٥ مليون أو ١٦ في المائة فقط من المجموع . ويفرض أن التوسع في استعمال الكهرباء لأغراض النرويج نفسها يحتاج إلى مثل هذا



الرقم فإن الباقي ( أكثر من خمسين ألف مليون ) يوازي ثلثي المقدرة الانتاجية الاحتمالية للنرويج ، إذا ما أريد الاستفادة منه فلا بد من نقله إلى خارج تلك البلاد .

وليس نقل القوى الكهربائية إلى خارج حدود البلاد المنتجة لها جديداً ؛ فالدنمارك تستورد الكهرباء من السويد ، وسويسرا تصدر كمية كبيرة من الكهرباء إلى فرنسا وإلى ألمانيا، كما أن نقل الكهرباء مسافات شاسعة ( كالمسافة بين النرويج وبين بريطانيا ) لا يخرجها عن دائرة الاحتمالات الاقتصادية الناجحة .

ولكن الاعتبارات الاقتصادية ليست وحدها — مع كل أسف — هي التي توجه سياسات الدول ، بل لعلها ليست أهم العوامل التي تسيطر على تلك السياسات ؛ فهناك النزعات الوطنية الضيقة الأفق وما يقترن بها من تنافس بين دول العالم وشعوبه . وكثيراً ما طغت تلك الاعتبارات على العوامل الاقتصادية البحتة فجذبت الدول بعيداً عن الطرق التي فيها مصلحتها الأكيدة إلى طرق غيرها مخوفة بأشد المخاطر . ولقد أثبتت حوادث التاريخ أن المحن القاسية التي صادفتها شعوب العالم من جراء تجاهل العوامل الاقتصادية لم تغلح في شفاء تلك الشعوب من أحقادها المتأصلة ولا في تنبيهها إلى خطر السياسات التي تدفع بها إليها نزعاتها الوطنية . ولسنا في حاجة إلى أمثلة جديدة على صدق مانزعم ؛ فإن في مقدمة الأسباب التي تذكر للاعتراض على مشروع نقل القوة الكهربائية من النرويج إلى بريطانيا — مع زيادتها عن حاجة الأولى ومسيئها حاجة الثانية إليها — أن الدولة الموردة للقوة قد تقطعها عن الدولة المستوردة لها إذا توترت العلاقات بينهما ، وأن القوة قد توقف بالمرة في حالة اغارة دولة أجنبية على البلد المورد لها أو اعتداء غواصات بلد معاد على الأسلاك الملقاة في بحر الشمال .

أمثال هذه الصعوبات كفيلة بشل فكرة التعاون بين دول العالم ، ولكن الحريين القاسيتين اللتين ذاق العالم مرارتها في نصف قرن واحد قد حفزتا الدول إلى بذل بعض المحاولات للتقريب بين شعوبها في الميدان الاقتصادي لما يرجى من هذا التقريب من فوائد للمجموع وعلى أمل أن يترتب على التقرب بين الدول إضعاف العوامل المسببة للحروب .



بذلت الجهود في أعقاب الحرب العالمية الأولى لتحقيق التعاون بين الدول في الميدان الاقتصادي . فما كاد مجلس عصبة الأمم يبدأ عمله في نوفمبر من عام ١٩٢٠ حتى شكل اللجنتين المالية والاقتصادية ، بل لم تنتظر الولايات المتحدة أن تبدأ اللجنتان عملهما فقدمت إلى النمسا ما تحتاج إليه من مساعدات . غير أن هذه الروح الطيبة لم تستمر طويلاً إذ لم يصادق الكونجرس على معاهدة الصلح ( فرساي ) وعلى ميثاق عصبة الأمم ، وتركت الولايات المتحدة أوروبا لمواردها وجهودها الخاصة لمعالجة ما خلفته الحرب من تركة ثقيلة — دمار شامل في شمال فرنسا ، وخسائر كبيرة في رأسمال ألمانيا البشرية والحيوانية بما خسرت في الحرب من أرواح وما سلخ عنها من مقاطعات غنية ومستعمرات وما فقدته من أسطولها التجاري ، وجوع وفاقه في النمسا ، واضطراب اجتماعي في المجر . هذه أمثلة من المسائل الاقتصادية الخطيرة التي تركت أوروبا لمعالجتها بوسائلها الخاصة ودون اعتماد على مساعدة من الخارج ، وبخاصة من الولايات المتحدة ، لا بل أصرت تلك الدولة الكبيرة على وضع حد للتنظيمات الدولية في الميدان الاقتصادي التي اقتضتها ظروف الحرب ، فأبطل إشراف الحلفاء على التجارة الدولية وعلى توزيع الخامات والأغذية . ومع أن المجلس الاقتصادي الأعلى استمر بعض الوقت ، فقد عدل عن النظام الدولي لتوجيه وتنظيم الانتاج والتبادل الذي ساد بين الفريقين المتحاربين ، وعاد العالم إلى فوضى المنافسة القديمة بين الدول التي ازدادت سوءاً بازدياد الأفكار الوطنية وانحياز عملات معظم البلاد الأوربية .

هكذا كانت الحال إلى سنة ١٩٢٢ عندما بدأت الجهود لدعم اقتصاد شرق أوروبا ووسطها . وكان البادئ بالفكرة مستر لويد جورج الذي وضع مشروعاً لإنشاء هيئة مالية دولية تستعمل أموالها في تعمير شرق أوروبا والروسيا ، وكان كبير وزراء بريطانيا يفكر أيضاً في تخصيص جانب من أموال التعويضات لذلك الغرض . ولقد وفق لويد جورج في جذب بريان إلى جانبه لولا أن تدخل ميلران رئيس الجمهورية ، ولم ينقذ الموقف سوى اقتراح عقد مؤتمر لبحث الفكرة ، وقد عقد في جنوا ولكنه لم يعقد تحت كنف عصبة الأمم . وقد كان لموقف فرنسا وبلجيكا في المؤتمر أثره في الاخفاق الذي أصابه ؛ إذ خشيت أن يكون الغرض منه تعديل التعويضات ولذلك أثارتا موضوع ديون الروسيا ، وفي



الوقت نفسه قاومتا بكل شدة الاعتراف بها . كان لذلك الموقف نتيجة أخرى ، هي التقريب بين روسيا وبين ألمانيا الذي انتهى بعقد معاهدة رابالو ومن مقتضاها أن ينزل كل من الطرفين عما يطالب به الآخر من ديون وتعويضات ، فساعدتا بذلك على تنمية التجارة بينهما .

أما عصبة الأمم فقد بدأت من جانبها عمليات الانقاذ المالي باعفاء النمسا من التزاماتها الخاصة بالتعويضات لمدة عشرين سنة ، وبالإفراج عن الأصول النمساوية المرهونة ، ثم بتقديم قرض دولي مقداره ٢٧ مليون جنيه استرليني لتغطية العجز في ميزانياتها . وتلا تلك العملية المالية عملية أخرى شبيهة بها في الجبر ، وكذلك مساعدة استونيا على وضع عملتها على أساس الذهب . وقد وضعت أسس تلك العمليات المالية في المؤتمر النقدي الذي عقد في « بروكسل » في سنة ١٩٢٠ كما أن موضوع التعويضات عولج بشئ من التقدير العملي في مشروع داوز .

ولكن تلك الجهود الطيبة نحو التعاون والتفاهم بين الدول في الميدان الاقتصادي لم تخل من نزعات مضادة في بعض الأحيان كاحتلال فرنسا للورور في بداية عام ١٩٢٣ وميل كثير من الدول إلى الاستكفاء الاقتصادي . غير أن عام ١٩٢٤ سجل من جديد الرغبة بين الدول في التعاون ، وساعد هذا الاتجاه الجديد قيام حكومات من اليسار وبخاصة في بريطانيا وفي فرنسا ، حتى إنه يمكن اعتبار عام ١٩٢٤ بداية عهد من الرغد بلغ قمته في سنة ١٩٢٧ ومع ذلك فقد ظل رجال الاقتصاد في خشية من نتائج الاتجاهات الوطنية القوية التي كانت تدفع الدول إلى محاولة استغناء بعضها عن بعض في ميدان الاقتصاد وما تستتبعه تلك السياسة من زيادة الحواجز الجمركية باطراد . ولذلك دعت عصبة الأمم إلى مؤتمر اقتصادي عقد في جنيف في تلك السنة بعد أن مهدت له تمهيداً كافياً ، وقد تمخض عن شبه إجماع على ضرورة اتجاه العالم بالتراضي نحو قدر أكبر من حرية التجارة . سجل المؤتمر ذلك الإجماع ولكنه لم يتعد تلك المظاهرة الرائعة ؛ إذ لم تنجح الجهود التي بذلت في أعقابه لعقد هدنة بين الدول في شؤون التعريفية الجمركية تنفادي بها أية زيادات في المستقبل ، فكان نجاح المؤتمر قد اقتصر على التفاهم الذي تم في داخله ولكن لم يكن له أثره — مع الأسف — في سياسة الحكومات ، وبالتالي لم تكن له أية نتيجة عملية .



استمر الرخاء إلى سنة ١٩٢٩ حيث بدأ رد الفعل، فشاهد العالم في السنوات التالية موجة من الضيق الاقتصادي لم يعرف حدثها من قبل، وكان للتعويضات وديون الحرب أثرها في اشتداد الأزمة التي كان من مظاهرها أن ستين في المائة من ذهب العالم تكس في خزائن البنوك المركزية في باريس ونيويورك. ولما كان الفساد قد استفحل إلى حد لا تتسنى معالجته وبخاصة مع الروح السائدة بين شعوب العالم، فقد أخفقت الجهود التي بذلت لوقف تيار الانهيار الاقتصادي وبخاصة مشروع نيج للتعويضات والمؤتمر الاقتصادي الدولي بلندن في سنة ١٩٣٣، وظل العالم يتعثر في خطواته إلى أن نشبت الحرب العالمية الثانية بعد مرور أقل من واحد وعشرين عاما على انتهاء الحرب العالمية الأولى، وعاد التاريخ يكتب الصفحة القديمة من جديد: انقسام العالم إلى كتلتين متطاحنتين، ومحاولة المسؤولين الافادة من دروس الماضي ووضع الأسس المتينة لتعاون مجد بين الدول، ثم ظهور العقبات القديمة: الأنانية والتنافس بين الأمم وما يصحبهما من سياسات وطنية ضيقة الأفق قصيرة النظر، واختفاق الجهود التي بذلت لمعالجة صعوبات العالم على أساس دولي.

بدأ التعاون بين ما سمي الديمقراطيات من قبل دخول أمريكا الحرب بالفعل إلى جانب بريطانيا، وتطور من تقدم السلع والمهمات مقابل اقتضاء قيمها كاملة إلى نوع من المساعدة المجانية تقريباً سميت «الاعارة والتأجير» وهذه تطورت بدورها إلى مساعدة أكثر سخاء سميت «الاعانة والتعمير» وقد انتهت الأخيرة وبشكل فجائي بمجرد انتهاء الحرب في اليابان.

ولكن تنظيمات من نوع آخر بدأت تتخذ شكلا عمليا في سنة ١٩٤٤ باتفاقية برين وودز التي تضمنت ميثاق صندوق النقد الدولي. والغرض منه معاونة الدول المشتركة فيه على ملافاة الصعوبات المرتبطة بالتبادل التجاري وبشؤون العملة والبنك الدولي للانشاء والتعمير الذي يتم اسمه بشكل واضح عن الغرض من إنشائه.

وما كادت الحرب تنتهي حتى عاد التفكير إلى تنظيم التجارة بين الدول على أساس التجارة المتعددة النواحي، والحد من القيود المفروضة على التجارة. ولقد قاد هذه الحركة الولايات المتحدة مع أنها الدولة التي تزعمت حركة وضع القيود على تجارة الدول الأخرى؛ فوضعت مشروع ميثاق لمؤسسة جديدة



للتجارة الدولية اتخذ الخطوات التقليدية : لجنة تحضيرية فى لندن التأمّت فى أكتوبر سنة ١٩٤٦ ثم لجنة تحرير فى نيويورك فى يناير سنة ١٩٤٧ ثم اللجنة التحضيرية مرة أخرى فى جنيف فى أبريل إلى سبتمبر سنة ١٩٤٧ وها هو ذا المؤتمر الدولى مازال منعقدًا فى هافانا منذ نوفمبر الماضى لاقرار الصيغة النهائية للميثاق ، وهو محفوظ بأشدّ الحاطر من جراء التباين الظاهر بين مصالح مجموعات الدول المساهمة فيه ، فضلاً عن أنه بدأ بداية عرجاء بسبب مقاطعة روسيا وصديقاتها من الدول له .

هذه هى خلاصة الجهود التى بذلت من قبل نهاية الحرب العالمية الأخيرة لتنظيم شؤون العالم فى الميدان الاقتصادى — جهود قيمة ولا شك يستحق القائمون بها ثناء شعوب العالم وعرفانهم للجميل . ولكن المتتبع لسير الحوادث منذ نهاية الحرب لا يلبث أن يساوره الكثير من الشك فى نجاح المؤسسات التى بذلت تلك الجهود الكبيرة فى وضع موائيقها ، لا لعيب فى تلك الموائيق بل لأن الأمم عادت سيرتها الأولى ونسيت الدروس القاسية التى ألقتها عليها الحرب العوان الأخيرة ولما يمحى على نهايتها أكثر من عامين ونصف عام . هكذا كانت سنة الانسان منذ القدم ، وهكذا ستظل حاله فيما يبدو لى ، تطغى الاعتبارات القومية والسياسية لديه على كل اعتبار آخر مهما كانت أهميته ، فيتجاهل المبادئ السامية والمؤسسات الدولية الجليلة الشأن التى ساهم فى وضع أنظمتها . هذا واضح أينما قلبنا النظر ؛ فالإنشاء والتعمير ساهم واضعوا ميثاق مؤسسته الدولية أنفسهم فى تخطيها والاعتداء على اختصاصها . ودليل على ذلك مشروع مارشال الذى كثر الحديث عنه أخيراً والذى مازال مآله فى ميزان القدر ، وهو الذى قسم العالم إلى كتلتين : غربية وسلافية . أليس ما يهدف إليه الأمريكان بمشروعهم داخلاً فى صميم اختصاص البنك الدولى للإنشاء والتعمير الذى كانوا أصحاب الفكرة فى تأسيسه ؟ إذن ما الذى حدا بهم إلى أن ينحسوه جانباً ويضعوا مشروعاً للتعمير اقتصر فى النهاية على ست عشرة دولة من بين دول أوروبا ؟ وما الحكمة فى هذا الازدواج ؟ وفى تجاهل المؤسسة القائمة ؟ وحتى بفرض أنه سيعهد فى النهاية إلى البنك الدولى بتنفيذ بعض المشروعات المقترحة فإن هذا لا ينفى أن القائمين بمشروع مارشال لم يسلكوا الخطة القوية بطرح فكرتهم على البنك الدولى ومجتها عن طريقه .



وصندوق النقد الدولى ما الذى أفاد منه العالم ؟ لقد كان نصيب آرائه التجاهل بل التحدى على طول الخط ؛ فحيثما أوفد البعثات إلى بعض أعضائه وأشارت بخفض نفدهم كان نصيب تلك البعثات اللوم الشديد من حكومات البلاد التى أوفدت إليها . وحيثما عارض فى الاجراءات التى ارتأها بعض الأعضاء — كفرنسا أخيراً التى نظمت سوقين لعملتها — كان نصيب معارضته التحدى أيضاً . وهل يرجى للمؤسسة الثالثة — هيئة التجارة الدولية — وهى ستعرض لشؤون أكثر مساساً بالنزعات الوطنية من الشؤون التى تتناولها المؤسسات السالفتها الذكر ، هل يرجى لها مصير خير من مصير شقيقتها ؟

الواقع أن سير الحوادث فى الستين الأخيرتين لا يدرى بنجاح الجهود الدولية التى تبذل لتنظيم شؤون العالم ، حتى لو انصب التنظيم على المسائل الاقتصادية لما لها من ارتباط وثيق بالاعتبارات القومية والسياسية التى لم تظهر شعوب العالم بعد استعداداً كافياً لطرحها جانباً ولإفادة من المزايا الجملة التى يحققها التعاون بين الأمم ، كما يحقق التعاون بين أفراد الأمة الواحدة الخير لهم جميعاً .

ويجب ألا نتوقع أن تكون المؤسسات الأخرى المختصة بتنظيم شؤون العالم الاقتصادية والاجتماعية أوفر حظاً من المؤسسات المتقدمة الذكر ؛ فقد أنشئ المجلس الاقتصادى والاجتماعى وأنشأ هو بدوره لجاناً للشؤون الاقتصادية فى الشرق الأقصى وفى أوروبا وفى أمريكا الجنوبية ، وهو الآن بصدد اقتراح تشكيل لجنة اقتصادية للشرق الأوسط : لم يحسس العالم بعد بفوائد تلك المؤسسات وتلك اللجان ، إنما طغى على نشاطها ذلك الخلاف والعراك المستحكما بين دول العالم بل بين أفراد الدولة الواحدة ! فما الذى يرجى عمله فى الصين التى أغرقها الولايات المتحدة بمئات الملايين من الدولارات الأمريكية — والحال أن أبناءها انقسموا إلى شعبتين تقتتلان علناً ويؤيد كلا منهما إحدى الدول الكبرى . فهناك الجيش الشيوعى وتشمل مناطق نفوذه جزءاً كبيراً من شمال الصين ووراءه روسيا تؤيده وتساعد . وهناك حكومة نانكين ومن ورائها الولايات المتحدة أو لقد كانت كذلك إلى عهد قريب . والانقسام مازال ضارباً أطنابه فى جزر الهند الشرقية وفى الهند الفرنسية بل فى الهند نفسها ، فما الذى يرجى من لجنة اقتصادية لتلك المنطقة الشاسعة وسط هذه



الظروف سوى الظهور بالقصور والعجز ثم الاخفاق التام في النهاية ؟ وهل يتصور أن يكون مصير لجنة أوروبا غير هذا المصير والحال كما نرى ؟ تكتل في الشرق يقابله مثله في الغرب ، ونزاع حول المبادئ الاجتماعية في داخل بعض الدول : في الشرق وفي الغرب سواء ؛ فهو ظاهر في اليونان ظهوره في إيطاليا وفي فرنسا ، كما أن الاعتبارات السياسية تقحم إقحاماً في الشؤون الاقتصادية ، هذا ظاهر أيضاً برغم ما يبذل من جهود لاخفائه والاقبال من خطره ، وإلا فلماذا نبتت — وقت بحث مشروع مارشال في الكونغرس — فكرة اتحاد سياسي لغرب أوروبا يمتد إلى سكندناوة نفسها ؟ وبطبيعة الحال بدأت تستبين نتائج إقحام الفكرة السياسية في المشروعات الاقتصادية ، فأظهرت دول سكندناوة نفورها من الانضمام إلى اتحاد سياسي ، وأظهرت هولاندة وبلجيكا ولو كسمبرج خشيتها من حلف يظن أنه موجه ضد ألمانيا .

ويجب ألا نتوقع في الظروف الحالية خيراً من هذا المصير للجنة التي يقترح انشاؤها للشرق الأوسط مادامت النزعات السياسية المتعارضة تتجاذبه شرقاً وغرباً ، في إيران وفي العراق وفي تركيا واليونان وغيرها من بلاد تلك المنطقة .

ليس يرجى للعالم خلاص من الأزمات الحالية به إذا لم يطرح جانباً التفكير الضيق الأفق والناشئ من تشبثه بالأنانية الوطنية . ليس يرجى صلاح العالم دولياً إذا لم يكن تفكيره دولياً وإذا لم يترك الجدل حول المبادئ الاجتماعية للمؤسسات الداخلية للدول المختلفة . ولكن هل في وسع الشيوعى في روسيا وفي البلاد الأخرى التي تدين شعوبها بالفكرة الشيوعية ، والاشتراكي في بريطانيا وغيرها من البلاد التي تتولى شؤونها حكومات اشتراكية ، وصاحب المبادئ الانفرادية في البلاد التي مازالت ترى خيرها في ذلك النظام — هل في وسع هؤلاء وأولئك على تباين مشاربهم واختلاف مبادئهم أن يضع بعضهم يده في يد البعض الآخر في الشؤون الدولية التي يعود التعاون فيها بالخير العميم على الجميع ؟ إننا لو بنينا الآمال على احتمال ذلك لطالبنا العالم بما هو فوق مقدوره ، ولكن من يدرى ! فلعل السنين القادمة أن تأتي بما نعتبره نحن من المعجزات .



# في أفق السياسة العالمية

## اتحاد الأراضى المنخفضة أو البندكس

لم يبق الآن شك في أن العالم الذي خلفته الحرب العالمية الثانية سائر سيرا حثيثا نحو التكتل الاقتصادي والسياسي ، وأن الجهود التي بذلها الساسة والمفكرون منذ الحرب العالمية الأولى في سبيل ربط شعوب العالم في اتحاد عالمي واحد قد تعثرت ولم يقدر لها النجاح ، لا لخطأ في الفكرة أو لقصور في همة القائمين على تنفيذها ، بل لأن الوحدة في ذاتها لا يمكن أن تتم طفرة ، وأنه لا بد من التدرج حتى يمكن تنسيق العناصر التي تتكون منها الوحدة فتتألف أجزاؤها ويسهل ربطها جميعا في نظام واحد أو هيئة واحدة . وقد يتقضى وقت طويل قبل أن تنضج فكرة الوحدة السياسية بين الدول وينشأ رأى عام عالمي يستند إليه الاتحاد في تنفيذ قراراته .

وليست فكرة الوحدة العالمية السياسية بأقل خطرا من مبدأ التسامح الديني أو مبدأ الوحدة القومية ، وقد انقضت قرون وأجيال دارت فيها رحي الحروب حامية بين أبناء الوطن الواحد وبين أصحاب المذاهب المختلفة قبل أن تعترف الحكومات بحق الأفراد في اعتناق المذاهب التي شبوا عليها والتي ورثوها عن آبائهم ، وانطوت عليها قلوبهم وجوانحهم . ومن أجل تحقيق مبدأ الوحدات القومية قامت في القرنين الأخيرين حروب طويلة بين الشعوب المغلوبة على أمرها وبين الدول الغاصبة لحقوقها . ومع ذلك فأننا لا نزال نرى في العالم أثر التعصب الديني باقيا في كثير من الدول حتى اليوم ، ولا نزال هناك شعوب لا تتمتع بكامل حقوقها وقد حرمتها القوة لم شعها وتحقيق استقلالها ووحدتها . لذلك كان طبيعيا أن تتحول فكرة الاتحاد العالمي إلى عناصرها الأولى ، فتسعى الشعوب أولا إلى استكمال حرياتهم ووحداتهم القومية ، فاذا تم لها ذلك دعتها غريزة التماسك والدفاع عن النفس إلى الاشتراك — كل مع مثيله — في صيانة استقلالها والنهوض بمصالحها السياسية



كانت أو اقتصادية أو اجتماعية . ولم تكن دلائل هذا الاتجاه نحو التكتل خافية على واضعى ميثاق هيئة الأمم المتحدة . فقد جاء فى المادة الخامسة والخمسين من الميثاق : « ليس فى هذا الميثاق شىء يحول دون وجود تنظيمات أو مكاتب إقليمية تعالج المسائل المتعلقة بتوطيد السلم والأمن الدوليين بما يتناسب والعمل الذى يقوم به هذا الاقليم ، بشرط أن تتفق أعمال هذه التنظيمات وأغراض الهيئة ومبادئها . » ومع أن واضعى الميثاق لم يواجهوا فى هذه المادة الأهداف والعوامل الاقتصادية التى لا بد أن تتحكم عند ما تأتلف الشعوب لتكوين هذه التنظيمات ، فإن الأحداث التى حلت بالعالم منذ انتهاء الحرب قد أقنعت الشعوب والحكومات بضرورة تغليب الاقتصاديات على الدواعى السياسية . وليس أدل على ذلك من مشروع اتحاد غرب أوروبا الذى أعلنه مستر بيفن وزير خارجية بريطانيا فى الشهر الماضى ليوازن به أثر الكتلة الشرقية فى شرق أوروبا ووسطها . وقد صرح مستر بيفن بأن اتحاد غرب أوروبا لن يكون اتحادا سياسيا بل سيكون اتحادا اقتصاديا من شأنه أن يساعد على توثيق الصلات بين الدول الديمقراطية الغربية . ولا بد أن يكون مستر بيفن قد استعرض فى ذهنه وهو يضع مشروعه اتحاد الأراضي المنخفضة وميثاق جامعة الدول العربية والرابطة التى تجمع بين جمهوريات أمريكا . وأهم هذه الاتحادات غير منازع هو اتحاد الأراضي المنخفضة أو البنلوكس Benelux والباء مأخوذة من بلجيكا ، والنون من النذرلند أو هولندة ، ولكس من الكسمبورج . وحكاية ربط هذه الأقاليم الثلاثة فى اتحاد واحد قديمة ترجع إلى مؤتمر فيينا سنة ١٨١٥ حين اجتمعت الدول عقب الحروب النابليونية لتأمين السلام العام فى أوروبا ومنع قيام الثورات أو الحروب التى تهدد العروش وتعرض الشعوب للشقاء والدمار . ولما كانت فرنسا فى نظر الدول حينذاك هى مصدر العدوان والثورات فقد راعى الساسة أن يسدوا عليها الطرق والمنافذ ، وذلك بتقوية الحدود التى تفصلها عن أوروبا ؛ فكان أن قرروا ضم بلجيكا إلى هولندة وتنصيب وليم الأول صاحب أورانيج ملكا على الأراضي المنخفضة . ومع أن أوجه الخلاف بين الاقليمين كانت مادية مشهورة ، فإن المؤتمرين فى فيينا ظنوا أنهم قد أحسنوا صنعا بضم بلاد صناعية مثل بلجيكا إلى بلاد زراعية تجارية استعمارية مثل هولندة . ولم يكن فى وسع الدول



حينذاك ، وتلك كانت أغراضها ، أن تفعل غير ذلك ، لاسيما أن إنجلترا كانت تعتبر ميناء أنفرس في بلجيكا « مدفعا مصوبوا نحو قلب لندرة » وتأتى لذلك أن تكون بلجيكا بين إحدى الدول الكبرى مثل فرنسا أو النمسا كما كانت أولا .

غير أن العوامل الاقتصادية التي ساعدت على توحيد الاقليمين لم تصرف أهل بلجيكا عن التفكير في مصالحهم الوطنية والعمل لاسترداد استقلالهم والتمتع بالمزاي الاجتماعية التي كسبوها من فرنسا في أثناء الاحتلال النابليوني . ولذلك ما كادت تمب ثورة سنة ١٨٣٠ في فرنسا حتى انتهر البلجيكيون الفرصة فثاروا هم أيضا مطالبين بالاستقلال عن هولندا .

وكان من حسن طالع بلجيكا أن الدول الكبرى قد شغلت عن ثورتها بمتاعبها التي نشأت في بلادها ؛ فقد نشبت حينذاك ثورة في بولندا وكانت تابعة لروسيا ، وقامت في إيطاليا ثورات شغلت بها النمسا ، وكذلك قامت في إنجلترا أول حركة للإصلاح الانتخابي . وقد كان كل ما يهم إنجلترا من بلجيكا ألاتضمها فرنسا إلى بلادها ، فبادر الوزير الفرنسي الشهير تاليران إلى طمأنة إنجلترا من تلك الناحية . وعلى ذلك انعقد مؤتمر دولي في لندن سنة ١٨٣١ قرر استقلال بلجيكا وحيدها وانفصالها عن التاج الهولندي ، وبقيت هولندا تنكر هذا الاستقلال ومعها روسيا والنمسا وبروسيا حتى سنة ١٨٣٩ حين أقر الجميع استقلال بلجيكا . وقد كان لدوقية لكسمبورج وضع خاص ؛ إذ بينما قرر مؤتمر فيينا ضمها إلى وليم الأول ملك الأراضي المنخفضة أبقاها في الوقت نفسه داخلية في نطاق الاتحاد الألماني . فلما قامت الثورة في بلجيكا وتقرر انفصالها عن هولندا ثارت لكسمبورج أيضا على ملك هولندا وطالبت بالانضمام إلى بلجيكا ، ولكن الدول رأت تقسيم الدوقية إلى منطقتين ضمت الغربية منهما إلى بلجيكا وبقيت المنطقة الشرقية لملك الأراضي المنخفضة وتابعة للاتحاد الألماني . حتى إذا أنشأت بروسيا نظام الزنفرين أو الاتحاد الجمركي الألماني انضمت إليه لكسمبورج ، وبقيت كذلك إلى سنة ١٨٦٦ حين انحل الاتحاد الألماني القديم ، فقررت الدول المجتمعة في لندن استقلال الدوقية وحيدها .

وكان البلجيكيون قد اختاروا في أول الأمر الدوق نمور Nemours ابن لوى فيليب ملك فرنسا ملكا عليهم . ولكن لوى فيليب خشى إغضاب الانجليز فأمسك



عن الموافقة ، واختارت بلجيكا الأمير ليوبولد ساكس كوبرج خال الملكة فكتوريا ملكا عليهم ، وقد تزوج بابنة لوى فيليب وأقسم يمين الولاء لدستور البلاد الجديد فى نهاية ١٨٣١ ، وكان دستوراً مثالياً صان حقوق الأفراد وحرياتهم ووضع حدوداً كافية لمنع طغيان الملك والسلطة التنفيذية ، فاشتهر أمره واتخذته الشعوب التى كالت فى القرن التاسع عشر فى سبيل حقوقها الدستورية نموذجاً حاكته ونسجت على منواله . وقد كان الدستور البلجيكى المرجع المفضل لدى لجنة الثلاثين المصرية التى صاغت الدستور المصرى سنة ١٩٢٣ . ومع أن انفصال بلجيكا عن هولندا قد اصططحته أزمة اقتصادية شديدة عانتها البلاد فإن ما جبل عليه الشعب البلجيكى من الدقة والاكباب على الأعمال مضافاً إلى ثروة البلاد المعدنية وخاصة فى الفحم والحديد وإلى ما أظهره الملك ليوبولد من الحكمة والمقدرة الادارية ، كل ذلك كان كفيلاً باجتياز الأزمة بسلام وافتتاح عهد صناعى إنشائى لا مثيل له فى تاريخ البلدان الأوربية عدا إنجلترا . وكان من أثر تأمين بلجيكا على استقلالها وحيدتها أن تفرغت البلاد لخدمة مصالحها الاقتصادية . حتى إذا قامت ثورة سنة ١٨٤٨ فى فرنسا وسرى تيارها إلى سائر دول أوربا كانت بلجيكا بمنأى عن آثارها المخربة ؛ إذ كان الشعب البلجيكى يتمتع بحرياته ودستوره بقدر لا يدانيه سوى ما كان للشعب الانجليزى العريق فى الحقوق البرلمانية . ولم تتنبه بلجيكا إلى خطورة مركزها وقلة جدوى حيدتها إلا بعد انتصار ألمانيا على فرنسا فى الحرب السبعينية . وقد كانت بلجيكا تحشى فى أول الأمر عدوان الإمبراطور نابليون الثالث ودأبه على ضم لكسمبورج إلى فرنسا . أما وقد انهزمت فرنسا أمام ألمانيا فقد تخرج موقف بلجيكا بين ألمانيا الغالبة الطامعة وبين فرنسا الجريئة الصارخة بطلب الانتقام . فأخذت بلجيكا تراجع سياستها إزاء الدول ، ولم تعد تقنع بموقف الحيدة منها ، فجعلت تحصن حدودها وقلاعها وتعد قواتها وتنهض بالخدمة العسكرية الاجبارية بين شبانها . وقد زاد من تبعاتها الدولية اهتمامها بكشف بلاد الكونغو ونزول ملكها ليوبولد الثانى عن حكومة الكونغو الحرة لبلجيكا فى سنة ١٩٠٨ . وكانت بلجيكا كلما زاد التنافس فى التسليح بين ألمانيا من جهة وبين إنجلترا وفرنسا من جهة أخرى ، أيقنت باقتراب خطر الحرب من أرضها مع قلة استعدادها لها . ولما دنت ساعة الخطر فى آخر يولييه سنة ١٩١٤ حاول السير ادورد جراى وزير



خارجية انجلترا أن يصون حيده بلجيكا التي ضمنها الدول الخمس : بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا ، فأرسل إلى الحكومتين الألمانية والفرنسية يدعوها إلى احترام حيده بلجيكا ، فكان جواب ألمانيا أن دامت بأقدامها المعاهدات الدولية واعتبرتها مجرد قصاصات من الورق ، واخترقت قواتها في ٢ أغسطس سنة ١٩١٤ دوقية لكسمبورج ، وفي اليوم التالي دخلت بلجيكا ، ولم يستطع الجيش البلجيكي الوقوف أمامها سوى أسابيع قليلة صارت البلاد بعدها تحت رحمة ألمانيا ، فتعرضت مدنها وقراها وكنائسها ومكباتها وصناعاتها لاعتداءات دموية مخربة لاتزال أحداثها يتناقلها الآباء والأبناء من جيل إلى جيل .

ولم تكن هولندة أقل تعرضاً لعدوان ألمانيا من بلجيكا . وما منع ألمانيا من الاغارة هولندة عليها سوى حسن استعدادها الحربي وقرار هيئة أركان الحرب الألمانية ضد اختراق القنوات المائية التي تغطي سهول هولندة . وظلت هولندة طوال الحرب العالمية الأولى تحافظ على حيدها ما استطاعت إلى المحافظة سيلا . وقد أفادت من حيدها ومركزها بين ألمانيا والحلفاء فوائد مادية جعلتها تنهض بتجارها وصناعاتها الناشئة نهضة قضت نهائياً على الفكرة القديمة التي كانت تقول بأن هولندة بلاد زراعية ، وأن بلجيكا بلاد صناعية ، والاثنان يكملان بعضهما بعضاً . ولما انتهت الحرب العالمية الأولى تفرغت بلجيكا لاصلاح ما دمرته الحرب في بلادها ، ولكنها خرجت منها بمزايا لا يستهان بها ؛ فقد تفتحت عيونها من جديد إلى خرافة الحيده السياسية ، وعملت للتحرر من قيودها ، فأقرتها الدول على ذلك ، وجاءت معاهدة فرساي مؤيدة استقلال بلجيكا وحريتها التامة في التسليح والتحالف مع من تشاء من الدول . وقد استعاضت من الحيده بمعاهدة دفاعية عقدتها مع فرنسا وبتوثيق علاقاتها مع بريطانيا وجارتها هولندة . ونالت بلجيكا من عصبة الأمم حق الانتداب على جزء من شرق إفريقيا الألمانية يعرف باقليم رواندا ، هذا فضلا عن ضمها مركزين على حدودها الشرقية كانا تابعين لألمانيا ، وارتباطها بدوقية لكسمبورج بمعاهدة جمركية واحدة سنة ١٩٢٢ وذلك بعد أن أيد الاستفتاء الشعبي بقاء الدوقية مستقلة .

وقد ساهمت بلجيكا بنصيب كبير في دعم ميثاق عصبة الأمم وتنمية العلاقات الدولية ، حتى أصبحت عاصمتها بروكسل مركزاً مهماً للنشاط الدولي



الثقافى والأدبى وقد اشتركت . بلجيكا مع الدول الكبرى التى تعاقدت فى لوكارنو سنة ١٩٢٥ بقصد تأمين السلام بين ألمانيا وفرنسا . ولكن سرعان ما اكفهر جو السياسة الدولية فى أوروبا على أثر اضطلاع النازيين بالحكم فى ألمانيا ، فعادت بلجيكا تخشى على استقلالها وتأسف على تركها نظام الحيدة القديم طائفة أن الحيدة قد تنجيهما من ويلات الحرب الحديثة . وعلى ذلك عادت بلجيكا فى سنة ١٩٣٦ تحظر الدول الكبرى بعزمها على التزام نظام الحيدة فى المستقبل ، وأنها لذلك تتحلل من القيود التى فرضتها عليها معاهدة لوكارنو . وزادت على ذلك أنها اشتركت مع دول الشمال هولندة والسويد والدنمركة والنرويج وفنلندة حين اجتمع وزراء الخارجية لهذه البلاد فى يولييه سنة ١٩٣٨ وأعلنوا أنهم غير ملزمين بتنفيذ المادة السادسة عشرة من ميثاق عصبة الأمم التى كانت تنص على تنفيذ العقوبات على الدولة التى تنقض عهودها وتلجأ إلى الحرب . وقالوا فى قراراتهم إن ضخامة التسليح فى بعض الدول يجعل قيامهم بالتزاماتهم فى حكم المستحيل عليهم ؛ لأن تدخلهم ضد إحدى الدول يعتبر انخيارا إلى جانب دون آخر ، وهو أمر يتنافى وروح ميثاق العصبة .

ومع أن الدول بما فيها ألمانيا قد ردت على بلجيكا بأنها تحترم استقلالها وحيدتها ، فإن ألمانيا النازية كانت تبعث للأراضى المنخفضة بل لغرب أوروبا كله أشنع اعتداء عرفته تلك البلاد فى تاريخها . ويظهر أنها كانت تعد هولندة جزءاً متمماً لها مادام أهلها ينتسبون إلى الجنس الألمانى ويتكلمون لغة قريبة الشبه باللغة الألمانية . وكان مما شجع النازيين على السطو على هولندة ما عرف عنها من الثراء ووفرة الانتاج ، وما كان لها من مستعمرات وأسواق عاسرة بالملايين من سكانها غنية بخاماتها سواء فى جزر الهند الشرقية أو الغربية . ومادام الهجوم على فرنسا وعلى بريطانيا جوا وبراً وبحراً يعتمد على قواعد تتخذها ألمانيا فى الأراضى المنخفضة ، فإن إعلان بلجيكا وهولندة لحيدتهما فى الحرب الأخيرة لم يجدهما فتيلاً . وكان نصيب هولندة فى هذه الحرب أنكى وأشد من نصيب زميلتها فى الحرب السابقة . فقد كانت بلجيكا الجسر الذى عبرت فوقه ألمانيا إلى فرنسا . وأما هولندة فقد أقام فيها الألمان حاكين وساموا أهلها سوء العذاب .



ولقد كان لاشتراك البلجيكي والهولنديين في تحمل ذل الاحتلال الألماني وأهوال الهجرة والتشريد من بلادهم في أثناء الحرب الأخيرة أكبر الأثر في تصفية ما كان قد علق في نفوس الشعبين من أدران الماضي ، فخرج الشعبان من الحرب وقد صفت النفوس واستعدت لاستقبال عهد جديد يبشر بمستقبل سعيد للشعبين المجيدين . وبدأت الحكومتان تتقاربان وهما بالمنفى في لندن في أثناء الحرب ، وتكونت لجنة من الفريقين في سنة ١٩٤٤ عند ما لاحت بشائر النصر للحلفاء لدرس مشروع الاتحاد الاقتصادي بين الحكومات الثلاث . وقد وطنت هذه الحكومات نفسها على أن قيام الاتحاد لا بد أن يقتضى نزولها عن شئ من كامل سيادتها ؛ ولذلك وكلت أمر التنظيم إلى الخبراء والاقتصاديين ولم تتركه للسياسيين ورجال القانون وفق ما جرى به العرف في السياسة الدولية . وظلت اللجان الفرعية الفنية تدرس وتعمل بهمة حتى أثمرت جهودها في اقرار نظام « البنلوكس » الذي يرجى تنفيذه في هذا العام . والفكرة الأساسية من الاتحاد تقضى برفع الحواجز والقيود الجمركية بين الدول الثلاث ، وتوحيد التعريفات الجمركية بينها ، واعتبار أرض هذه الدول كأنها سوق مفتوحة واحدة . ولا بد أن يتطلب هذا النظام درس حالة النقد والنقل وتكافؤ الأجور ودراسة الصناعات المحلية وتوزيعها بحسب ما يقتضيه التخصص فيها ، وذلك حتى لا تقوم المنافسة في الصناعة الواحدة فتنشأ الخلافات وينهار الاتفاق . ولا تزال اللجان دائبة على دراسة المسائل والصناعات المشتركة مثل الخبز والجلود والصيد وبناء السفن وتعيين اختصاص كل من الميناءين العظيمين روتردام في هولندا وأنفرس في بلجيكا . وهناك مسألة المستعمرات ؛ فلهولندا دولة مستعمرات مترامية الأطراف في آسيا وأمريكا ، وبلجيكا مستعمرة الكونغو في إفريقيا . ويبدو أن الحكومتين تميلان إلى تكوين وحدة استعمارية تشمل أملاكهما جميعاً .

والحكومتان مقدرتان تمام التقدير ما يحنيه الشعبان من الاتحاد الاقتصادي وخاصة في هذه الفترة العصيبة التي أعقبت الحرب وتكتلت فيها دول أوروبا وأغثت العلاقات بين الكتلتين الشرقية والغربية تنذر بأخطر المصاير . ولم تتردد دول الاتحاد في مطالبة الدول الثلاث الكبرى بسماع رأيها بشأن ألمانيا . وقال الاتحاد انه يرى ضرورة توحيد ألمانيا من الوجهة الاقتصادية ، وإنه يرحب



بالعاشها صناعيا، بشرط مراقبة نزع سلاحها ، ومنع قيام الصناعات التي تستخدم في التسليح ، وفرض رقابة دولية على إقليم الرهر . وأما من الوجهة السياسية فيرى اتحاد البنلوكس أن النظام الاتحادي الفدرالي لألمانيا هو أوفق النظم صلاحية لها ، حتى لاتطغى فيها السلطة المركزية كما حدث قبلا .

وقد بدأت حكومات الأراضي المنخفضة تحيى ثمار اتحادها ، فاستطاعت أن تعوض ما فقدته بمخرج ألمانيا ولو مؤقتاً من ميدان النشاط الاقتصادي . وبلغ مجموع قيمة صادرات الاتحاد ووارداته نحو ألف مليون جنيه ، فيكون الاتحاد بذلك الثالث في الترتيب من حيث التجارة الخارجية في العالم (١) . يضاف إلى ذلك أنه قد أصبح لمثلى البنلوكس في المجتمعات الدولية آراء وخطط واحدة ، وصار المندوب عن إحدى دول البنلوكس يقوم مقام زميله في اللجان الدولية . وحتى في الشؤون الخارجية بدأت آراء الدول الثلاث تتحد وتتفق ، وأصبح لكلمتها في السياسة الدولية كما في التجارة وزن لم يكن لها قبل أن تتحد . وقد دلّ مستر بيغن على بالغ اهتمامه باتحاد البنلوكس بما جاء في خطابه الأخير أمام مجلس العموم من أنه يعتزم الاتصال بفرنسا واتحاد البنلوكس كخطوة أولى في سبيل إنشاء اتحاد غرب أوروبا الاقتصادي . والناس يتنبأون بقرب قيام اتحاد يجمع بين شعوب جنوب آسيا وشرقها ، وآخر يجمع بين الدول الاسكندنافية ، وثالث يجمع بين دول البحر المتوسط ، بل رابع يجمع بين دول الشرق جميعا . وكأما اتحاد البنلوكس يؤذن بأن يكون النظام النموذجي الذي تحتذي به دول العالم فيما بينها قريبا . ولعلها واجدة في هذا النموذج البلسم الذي يشفيها من علل السياسة وأدوائها .

### محرر رفعت

(١) يبلغ عدد سكان كل من بلجيكا وهولندا نحو ٩ مليون نفس ، وسكان دوقية لوكسمبورج نحو ٣٠٠ ألف نفس . أما مستعمرات بلجيكا فتبلغ مساحتها نحو ٩٢ ألف ميل مربع يسكنها نحو ١١ مليون نفس . وتبلغ مساحة مستعمرات هولندا نحو ٨٠٠ ألف ميل مربع يسكنها نحو ٦١ مليون نفس منها نحو ٥٠ مليون في جمهورية إندونيسيا .



## MONSIEUR SOMMEIL

CLAUDE AVELINE

### المسيو سومي

إلى الدكتور جاك هرتز

كان ذلك في مساء يوم اثنين ، وكانت الساعة حوالى الحادية عشرة ، وكنت على أهبة النوم ، بعد أن أتممت صفحتى الثانى اليومية ، ورتبت مذكراتى ، وأعدت كتيبى إلى رفها ، ومررت بخزنة الصوف الصغيرة على مكتبى ، عند ما رن جرس التليفون ، فعلمت من غير أن أحتاج إلى رفع السماعة أن العيادة تطلبنى ، وإلا فمن غير العيادة ؟ . . وفعلت سمعت صوت كبيرة الممرضات تقول : « أسعد الله مساءك ياسيدى ، مدام مرجريت ، سوف تعرض علينا حالة عاجلة بعد نصف ساعة . » لم يكن أحد يسألنى عن هذا الأمر أهو يوافقنى أم لا يوافقنى ، فقد كان دومين يعتبرنى دائماً فى العمل « الشخص الذى يستطيع الاعتماد عليه » . وعلى أية حال كانت هذه الشهرة تكلفنى شهرة أخرى ، مع ما تستوجب من تحفظات قليلة ، وهى شهرتى بأنى أعزب شيخ ورجل به هوس — لتمر بذلك مر الكرام .

كان الرجل قد دهمته فى ميدان دنفير—روشر وسيارة ألمانية . إن أولئك القوم يقودون كالجبانين ، وقد हमله بعض رجال الشرطة وأنوا به إلينا على خطوات من مكان الحادث : فقد كان نقله إلى إحدى المستشفيات أمراً شاقاً لديهم ؛ إذ لم يكن من السهل العثور على عربة إسعاف فى تلك الأيام المعقدة . وكان دومين موجوداً هناك ففحص الرجل . وبينما كنا نتأهب أطلعنى على نتيجة تشخيصه ؛ فاذا بكسور مفتحة فى الأعضاء والحوض ، ورضوض داخلية . ومعنى ذلك بإيجاز القول أن الأمر خارج عن اختصاص الطب .

\* كتبت هذه القصة خاصة لمجلة « الكاتب المصرى » .

معنى كلمة Sommeil : النوم .



وكان المصاب ملقى على النضد ، خائر القوى على أثر حقنتين ، غير أن نظرتة كانت متنبهة قلقة . له وجه فتي جميل الصورة ؛ قد كان ممكناً أن يكون ابني . وعند ما سألته مدام مرجريت سؤالها المهود : « من تريد أن نخطر بالحادث ؟ » أجاب : « لا تخطروا أحداً ! ليس لي أحد . » ووجه دومين إليه كلماته المألوفة بصوته القوى الحنون الذي كان دائماً يبعث الابتسامة على شفاه المرضى . ثم قدمني بطبيعة الحال كما اعتاد أن يقدمني : « إنك ترى أمامك أحدث صورة مجسمة للاله مورفي ، المسيو سومي ! أما ترى أنه اسم جميل ؟ إنه مدين لي أنا به . ومسيو سومي هو الذي سيرسلك الآن في نعم الأحلام ! » ظل بومبييه بادى الخوف ، بل بدا لي أنه ينظر إلى بقلق شديد ، نسيت أن أذكر أن المصاب كان يدعى بومبييه ، مارسيل بومبييه — حسب بطاقة تحقيق الشخصية التي عثر رجال الشرطة عليها في حافظته ، وقد صرح أحدهم أن بومبييه يقطن في مكان ما من مقاطعة اللورين حيث نشبت معركة لم يبق على أثرها شيء يذكر من تلك القرية . لم أكن أعلم شيئاً حينذاك عن الأوراق الزائفة . بل إذا أردت أن أكون صريحاً كل الصراحة فلا أقل إنني لم أكن أعرف شيئاً عن أي شيء على وجه الإطلاق ؛ فأنا لم أهتم قط بشؤون العالم . إن هناك قوماً اخصائيين في إدارة السياسة والحرب . . . الخ ، وكذلك في إفساد العلاقات بين الشعوب . كنت أمقت أشد المقت وجود الألمان بيننا ؛ لأنني لا أحب علم الجرمان ولا وحشيتهم ، وبالأخص بعد مجيء هتلر الذي لم يكن سوى حاكم مصاب بالصرع — هذا رأي فيه — ومع ذلك فإن وجود الألمان قد أشبعني أكثر من أي وقت مضى ، لا من لذة الأحلام بل من متعة الدراسة . فمنذ سنوات لا أستطيع ذكر عددها ، بدأت بحثاً عن التخدير هو في عقيدتي بحث له قيمته . ومنذ يوليو . ع وأنا أكتب كل يوم ثمانى صفحات بدلا من أربع . ولا شك أن مثل هذه الظروف جعلت من الصعب على أن أبرم كل البرم بالحياة ، غير أني أعترف كذلك أنني لم أكن لأفخر كل الفخر بمثل تلك الحالة النفسية .

تأهبت إذن لتتويع بومبييه بعد أن ربت على كتفه وأنا أتمم شيئاً كقولى : « سينقضى كل شيء على خير ما يرام . إنك تعلم . . . » وإني أسائل نفسي اليوم ماذا كان في استطاعته أن يحدد في تلك العبارة أو في لهجتها . لقد أجاب



في شيء من الحماسة : « إنني واثق يا دكتور ، شكرا يا دكتور . » وأغلق عينيه ثم فتحهما ، غير أنه حينما كنت أتأهب لوضع القناع ، بدت على وجهه مظاهر الجنون التام ، وحاول أن يرفع رأسه . سألته : « ألدريك ما تريد أن تصرح به ؟ » فألقى بنظرة على دومين ثم على الممرضات ، وعاد فخفض رأسه وتمتم قائلا : « كلا ! لا شيء . »

استغرقت العملية أكثر من ساعة ، كان بومييه مضطربا ، وكان نبضه يثير القلق ، ففزعت القناع بقدر ما استطعت . كان يئن ، وكان يسرف في الحديث ، بطريقة مفككة غالبا . حتى اللحظة التي ارتسمت فيها على شفتيه في سكون عبارة ، كررها مرات عدة ، وقد استطعت أن أتبين ما يأتي : « في يوم ١٢ الساعة الثالثة في مقهى سان جرمان ، يوم ١٢ الساعة الثالثة في مقهى سان جيرمان . »

لم يكن ذلك أول موعد أسمعته في تلك الحالات ؛ فقد خصصت فصلا كاملا عن هذا الموضوع في أول الجزء الثاني من كتابي . فقد أظهر المرضى تقريبا دائما إقبالا ولطفا كلما كنت أبيع لنفسى باسم العلم توجيه الأسئلة لهم أثناء إقامتهم في العيادة . أقصد الأسئلة التي تتميز بشئ من الندرة والابتكار والتي ربما كان من شأنها أن تجلو ناحية من نواحي الآثار الثانوية لمختلف المخدرات وبالأخص تلك التي كان لي فضل تركيبها بنفسى . غير أنى اعتبرت موعد بومييه من المظاهر العادية جدا ومن أكثرها تفاهة إلى حد أنى نسيته بمجرد عودتي إلى منزلى .

وفي يوم الثلاثاء التالى أخبرتنى مدام مرجريت أن مريضنا قضى ليلة عسيرة . وقد قلق دومين لذلك ، فصحبته عند ذهابه لرؤيته . كان المسكين يتصبب عرقا من تأثير الحمى ، وهو يخنق ويهذى . وأبلغتنا الممرضة المختصة بأن بومييه قد تتمم مرات عدة كما لو كان يصدر أمرا : « حذار إن في الفناء وقع أقدام . » وكذلك : « يجب ألا تذهبوا إن في الأمر شركا ! » فقال دومين وهو خارج : « إذا لم تهبط الحرارة غدا اعتبر الفتى هالكا . »

وفي صباح اليوم التالى كان الفتى أكثر من « هالك » كان ميتا . وقال لي دومين : « لن أعدل عن تفكيري بأن هذا الفتى ينتمى إلى حركة المقاومة ، وأنه واحد من أولئك الحالمين الذين يعتقدون في المعجزات ! أليس



ذلك رأيك يا سومي ؟ إنهم يتحمسون بقدر ما يستطيعون ، ويتآمرون . . . ثم تدهمهم عربة تمزق أوصالهم فاذا بأموورهم الصغيرة كلها يقضي عليها . . . » ثم نظر إلى دومين شزراً ( إلى أتذكر ذلك تماماً ) : « أترى لم يذكر لك شيئاً ؟ » فأجبت بصدق وإخلاص أن لا . وعلى أية حال لم يكن دومين يتمتع بشهرة طيبة فيما يتعلق بمصائبنا . وكانوا يتحدثون في العيادة — وقد تبينت ذلك بنفسى — أن دومين يفخر بكونه رجلاً « واقعياً » ، وأنه يتحدث بغير كراهية عن الألمان . ولو كان بومييه صرح لى بشئ ، لكتمته فى نفسى . وفيما كنت أفكر فى ذلك ، استكشفت بغتة أنه ربما أطلعنى على سر دون أن يريد : « يوم ١٢ الساعة الثالثة فى مقهى سان جرمان . »

أخذت أدفع عن نفسى ذلك الافتراض . فقد كنت دائماً أمقت كل شئ معقد . إن موعداً كهذا لا يمكن أن يتعلق إلا بذكرى واقعة مرت بخاطر بومييه أثناء نومه . أو هو هذيان لا صلة له بالواقع . أو إذا كان موعداً حقيقياً فربما كان مع امرأة أو قريب أو عميل أو صديق . وقد اعترفت فيما بينى وبين نفسى أن من المناسب حقاً فى تلك الحالة أن أذهب بنفسى إلى هذا الموعد وأن أبلغ الشخص أو الأشخاص الذين ينتظرون بومييه . وكان يوم ١٢ يوافق يوم أحد ، الأحد التالى . كل ذلك كان يمنعنى أن أحلظ المقاومة بهذا الحادث التعيس .

ولكن لا بد من القول إن عقلى ، عقلى الطيب العزيز ، الذى قادنى حتى الخمسين من غير ما تعثر ، قد أبى فجأة إلا أن يخذلنى . دهشت لذلك غاية الدهش . فقد تعذر على أن أشتغل فى مؤلفى مساء يوم الأربعاء ذلك ، أو يوم الخميس أيضاً ، أو الجمعة . . . وفى أثناء النهار كنت أمارس عملى وأنا أفكر فى شئ يختلف عنه كل الاختلاف ، ولم يكن ليتغير : المقاومة السرية و « يوم ١٢ الساعة الثالثة فى مقهى سان جرمان » . ولما كان لى نصيب من التخيل بالرغم من العقل والعلم ، فقد تصورت مشاهد محزنة تمر أمامى شبيهة ببعض اللوحات التى كانت دائماً تترك أثراً فى نفسى . ورأيت رجالاً يرتدون معاطف قاتمة يتسللون إلى جانب الحيطان ، وقد جردوا سيوفهم ، ورأيت جنوداً من الألمان يحاصرون مقهى بخوذاتهم المدببة — نعم ! فى حين أنى كنت أقابلهم كل يوم وعلى رأسهم الطاقية أو القبعة ذات الحافة المفلطحة



( كاسكيت ) . وتصورت بومييه حيا لأراه بعد ذلك يسقط مرة أخرى وقد اخترقه الرصاص . يوم ١٢ الساعة الثالثة : لم لا تكون الساعة الثالثة صباحا؟ مؤامرة في جنح الليل بعد وقف المرور وإطفاء الأنوار ، تحت ضوء القمر والسحاب . وبجاءة وجدت نفسى أستشير يومية البريد المعلقة في مكتبي لأرى هل ليلة الأحد ليلة مقمرة . إنها بالفعل ليست مقمرة . وقد جعلنى هذا الايضاح الدقيق الذى لا جدال فيه أثوب إلى رشدى . ولكنه لم يعد إلى الهدوء . فظلت مقتنعا بأن المقاومة لم تكن غريبة على مارسيل بومييه الذى كان يتم فى هذيانه : « لا يجب الذهاب إنه شرك . »

كنت أحدث نفسى : « يا أدريان ما شأنك بكل ذلك؟ إنك طبيب تقدم بلدك بطريقتك أى بالعمل على إنقاذ حياة بعض مواطنيك . لا تملك حق المجازفة بحياتك . لقد بدأت فى كتابة مؤلف قد يكسب فرنسا شرفاً فى مادة اختصاصه إذا أنجزته على الوجه الأكمل . إن الحرب والاحتلال والأزمة البغيضة التى تحتاج العالم ، كل ذلك ليس لحسن الحظ إلا أمراً موقوتاً ! إن العلماء لا يعرفون إلا ما هو خالد ونهائى . اترك للشبان من أمثال بومييه المسكين المخاطر ومجد محاربة الأعداء إذا ما توافرت لهم الوسائل . فلكل عمله . »

كان ذلك دليلاً على أنى رجعت إلى عقلى . وبما فتئت أرد نفسى عن الصعاب ليل نهار ، وبلا انقطاع . وقد عرف مسيو سومي السهاد كما لم يعرفه من قبل ؛ فقد كنت أنام دائماً كالطفل . وأخذت أكرر فيما بينى وبين نفسى : « لا يجب الذهاب ، إنه شرك . » وبطبيعة الحال لم يكن عندى من الأسباب ما يحملنى على الشك فى وجود أية صلة بين تلك العبارة والموعود . ولكن السبب الذى كان يجب أن يحملنى على تأكيد عكس ذلك ، كان يفتقر إلى الكثير من القوة بحيث لا يجعلنى أظن أن بومييه ربما كان يفكر فى تحذير أصدقائه : « بالأخص لا تذهبوا يوم ١٢ فى الساعة الثالثة إلى مقهى سان جرمان ! » أين أعثر بأولئك التاعسين ؟ فى باريس ، فى الأقاليم ، فى الناحية الأخرى من خط الحدود ؟ من الممكن أن يكون فى المقاومة رجال يستطيعون أن يعثروا على أصدقاء بومييه بوساطة علامات خفية ، وملاحظات سرية . تذكرت أنه أغلق عينيه ثم فتحهما بعد أن قال لى : « شكراً يا دكتور » . فلو كنت من صغبه فلعلنى كنت أدركت الطريقة التى يجب أن أسلكها . ولا ريب أن خلجة



عين مهما كانت بطيئة كتلك ، لم تكن واضحة المرمى كل الوضوح لجاهل مثلى .  
وفي مساء الخميس بعد أن تناولت بغير اهتمام طعامى البارد البسيط الذى  
تعدده لى خادمى كل صباح ، قررت أن الوقت قد حان فعلاً لأن أخرج بنتيجة .  
فأكدت لنفسى للمرة الأخيرة أنى لست بأية حال من المتأمرين ، وأنى لا بد أن  
أمحو فى الحال من ذاكرتى بومييه وموعده الطارىء ، وأن أعود إلى عملى .  
وقد عدت إليه فى التو . فكتبت فى تلك الليلة من الصفحات لا ثمانى بل عشرًا .  
وفى الغد — يوم الأحد — منذ الساعة التاسعة كنت فى طريق سان  
جرمان . وليصدقنى من يصدق : لقد كانت دهشتى عظيمة . إنى أقيم منذ  
خمس وعشرين سنة فى شارع بريزن بالقرب من طريق أورليان على بعد  
عشر دقائق بل أقل من العيادة . وكنت فى تروضى يوم الأحد أصل حتى  
متنزه مونسورى ، فأنا وإن كنت أسكن المدينة من زمن قديم ، أحب الطبيعة  
والخضرة والأشجار التى تريخنى قليلاً وفى كل شئ من مخدراتى العزيزة . فى  
ذلك ، ذلك الأحد ، ١٢ — وبدون أية فكرة مبيتة ، إنى أقسم على ذلك — عزمت  
على أن أغير مرة أسباب متعتى ، وأن أسلك طريق راسباي الذى يضارع أى  
متنزه . هبت فكرة الموعد فى رأسى ، ولكن بأية قوة ! فى الوقت الذى  
وصلت فيه إلى شارع جرينيل . وإن الذى زاد من ذهولى ، أننى عند ما  
ولجت طريق سان جرمان ، لم يكن بى حاجة إلى أن أسلكه . وكان أول  
متجر أبصرت به عن يسارى ، فى ركن من شارع دى باك ، وكان مفتوحاً  
على مصراعيه ، فى حين كان كل ما حوله من متاجر يختفى وراء الستائر  
أو خلف القضبان الحديدية . كان ذلك المتجر هو مقهى سان جرمان . وهو  
مقهى متوسط الاتساع ، وكان حينذاك خالياً ، والمقاعد مكدسة فوق النضد ،  
وكان الندل يغسل المقهى بمنشفة مطوحاً يديه ، وقد ارتدى صدرية سوداء  
وشمر عن ذراعيه .

أخذ قلبى يخفق بقوة مزعجة ، لم يكن لى عهد بها منذ أيام البورصة  
والسباق الغابرة . تنكبت طريقي وأنا أجر أذيال الفرار كاللص ، مع اجتنابى  
العودة إلى الخلف حتى لا ألفت نظر أحد . فالطريق وإن كان خالياً لا يمنع  
أن يكون فى النوافذ عيوناً راصدة ! عدت فسلكت طريق سان جرمان دى برى  
ثم شارع رين ثم محطة مونبارناس ثم طريق مين . غير أنى قبل أن أصل إلى



شارع بريزن غيرت رأيي . وسرعان ما ثققلت خطاي ، فخرجت من نفسي . لقد كنت جنديا ، مساعد جراح في حرب ١٤-١٨ ، وكنت غالباً في أكثر مراكز الاسعاف قرباً من الميدان ، لم يحدث أن منعت إلقاء القنابل أن أنام أو أن أنوم غيري . ما معنى هذا الذعر الراهن ؟ عند صعودي الدرج قلت في نفسي : « إذا بقيت على هذا الخوف ، فستعود إلى هناك بعد ظهر اليوم ، أنت تعلم ! ربما كان ذلك حماقة منك ، وربما أصبت بما لا يرضيك ولكنك سوف تعود . » ومن عادتي أيضاً يوم الأحد أن أتناول الغداء في مطعم صغير في الحي . حاولت أن أقرأ وأنا آكل . ولكن الذهن كان شارداً والقلب يهيج مضطرباً ، وقد تظاهرت بجهل تلك الحالة مدة الغداء كله . ولكن عند ما دفعت حسابي ، لم أتمالك أن تقرت على المائدة وقلت في نفسي : « بما أن الأمر كذلك فلتذهب » . لم يكن يوجد شيء يستطيع بعد ذلك أن يغير عزمي . وإني أؤكد وأشهد أنه لم يكن لبوميه أو للمقاومة أو للموعد أو لأي شيء آخر أثر فيما عقدت من عزم . لم أرض أن أقاسي ما كان يسميه زملائي في ميدان القتال : « رعدة العجائز » .

عدت إلى منزلي لأرتدي سترة السهرة السوداء . وفي الساعة الثالثة إلا عشر دقائق كنت مرة ثانية في طريق سان جرمان أمام المقهى . ولكن هذه المرة كان يفصلني عنه عرض الطريق كله . كان بعض المتنزهين يسرون متبادلين ، وكان الجو جميلاً . وكان الناظر يستطيع أن يميز زبونين أو ثلاثة زبائن من خلف الزجاج . أكان أولئك أصدقاء أم أعداء مارسيل بوميه ؟ وحزمت أمري على عبور الطريق .

عند ما أفكر في ذلك الآن ، أعترف بأن هذه القصة غريبة . كان يوجد في المقهى أولاً : سيدة بمفردها في مستقبل العمر وهي غاية في الأناقة ، من سيدات المجتمع ، كان يبدو عليها أنها تنتظر أحداً . ثانياً : شخصان يلعبان الشطرنج ومعهما ثالث جلس يتتبع اللعب ، في مستقبل العمر أيضاً ، وكلهم غارقون في التفكير . ثالثاً : رجل جدى المظهر في مثل سني ومظهره كان يطالع في مجلة لم أستطع أن أتميز عنوانها . وكان الندل هو نفسه الذي رأيته في الصباح ولكنه الآن يرتدي سترة بيضاء . كانت السيدة الجميلة تحسني نبذا مصفى في قرارة فنجان حسب عادات العصر . وكان اللاعبون الثلاثة



يحتسون نبيذا مصفى ، وكان معاصرى يحتسى نبيذا مصفى ، فطلبت نبيذا مصفى  
وفتحت جريدة كنت تعمدت أخذها . وتمشيا مع الطريقة الفنية الصالحة التي  
يسلكها رجال البوليس أو الجواسيس ، تركت نظرى يتسرب من فوق  
الصحيفة المبسوطة ، وكنت قد اخترت لجلوسى المقعد الأخير . وكان أحد اللاعبين  
يجلس على هذا المقعد نفسه . وكانت السيدة الشابة والرجل المسن يجلسان  
إلى نضدين أحدهما قريب من الآخر ، ووجهاهما متجهان نحوى . ونظرت إلى  
ساعتي من خلف الجريدة ، كانت الساعة الثالثة تماما .

لن أحاول أن أرسم صورة لكل الافتراضات التي أثارها فى انتباهى  
المتحفز . كانت هذه الافتراضات تتصادم ويهدم بعضها بعضا ثم تستيقظ لتتقابل  
من جديد فيما بينها . وقد بدأت أشعر بالضيق من هدوء هذا المقهى وسكونه .  
ورأيت نفسى غريبا لرغبتي فى رفض الأفكار التي كانت تتوارد على خاطرى .  
وإذ كان لا يوجد إلا شخص واحد يبدو عليه أنه ينتظر أحدا ، فلا بد أنه  
هو المقصود بالموعد . فالموعد إذن كان موعد غرام . لم تكن سهمتى إذن  
خطيرة ، بل أصبحت شاقة . وبينما كنت أفكر فى الطريقة التي بها أقرب  
من السيدة الشابة من غير أن تظن أننى أريد بها أمرا سافلا ومن غير أن  
أسترعى انتباه الزبائن الآخرين ، إذا بقى يبدو من الخارج ويندفع نحو السيدة ،  
ويضمها بين ذراعيه ، ثم يتشاجران فى صوت منخفض . وإني وإن كنت  
أعزب مسنا فقد مارست الحياة . وانسحب الاثنان وهما على أشدهما يكونان  
من العناق . وتنهذ الرجل المسن وهو يطوى بلمته ، وتبادل بعض العبارات  
مع الندل ، ودفع ثمن مشرويه ، ثم نهض وانصرف . هل كان على أن أتبعه ؟  
بقيت فى مكافئ . وقد تأثرت من جهود اللاعبين الثلاثة وعدم اهتمامهم ،  
لا أدري لماذا وبالأخص جهود الأشقر الطويل القائمة الذى كان يتتبع اللعب ،  
والذى كان يبدو مجذوبا برقعة الشطرنج مع أنه لم يكن يجرى عليها شئ ذو  
أهمية تذكر . لعله كان من شمال فرنسا ، بلجيكا ، سكندينايفيا ، ألمانيا . وكان  
الأخران أسما اللون يميلان إلى النحافة وليس فيهما ما يسترعى الانتباه .  
ربما كان اختبارى لهم مصحوبا بنظرة فيها كثير من الالحاح والامعان  
لم أفكر فى كبجها . أو ربما كانوا هم أحسوا بشئ من حب الاستطلاع نحوى .  
رفع جارى فى المقعد عينيهِ ووجههما إلى ، كانتا عينين على سواد يبعث الخوف ،



لا يعبران عن شيء ، ولا ينان عن أية عاطفة من أى نوع ، لا يشع منهما غير بريقهما ، كانتا عينين غريبتين . شعرت بنفسى أبتسم ببلهة ( وكنت لا أزال محتفظاً بالجريدة مبسوطة أمامى من غير أن أشعر ) ، ثم إذا بى أسمع صوته يرتفع ويسأل ، وأنا أحس بشعيرتى القليلة تنتصب فى رأسى : « هل تنتظر أحدا ؟ »

نظر إلى زميله لاعب الشطرنج ، ثم عاد يتطلع إلى كما لو كان يفحص مجبولا وقال : « هل يبدو علينا ذلك ؟ »

رأيت أن من الخير أن أخفض جريدتى . كان الاثنان الآخران يرمقانى هما أيضا ، اللاعب الثانى يحدقنى بالذهول نفسه . أما الأشقر فكانت نظرتة تتم عن عدم المبالاة التامة . اضطررت أن أنففس بشيء من العمق . ثم أجبت : « أطلب المذرة يا سادى . أنا الذى أنتظر شخصا . أنتظر شخصا عنده موعد هنا اليوم ١٢ فى الساعة الثالثة مع رجل يدعى مارسيل بوميه ! »

لم تتحرك لهم ساكنة ، بل كان وجومهم عظيما وسكونهم شديدا إلى درجة أنى تأكدت خفاء أنى لم أخطئ ، وفى الوقت نفسه كانت الرعدة التى سرت فى رأسى منذ لحظة ، قد تضاعفت . ولكن لم يكن أمامى مجال للاختيار . لو أن أولئك الرجال كانوا أعداء ، فأملى الوحيد فى الخلاص منهم هو أن أروى لهم قصتى كاملة صادقة . . . قلت من غير أن أنظر إلى أحد منهم . « يا سادى ، إنى لا أعرف من أنتم ! ولست أدري أنتم تعرفون أنتم مسيو بوميه أم لا تعرفونه ، وهل أنتم الذين كانوا على موعد معه أو لستم إياهم ، فذلك ليس من شأنى فى شيء ، وأنا بالأخص لا أريد أن أعلم شيئا ! أنا الدكتور أدريان . . . عنوانى ١٥ شارع بريزن ، إخصائى فى التخدير ، وهبت حياقت كلها للعلم . ليس لى مشاغل إلا إسعاف مواطنى من أى الجهات أتوا وأيما كانوا ؛ تأكدوا أنى لولا ذلك لما كنت الآن هنا . فى يوم الاثنين الماضى حوالى الساعة الحادية عشرة مساء ، حضر رجال الشرطة إلى العيادة التى أنتمى إليها يحملون رجلا صدمته سيارة ، ويدعى مارسيل بوميه . وكانت حالته يرثى لها . فأجريت له عملية فى الحال ، أجراها له زميلى الكبير الدكتور دومين المدرس بكلية الطب والذى أتشرف بمساعدته منذ نحو عشرين سنة ، والذى أدين له باسم مسيو سومي . وهكذا ترون علاقتى به ! أنا إذن



الذى نوّم مسيو بومييه . وأثناء عملية التنويم ، تتم كالتكم في حلم : « يوم ١٢ الساعة الثالثة في مقهى سان جرمان » . لم يستعد وعيه ، ولسوء الحظ توفي ليلة الأربعاء . لست أعرف أكثر من ذلك . في استطاعتكم أن تتحققوا من كل تلك الوقائع عند الأستاذ دومين ، وفي إدارة العيادة التي في شارع دنفير روشرو رقم ٨٥ مكرر .

« أما العبارة التي تلفظ بها مسيو بومييه فكنت الوحيد الذي سمعها لوجودي عند رأس المصاب . لم أبح لنفسي أن أقفلها إلى كائن من كان لأنني افترضت أنه سوعد غرامي ، فالحب له المكانة الأولى دائماً في النوم الصناعي . غير أنني وجدت من واجبي أن أحمل بنفسي إلى هنا النبا الأليم ، فقد صرح مسيو بومييه أنه من غير أسرة وأن منزله قائم في المنطقة الحرام . ذلكم يا سادتي كل ما كنت أريد أن أقول . »

وسحبت أطراف أكلمي إشارة إلى انتهاء الحديث . ولولا قشعريرة الرأس التي جعلت منظر شعري يرثى له أثناء حديثي القصير والتي ما كانت لتختفي ، لشعرت براحة كبيرة . ألقيت نظرة سريعة إلى رفاقي فاذا بمظهرهم يبدو كما كان في اللحظة الأولى . وأخيراً قال اللاعب الثاني : « مؤلم . . . » واتخذ مظهراً مؤدباً شارداً ، على حين لم يبد على الأشقر الطويل أدنى تأثر . أما الفتى ذو العينين السوداوين فلم يكف عن التطلع إلى . قال لي : « أيضاً يذكرك أن نسير قليلاً معاً ! »

خطرت في ذهني عبارة مبتذلة سمعتها مرة على لسان أحد الأصدقاء : « وقع الفعل ولا معين » فأجبت وأنا ألاحظ في شيء من الغبطة أن صوقي لا يرتجف : « كلا بالتأكيد كلا ! ولكنني أؤكد لك . . . » فقال الفتى : « إنني أصدقك يا دكتور . » ثم دعا الندل ، والآخرون لا ينبسان ببنت شفة .

دفعنا ثمن مشروبنا ثم نهضت واقفاً . وكانت دهشتي كبيرة عند ما وجدت جاري لم يتحرك . بل تتم بين أسنانه : « أين أستطيع اللحاق بك يا دكتور ؟ أتريد أن يكون ذلك في طريق راسباي بعد خمس دقائق ؟ ما عليك في هذه الحالة إلا أن تصعد نحو دنفير ! » ثم تركني أنصرف . تركني أنصرف ! كان في استطاعتي أن أتسلل خلسة إلى عمارة مجاورة وأن أختفي ! لو كنت ذكرت أسماء وعناوين زائفة لما كان في إمكان أحد أن يعثر علي ! اختفت



قشعريرة الرأس ، وخرجت من مقهى سان جرمان منشرجاً مبتهجاً كفتى في مقتبل العمر ، وفي الوقت نفسه كانت مغامرتي قد استثارتني ، فكان تعطشي شديداً إلى معرفة ما سيتبعها من أحداث . ومرت بي خواطر وتأملات جديرة بعالم نفساني عن مقدار جاذبية الأسرار وحب المغامرة الذي يحتفظ به في نفوسهم أكثر الرجال عقلاً منذ سنى الطفولة : يكفي أمر تافه لسكى يثيره من جديد . قطعت وأنا في ذلك التفكير مائتين أو ثلاثة مائة متر عند ما سمعت صوتاً إلى جانبي : « أنت يا دكتور ؟ آه إن ذلك يسرنى . . . ! »

ومد إلى الفتى أسود العينين يده ، وعلى شفثيه ابتسامة مغتصبة قليلا . ومن غير أن ينتظر حتى أفيق من هذه الصدمة الصغيرة الجديدة ، أخذ يتكلم . قال لي إن مارسيل بومبييه كان من خيرة أصدقائه بالفعل . وقد أسف لموته خصوصاً أنها عقدت أعمالها المشتركة . كانا قد تعاقدنا على موعد اليوم لأن صديقاً لهما مستخدماً في محل تجارى مثلهما ، وهو هولندي ، وكان يعنى الأشقر الطويل الذي رأيته في المقهى — قال إن صديقهما هذا كان سيصل إلى باريس في الصباح وكان لا بد من وجود سكن له . لم يرغب في الذهاب إلى الفندق مع أن كل أوراقه بالتأكيد مستوفاة ، إلا أنه كان لا يريد أن يدخل في علاقات مباشرة مع الألمان لوجود ما لست أدري من صعوبات في الترخيص لاستيراد بعض السلع . ومن الجلى أنه لم يكن يحب الألمان ، وبخاصة لأنه هولندي ؛ فالاحتلال هناك كان أقسى منه هنا . كان بومبييه سيحضر ومعه عنوان . ألم يذكر عنواناً قبل موته ؟ إنني رجل شهم كريم لأنني كابدت مشقة الحضور هذا اليوم ، وهو — أى الفتى — يطلعني على ضميره لا يخفى على شيتاً . ذلك ما قاله لي ، ولم يكن ما قاله إلا نسيجاً من الأكاذيب . يا لسيمون من شيطان بعينيه السوداوين ! إني مدين له بأعنف ذكريات حياتي . وهأنذا لا أشعر بأية رغبة في استعادتها ، فقد مات هو أيضاً بدوره .

سأوجز إذن مع أن نهاية القصة أقوى تأثيراً من أولها ، ولكنها تشبه قصصاً كثيرة غيرها . وإني ما زلت أسائل نفسي كيف بلغ بي الأمر حتى عرضت شارع بريزن لاقامة الهولندي ! استصعبه سيمون إلى هناك بعد أن جن الليل ، وكان ضيفي دائم السكوت جم الأدب ، وكان يحايل خادمي مجتنباً



أن تقع عليه عينها ساعتين كل يوم ، لمدة خمسة أيام ، كانت خادمي بعدها من الدوق بحيث انقطعت عن العمل لتضع غلاماً ، فحل الهولندي محلها . كان ذلك « الهولندي » إنجليزيا قومنداناً شاباً ، أرسله مكتب الاستعلامات البريطاني فهبط بواسطة المظلات في ليلة ١١ - ١٢ ، لكي يتصل بعدد كبير من شباكنا ومن بينها شبكة سيمون . وما بين غروب الشمس إقبال الليل كانت شقتي تشاهد سلسلة متصلة من أشخاص مجهولين يستصحبهم سيمون . وقد حاول مدة أن يستطرد في خرافة التجارة والاستيراد ، ولكني لم أستطع في ليلة من الليالي أن أمسك نفسي عن الضحك ، فذكر لي كل شيء أو ما يكاد يكون كل شيء ، بما في ذلك حقيقة جنسية الهولندي . ولما كنت أحسن قليلاً لغة شكسبير ، فقد تركنا التفاهم بالإشارات . وفي أوقات فراغنا أخذت أعلمه الفرنسية . ورجوني أن أحضر المحادثات ثم أن أشارك فيها . وكانوا يعدونني مستشاراً صالحاً لهم . وإني لم أشعر في يوم من الأيام في أي كشف من كشوف العلمية بمثل الغبطة التي شعرت بها في تلك الأشهر العجيبة . أفام القومندان أسبوعين ثم رحل إلى أجهة في الجور ، وعملت منذ ذلك الوقت مع سيمون وحده ، لم يشأ مطلقاً أن يتركني أشارك في عملياته ، ولم يكن بيننا موضوع شجار سوى ذلك . غير أنه لم يكن يعزم على شيء إلا استشارني - وقد نفعت المخدرات في مرات عدة . وكان قد أطلق على شبكتنا اسم « شبكة سومي » . وعند ما كرمتني السلطات بعد التحرير كان صغيري سيمون هو الذي يجب أن يكرم لا أنا . لقد قتل في طريق سان جرمان أثناء انسحاب الألمان ، على بعد قليل من المقهى . وقد أزعنا الستار عن لوحة من الرخام في مكان آخر معركة له . ولما كان الأمر متصلاً « بشبكة سومي » حرصت كلية الطب على أن تمثل فيه : فندبت الدكتور دومين . وهكذا تسير الأمور وقد عدت إلى بحوثي . وإني سعيد بأن أعلن عن نشرها قريباً .

كلود أنلين

فيليب سور موران ١٩٤٧

نقلها عن الفرنسية إلياس نعمان حكيم



## الصبغة المذهبية للصراع العالمى الحاضر

يعتقد كثير من الناس أن بذور حرب عالمية جديدة تبذر منذ اليوم فيا لشهده من الأحداث والمنازعات الدولية المستمرة ، وأنه ليس من العسير أن نتبين منذ اليوم طرفى النزاع فى هذا الصراع العالمى المستقبل ؛ فروسيا السوفيتية بما تلتزمه من مواقف التحدى والمعارضة المستمرة لسياسة الدول الغربية ، وبما تصر عليه من تمكين لسلطان الشيوعية فى شرق أوروبا وأواسطها ؛ والولايات المتحدة بما تجرى عليه من معارضة لمشاريع التوسع السوفيتية ، ومقاومة الخطط الشيوعية فى غربى أوروبا وجنوبها ، وتدعيم الجهات المناوئة لها . كلتاهما تحدد لنا بوضوح حقيقة المعسكرين المتنازعين فى الحرب العالمية المستقبلية .

وروسيا السوفيتية ، وأمريكا هما اليوم أعظم دول العالم وأزخرها بالموارد الطبيعية والقوى المادية . وما زال الجيش الأحمر ، الذى كان له أكبر الفضل فى سحق ألمانيا الهتلرية ، أعظم قوة عسكرية فى العالم . وما زالت أمريكا من جانبها فضلا عن قواها العسكرية الهائلة ، تستأثر بسر القنبلة الذرية أروع سلاح عرفته الحرب الحديثة . ولكن هذا الصراع الذى تبدو طلائعه اليوم بين هاتين القوتين العظيمتين ، لا تقف طبيعته وعوامله عند تنافس القوى المادية ، ولكنها ترجع إلى أصول وعوامل أخطر وأبعد أثراً ، هى الأصول والعوامل النفسية والأدبية والاجتماعية .

ومتى تحدثنا عن الولايات المتحدة كأحد طرفى هذا النزاع العالمى الخطير ، فيجب ألا ننسى أن بريطانيا العظمى ، تتفق مع الولايات المتحدة تمام الاتفاق فى اتجاهاتها وأهدافها السياسية الأوروبية والعالمية ، وفى مشاعرهما ومواقفهما إزاء روسيا السوفيتية . وإذا كانت الولايات المتحدة هى التى تتولى اليوم دون بريطانيا قيادة الجبهة المناوئة لروسيا ، فذلك لأن بريطانيا قد خرجت من الحرب مضعضة الموارد والقوى ، ولم يبق فى وسعها أن تضطلع بكثير من أعباء



المقاومة الفعلية لخطط روسيا ، وزحف الشيوعية الدولية . ولكن من الواضح الجلى أن أمريكا وبريطانيا تعملان معا فى هذا الاتجاه بتفاهم تام وتعاون وثيق ، حيثما أمكن ذلك ، كما هو حادث فى اليونان وتركيا وإيران .

ولا تتردد روسيا فى أن ترمى أمريكا وبريطانيا بأنهما تتبعان سياسة استعارية جشعة ، وأن بريطانيا ما زالت تتمسك بسياستها الامبراطورية العتيقة ، فى التسلط على طرق البحار واستعباد الشعوب الحرة ومقاومة أية دولة أخرى تحاول التوسع المشروع ، أو افتتاح الأسواق الجديدة ؛ وأن أمريكا التى دخلت الحرب متظاهرة بنصرة الحرية والديموقراطية ، وتأييد حقوق الانسان ، ومصاير الشعوب الحرة ، قد انزلت كذلك إلى ميدان الاستعمار ، والتوسع الاقليمى والاقتصادى ، معتمدة على سياسة الدولار والاستعباد المالى . وترمى الجبهة الأمريكية البريطانية روسيا السوفيتية من جانبها ، بأنها تتبع سياسة التوسع القيصرية القديمة ، وتعمل على استعباد الشعوب السلافية والبلقانية ، وتحاول جاهدة إحباط كل محاولة تبذل لتسوية مشكلات ما بعد الحرب ، والعمل على بث الفوضى والدمار فى أوروبا ، كى تقوض أسس النظم الديموقراطية ، وتطغى الشيوعية المدمرة على الشعوب الأوروبية .

والواقع أن هذه التهم المتبادلة بين الفريقين المتنازعين ليست إلا مظاهر لطبيعة المعركة الحقيقية التى تضطرم بينهما ، والتى ترجع كما قلنا إلى عوامل نفسية وأدبية واجتماعية . فالاتحاد السوفيتى يعيش منذ ثلاثين عاماً فى ظل نظم ومبادئ اجتماعية واقتصادية خاصة تصطبغ باللون الشيوعى . وما فتئت الدول الغربية ، التى تعيش فى ظل النظم الفردية الحرة ، وفى مقدمتها بريطانيا وأمريكا ، ترى فى هذه النظم الشيوعية خطراً اجتماعياً على نظمها الحرة ، يجب تجنبه والقضاء عليه . وقد قطعت روسيا البلشفية فى بداية عهدها أعواماً طويلة ، وهى تعيش فى شبه عزلة اقتصادية وسياسية تامة ، تقاطعها الدول الغربية ، وتخشى أن يكون الاتصال بها وسيلة لتسرب الخطر الشيوعى إليها . وكانت روسيا البلشفية يومئذ تدفعها همى المبادئ الجديدة تذهب فى غلوها إلى حد اتخاذ الثورة العالمية شعاراً لها ، ومحاولة بث بذورها أينما استطاعت بمختلف الوسائل السرية والعلنية . وقد أسفرت محاولات موسكو والدولية الشيوعية التى تحتضنها وتوجهها يومئذ عن وقوع سلسلة من الاضطرابات الشيوعية



الخطيرة فى عدة دول أوربية . ولما جنحت موسكو إلى نوع من الاعتدال بعد ذلك بعدة أعوام ، وانضمت إلى عصبة الأمم ، وقع نوع من التقارب المقرون بالحذر بين روسيا البلشفية والدول الغربية . بيد أن الولايات المتحدة الأمريكية لبثت على جفائها وعدم اعترافها بالحكومة البلشفية حتى الحرب العالمية الثانية .

وقد كانت الحرب الكبرى أو الحرب العالمية الأولى صراعاً فى سبيل التوسع والنفوذ العالمى واجتناء المغامرات الاستعمارية . ولكنها لم تصطبغ بمثل الصبغة المذهبية العميقة التى اصطبغت بها الحرب العالمية الثانية . ذلك أن المبادئ المركسية التى اتخذتها روسيا البلشفية فيما بعد سنة ١٩١٧ شعاراً لم تكن بالرغم من قيام الأحزاب الاشتراكية والشيوعية فى معظم الدول الأوربية قد حققت بعد أى ظفر على . فلما انتهت الحرب العالمية الأولى بسحق ألمانيا الأبراطورية ، كانت الثورة البلشفية قد استطاعت من جانبها أن تتم القضاء على القيصرية والبورجوازية الروسية ، وأن تجعل من روسيا أول دولة شيوعية فى التاريخ . ومن ذلك الحين تبدأ الحرب المذهبية بين روسيا البلشفية ، والدول الغربية . وكانت أول مرحلة فى هذا الصراع محاولة الدول الغربية أن تقضى على الثورة البلشفية فى مهدها ، وذلك بأن تدفع العناصر المناوئة والرجعية إلى محاربة الدولة الشيوعية الجديدة . وهكذا توالى حملات « الروس البيض » أو الخارج على الثورة على روسيا البلشفية تؤيدها وتدعمها الدول الغربية بالمال والسلاح . ولكن روسيا البلشفية استطاعت بعد كفاح دام أربعة أعوام أن تسحق هذه الحملات واحدة بعد أخرى ، وتوطدت دعائم الدولة الجديدة بسرعة ، وأخذت الدول الغربية تسلم بالأمر الواقع وتعمل تباعاً على تنظيم علاقتها السياسية والتجارية مع روسيا .

بيد أن النضال مع البلشفية لم يلبث أن اتخذ مظهراً آخر . ذلك أن القوى الرجعية فى إيطاليا استطاعت أن تضرب الحركة الشيوعية فى الصميم ( سنة ١٩٢٢ ) بعد أن تفاقمت ولاح للعالم أنها على وشك الظفر بأن تفرض سلطانها ونظمها على إيطاليا . وقامت الدولة الفاشستية فى إيطاليا تمنع فى مبادئ الطغيان وتضمحل للديموقراطية والبلشفية بالأخص أشد العداء . وكما أن البلشفية كانت ترنو إلى الزحف فيما وراء الحدود الروسية . وتعمل بكل



ما وسعت على تنظيم الحركات والثورات الشيوعية أينما استطاعت ، فكذلك زعمت الفاشستية أن رسالتها لا تنحصر داخل إيطاليا وأنها سوف تعمل على بث مبادئها ومكافحة الشيوعية أينما استطاعت . ونشأ من تلك اللحظة بين البلشفية والفاشستية صراع مذهبي مضطرب ، لبث أعواماً ظاهرة النضال الدولى فى أوروبا . ولما وثبت الاشتراكية الوطنية الألمانية أو النازية بعد ذلك بأعوام واستولت على مقاليد الحكم فى ألمانيا ظهرت على الشيوعية حرباً لا هوادة فيها ، وسحقت الحركة والأحزاب الاشتراكية والشيوعية فى ألمانيا كما سحقت كل نزعة ديمقراطية أوحرة بأشد الوسائل وأشنعها . ولم تكن النازية سوى حركة طغيان مطبق من أعنف وأفطع ما عرف التاريخ . وسرعان ما كشفت النازية عن خصومتها المضطربة للبلشفية والدولة التى تنضوى تحت لوائها . وسرعان ما تفاهمت النازية والفاشستية على انشاء جبهة « إيديولوجية » موحدة لمناوأة البلشفية والديمقراطية كلها ، وكانت الحرب العالمية الاسبانية أول مسرح لهذا الصراع « الايديولوجى » ؛ إذ هزعت إيطاليا الفاشستية وألمانيا النازية لمعاونة قوات فرانكو الرجعية ، وهزعت روسيا البلشفية لمعاونة القوات الجمهورية الاشتراكية ، ومنيت الاشتراكية والديمقراطية فى أسبانيا بأول هزيمة عملية فانهارت الجمهورية الاسبانية ، وقامت حكومة فرانكو العسكرية الفاشستية حتى يومنا .

وفى الأعوام الثلاثة التى سبقت الحرب العالمية الثانية لم يك ثمة شك فى خطورة اللون المائى « الايديولوجى » الذى تصطبغ به المنازعات الدولية . ولم تأت سنة ١٩٣٧ حتى تألف محور رومه - برلين ، وانقسمت أوروبا بصورة جلية إلى معسكرين خصيمين هما معسكر الفاشستية المكون من ألمانيا وإيطاليا والدول التى تعطف عليهما ، ومعسكر الديمقراطية المكون من بريطانيا العظمى وفرنسا وباقى الدول الغربية . وكانت روسيا يومئذ بمعزل عن المعسكرين ، وكان يظن مع ذلك أنها بالرغم من صبغتها الشيوعية أكثر عطفاً على المعسكر الديمقراطى وأقرب إلى التفاهم معه . ومن ثم فإن تفاهمها قبل نشوب الحرب مع ألمانيا الهتلرية ألد خصومها وأخطرهم كان له وقع الصاعقة فى المعسكر الديمقراطى وكان مفاجأة مدهشة للعالم كله . بيد أنها لم تلبث أن تكشفت على حقيقتها :



وبالرغم من أن الحرب العالمية الثانية بدأت فى الظاهر لأسباب وبواعث إقليمية بيد أنه لم يك شك منذ البداية فى لونها المذهبي العميق . ولم يخف هتلر منذ الساعة الأولى أن يشهر الحرب على الديمقراطية والنظم الرأسمالية المستقلة ، وهى التى ترتب على قيامها حصار ألمانيا الاقتصادية وحرمانها من ثمار كدها وخفض مستوى العيش فيها . كذلك لم يخف هتلر وسادة الحرب الجرمانيين أنهم يعملون على فرض سيادة الجنس الجرماني ( الآرى ) وتمكينه من الرياسة التى يؤهله لها تفوقه على سائر الأجناس الأخرى . وما فتئت بريطانيا العظمى من جانبها تؤكد أنها تحارب لمقاومة الطغيان الفاشستي وإتقاذ النظم الحرة والشعوب الديمقراطية مما يهددها من ضروب الذلة والاستعباد السياسى والاقتصادى الذى تحاول الفاشستية فرضه عليها .

ولما كشف هتلر القناع وغزا روسيا السوفيتية فى صيف سنة ١٩٤١ عاد يردد نغمته القديمة فى وجوب سحق البلشفية وإتقاذ العالم من خطرها المدمر . ومع أن الغزو الجرماني لروسيا يرجع إلى بواعث كثيرة أخرى فانه لم يكن ثمة شك فى اللون المذهبي « الايديولوجى » العميق الذى كان يطبع الصراع بين البلشفية والنازية . وهنا وقع تحول جوهرى فى سير هذا النزاع ؛ فان بريطانيا زعيمة الجبهة الديمقراطية يومئذ لم تتردد فى الوقوف إلى جانب روسيا إزاء خطر النازية المشترك . وفى نهاية هذا العام أيضاً ( ١٩٤١ ) وقفت أمريكا إلى جانب روسيا البلشفية ، وذلك حينما نزلت اليابان إلى الميدان لتحارب أمريكا وبريطانيا وتؤيد بذلك مجهود النازية الحرى . وانتظم بذلك الثلاث « الديمقراطى » العتيد ضد النازية والفاشستية ، وأسبغت الصفة الديمقراطية على روسيا البلشفية ، وذلك بالرغم من كل ما أسبغ من قبل على النظام البلشفى ووسائله من النعوت المفزعة والغايات المدمرة ، واستُحل كل اعتبار وتنوسى كل خلاف لتوطيد المجهود المشترك ضد النازية والفاشستية . وألفت الصفة المذهبية أو الايديولوجية للحرب العالمية الثانية أقوى تأييد وأصدقه فى ميثاق الأطلنطيق الذى وقعته الدول الثلاث حتى قبل أن تدخل أمريكا الحرب . ففى هذا الميثاق تؤكد الدول الديمقراطية الثلاث أنها تعمل لسحق الاستبداد النازى كي تستطيع الأمم أن تعيش فى دائرة حدودها بسلام ويستطيع الناس فى جميع أنحاء العالم أن يعيشوا بمأمن من الشقاء والخوف . وألفت هذه



« الايديولوجية » صدهاها القوى قبل ذلك فى ميثاق الحريات الأربع الذى أعلنه الرئيس روزفلت فى رسالته إلى الكونجرس ، وهى حرية القول والرأى وحرية العبادة والتحرر من الخوف والتحرر من الفقر ، وكلها مما تنكره النازية والفاشستية أشد الانكار .

وكان القضاء على النازية أحد الأسس الجوهرية التى وضعت منذ مؤتمر القرم لتطبيقه على ألمانيا المهزومة . ولما تم سحق الجيوش الهتلرية وسلمت ألمانيا لأعدائها الظافرين بلا قيد ولا شرط ، وضع الحلفاء نصب أعينهم مطاردة النازية والعمل على سحقها بكل وسيلة . واعتبرت النازية جريمة واعتبر معتنقوها ودعاتها مجرمون يعتقلون ويحاكون . وما تزال محاكم الحلفاء العسكرية فى مناطق ألمانيا المحتلة مشغولة بمحاكمة النازيين وإصدار أقصى الأحكام عليهم . وقد حلت جميع التشكيلات النازية وطوردت بشدة ، وشرذ النازيون أو من تعلق بهم ريبة النازية من أعمالهم ووظائفهم . وهكذا غدت ألمانيا النازية نقمة على كل من اعتنقها أو عمل فى ظلها . وعمل الحلفاء فى نفس الوقت على إحياء العناصر الاشتراكية والديمقراطية القديمة التى قضى عليها هتلر لتكون نواة لحياء الفكرة الديمقراطية فى ألمانيا وإنشاء ألمانيا الديمقراطية المستقبلية .

على أن هذا الصراع المذهبى الذى طبع الحرب العالمية الثانية لم ينته بتحطيم الجبهة الفاشستية وظفر الجبهة الديمقراطية ، ولكنه ينشب اليوم بين حلفاء الأمم بصورة واضحة ، وتنشق « الجبهة الديمقراطية » القديمة على نفسها بعد أن وحد بينها الخطر المشترك مدى حين . والواقع أن التحالف بين روسيا البلشفية والدول الغربية خلال الحرب لم يكن أمراً طبيعياً ، ولكنه كان نتيجة محتومة لنبوق الجبهة الفاشستية خلال الحرب وللخطر المشترك الذى يهدد البلشفية والديمقراطية على السواء . ولم تنس روسيا البلشفية قط ما يفرق بينها وبين حلفائها الديمقراطيين من الفوارق المذهبية الجوهرية . ولم تنس بريطانيا وأمريكا أنهما تعملان مع المارد البلشفى الذى طالما توجستا شرا من خططه ومبادئه الثورية وطالما رغبتا فى تحطيمه وسحقه .

ومن ثم فانه ما كاد لواء النصر يعقد « للأمم المتحدة » ويتم القضاء على ألمانيا النازية حتى ظهرت بوادر الخلاف واضحة بين حلفاء الأمم ، وأخذت



روسيا السوفيتية تتردد سراعاً إلى حظيرتها القديمة وتجربى فى سياستها الخارجية على طريقتهما الخاصة وتحرص على تحقيق أهدافها القومية والدولية القديمة ، وتحركت المنافسات القديمة بين الفريقين فى سبيل التوسع السياسى والاقتصادى ، وظهر هذا الخلاف فى أشد صورة فى سائر الاجتماعات والمؤتمرات المشتركة التى عقدت فى العامين الأخيرين بين روسيا السوفيتية وحلفائها بالأمس : فى مؤتمر بوتسدام وفى مؤتمر موسكو وفى اجتماعات مجلس وزراء الخارجية وغيرها وكذلك فى هيئة الأمم المتحدة التى غدت مسرحاً لنضال مضطرم مستمر بين بين روسيا والدول الغربية .

ويتخذ هذا الصراع المذهبى بين روسيا البلشفية والولايات المتحدة صوراً عملية لا شك فى خطورتها . فالاعتمادات الضخمة التى أقرها الكونجرس ( البرلمان الأمريكى ) منذ بضعة أشهر لمساعدة اليونان وتركيا ، والاعتمادات التى طلب الرئيس ترومان إقرارها أخيراً لمساعدة فرنسا وإيطاليا والنمسا ، والبرنامج الشامل الذى وضعته أمريكا لتعمير دول أوروبا الغربية وإنهاضها وهو المعروف ببرنامج مارشال ، تنبئ كلها بما تنطوى عليه من تضحيات ضخمة عن عزم أمريكا الراسخ على العمل بكل ما وسعت لتقوية الحواجز الأوربية ضد الزحف الشيوعى ، وحماية الدول التى تتعرض أكثر من غيرها للضغط الشيوعى ومطامع السياسة البلشفية ، ومعاونة الدول الغربية على مكافحة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التى تهددها بالدمار والفوضى لتكون أكثر مقدرة وجلداً على مقاومة الخطر الشيوعى الذى يلوح اليوم منذراً فى أفق الكثير منها ولا سيما إيطاليا والنمسا وفرنسا .

ولم تحجم روسيا التى ترى أن السياسة الأمريكية الرأسمالية ترمى إلى تطويقها والعمل على تقويض نظمها وثورتها عن الرد ؛ فقد عملت على إحياء الكومنترن أو الدولية الشيوعية التى ألفت خلال الحرب لتعمل على تقوية الجبهة الشيوعية فى أوروبا بوسائلها الخاصة ، وجعلت مقرها فى بلغراد على مشارف البلقان وإيطاليا . وقد ظهر أثر نشاط الدولية الجديدة واضحاً فى القلاقل الشيوعية التى قامت أخيراً فى إيطاليا وفرنسا ، وفى التقريب بين دول البلقان وشرق أوروبا الخاضعة لنفوذ روسيا ، وارتباط رومانيا ويوجوسلافيا وبلغاريا وألبانيا ثم الحجر ورومانيا بمعاهدات عسكرية واقتصادية تجعل منها كتلة موحدة تحت



إشراف موسكو وتوجيهها . وتجدد روسيا فى الوقت نفسه فى تقصى أسرار القنبلة الذرية ، ولعلها قد ظفرت بها إذا صدقنا تصريحات الرفيق مولوتوف . وما زال مستقبل ألمانيا محوراً للصراع بين روسيا وبريطانيا وأمريكا ؛ إذ تريد الدولتان الغربيتان أن تجعلا من ألمانيا حاجزاً ضد البلشفية ، وتريد روسيا أن تظفر من الإشراف على مصائر ألمانيا الاقتصادية بأكبر قسط ، وتريد أن تحصل من موارد ألمانيا على أعظم نصيب ، وتعارضها أمريكا وبريطانيا فى هذه السياسة . ويبدو الاصطدام الروسى الأمريكى أوضح وأشد حيثما تعلق الأمر بمصالح استراتيجية أو بترولية حسبما يحدث فى شرق البحر الأبيض المتوسط وفى كوريا والصين وإيران .

وهكذا تضطرم المعركة بين الجبهتين الروسية والأمريكية البريطانية سافرة يبدو لونها المذهبى واضحاً لا خفاء فيه ، فهى معركة البلشفية والرأسمالية ، وهى فوق ذلك معركة التوسع والنفوذ العالمى . وأخطر ما فيها نزعتها المذهبية التى ما فتئت منذ ثلاثين عاماً تهدد سلام العالم والتى كانت أكبر عامل فى اضرام نار الحرب العالمية الثانية . فإذا لم ينجح الفريقان المتنازعان إلى نوع من التهدان والتفاهم ، وإذا استمر هذا الصراع بينهما على اضطرامه ، فانه سوف يفضى بلا ريب إلى نتيجته الطبيعية ، وهى تسميم الأفق الدولى والتمهيد المنظم لقيام حرب عالمية جديدة ، يحاول كل من الفريقين فيها أن يقضى على الآخر وعلى مبادئه ونظمه بطريقة حاسمة . وقد تطول نذر هذا الانفجار الجديد أعواماً ، ولكنه سوف يقع فى النهاية إذا استمر كل فريق فى إصراره على موقفه وغاياته ومثله .

محمد عبد الله عنانه



## بين الدلتا والصعيد

في مقال سابق<sup>(١)</sup> تحدثنا عن عصر ما قبل التاريخ والحضارات المختلفة التي نشأت في شمال مصر وجنوبها ؛ وخرجنا بعد استعراض تلك الحضارات بأنه حتى في ذلك العهد السحيق ، الذي نستطيع أن نرجع به في القليل إلى ... سنة قبل الميلاد ، كانت هناك اختلافات ظاهرة في المدنية والحضارة عامة بين شمال مصر وجنوبها . ومع ذلك فلم تلبث تلك الاختلافات أن تداخل بعضها في بعض وأكل بعضها بعضاً ، فالتحد مظهر المدنية واتخذت مصر طابعها الحضارى العام قبل أن يطلع فجر التاريخ . وقد يكون من المفيد في هذا المقال أن نحاول أن نتتبع أسس الاختلاف بين شمال مصر وجنوبها ، وما يمكن أن نربطه به أو أن نرده إليه من اختلافات في الطبيعة بين ما اصطلاح الناس على أن يسموه الدلتا والصعيد في وادى النيل ، وأن نحاول من جهة أخرى أن نعلل مظاهر الترابط والتكامل في الحياة المصرية وفي حضارة مصر التاريخية ، مما كانت تقضى به عوامل الوحدة الطبيعية بين وجهى مصر ؛ تلك الوحدة التي سبق أن تحدثنا عنها إلى القراء في أكثر من مقال .

وقد يحسن بنا أن نلج الموضوع من باب ، فنشير إشارة عارضة إلى تاريخ نهر النيل وتطوره الذى أدى إلى تكون البيئة الطبيعية في كل من الدلتا والصعيد . ذلك أن نهر النيل وإن كان من أعظم أنهار الدنيا ، إن لم يكن أعظمها ، من حيث جريانه وطوله وانتظامه ، ومن حيث إنه كان أول نهر عظيم قامت عن ضفافه مدنية مستقرة عريقة في القدم ؛ فانه مع ذلك نهر حديث جدا من الناحية الجيولوجية . ومن الثابت الآن أن منابعه الحبشية التي

(١) «الكاتب المصرى» عدد ٢٩ (فبراير ١٩٤٨) .



تجلب الغرين والطمى الدقيق الذى يكون تربة مصر الخصيبة ، لم تكن في أول الأمر تتجه مياهها نحو الشمال ؛ بل إنها لم تتصل بنيل النوبة ومصر إلا في عهد جيولوجى متأخر . حتى إنه ليقال على وجه التقدير إن طمى الحبشة لم يصل مصر إلا منذ نحو اثني عشر ألف عام ؛ بل إن اتجاه العلماء يرمى الآن إلى اختصار تلك الفترة ، واعتبار وصول طمى الحبشة في أدنى وادى النيل أحدث من ذلك . والشئ المهم أنه قبل أن يصل الطمى الدقيق كان النيل الأدنى يعتمد في جريانه على الأمطار المحلية التى تسقط في مصر وبلاد النوبة ؛ وكانت تلك الأمطار المحلية تجلب الحصى والحصباء والرمال الخشنة فتتردم بها الوادى وتنتشرها في قاع ما صار بعد ذلك دلتا النيل . حتى إذا ما انقضى العصر المطير في مصر وبلاد النوبة ، وانقطع مورد المواد الخشنة من رواسب نهر النيل ، كانت يد الخليفة المبدعة قد حولت مياه الحبشة — لأسباب جيولوجية لا داعى لأن نسميها الآن — فاندفعت تلك المياه نحو مصر وفرشت أرضها بطبقة رقيقة من الطمى ، هى التى استقر عليها الانسان وأخذ يفلحها منذ العصر الحجري الحديث .

ولكن استقرار الانسان في مصر ، وادبها ودلتاها ، لم يأت دفعة واحدة ، وإنما جاء تدريجياً منذ مطلع العصر الحجري الحديث . فنزل الانسان من الصحارى وعاش أول الأمر على الحافات الخارجية لوادى النيل . ولم يكن اتصال الانسان إذ ذاك بمجرى النيل قويا ولا مباشراً ؛ وإنما هو في الحقيقة كان يعيش بين الصحراء والوادى . فكان يلتمس الصيد في بعض الأحيان بين الحيوانات التى تسرح في الصحراء ولكنها تهبط الوادى سعياً إلى الماء لا سيما في فصل الجفاف ؛ كما كان يزرع بعض الحبوب ويلتقط بعض الثمرات أو يرعى بعض ما يستأنس من الحيوان فوق أرض الوادى وعلى حافات دلتاه . وعلى ذلك فلا بد لنا أن نتصور أن حياة الانسان في مصر كانت بين الصحراء والوادى . ويبدو أنها بقيت كذلك خلال العصر الحجري الحديث ، وأنها احتفظت ببعض أمارات الاختلاط فيما تلا ذلك من أوائل عصر بداءة المعدن ؛ حتى إذا ما انتصف العهد الذى نسميه ما قبل الأسرات أى في أوائل الألف الرابعة قبل الميلاد ، نزل سكان حافات الوادى إلى قاعه ، وأخذوا يعيشون في جوار مجرى النهر ، ويقسمون أرض الوادى والدلتا إلى حياض مربعة أو



مستطيلة ، وينظمون مياه الفيضان ، حتى تجرى إلى الحياض فتغطيها بالطمي تغطية منتظمة ، ثم تنصرف عنها انصرافاً مضبوطاً محكماً . لتعود إلى مجرى النهر من جديد ، وتنصرف آخر الأمر إلى البحر ، بعد أن تغذى أرض الوادى والدلتا بأغلب ما تحمل من طمي وغرين . ولعل السبب الأكبر في نزول السكان إلى قاع الوادى وأرض الدلتا أن النيل قد بلغ في هذا الطور مرحلة خاصة من الأرساب ، فاستطاع أن يردم قاع واديه ، وأن يزيل منه المستنقعات والمسطحات المائية التى تعوق الفلاحة والاستقرار فوق الأرض . فضلاً عن أن صحارى مصر كانت قد ازدادت جفافاً في هذا الدور ، فلم يعد في طاقة السكان أن يعيشوا بين الصحارى والوادى كما كانوا يفعلون من قبل ، بل إنهم اضطروا إلى أن يزداد اعتمادهم على فلاحة الأرض وتنظيم استغلال مياه الفيضان فى الرى والزراعة وفى استنبات ما يحفظ الحياة على الانسان والحيوان فى أرض هذا الوادى الخصيب .

ولقد كان نزول السكان إلى قاع الوادى نقطة تحول خطير فى حياة مصر والمصريين . بل إننا لا نبالغ إذا اعتبرنا هذا التحول إيذاناً بارتباط الانسان ببيئة فى مصر ارتباطاً مباشراً هو الذى لم يلبث أن انتهى إلى ظهور « العصبية الاقليمية » فى صورة محلية أول الأمر ، ثم إقليمية واسعة بعد ذلك ، ثم فى صورة قومية تشمل الوطن كله آخر الأمر . ولقد قامت هذه العصبية الاقليمية على أساس ارتباط حياة السكان بالأرض ارتباطاً مباشراً ؛ كما قامت أيضاً على أساس أن جهود الانسان تركزت فى بقاع معينة من أرض الوادى أو الدلتا هى التى أقيمت حولها الجسور لتحديد الحياض ، وهى التى شقت فيها القنوتات لتحمل ماء النيل إلى الحياض أو لتصرفه عنها ، وهى التى أقيمت فوقها كومات التراب العالية لتقام على ذراها القرى فوق مستوى الفيضان ، ثم هى التى تفلح وتحرس مزارعها حتى تجنى ثمارها وتخصد حبوبها ، ثم هى أخيراً التى يرمى فوقها المستأنس من الحيوان بعد أن جفت الصحارى ولم يبق من مرعى غير أرض النيل . لذلك كله قد ارتبطت جهود مجموعات البشر بقطع معينه من أرض مصر ؛ وحل ما نسميه الوحدة « الاقليمية » محل ما كان يعرف بالوحدة « القبائلية » ؛ وقسمت أرض مصر بطريقة آلية إلى مناطق أو « أوطان » صغيرة ، انتشرت ، وجاور بعضها بعضاً على طول الوادى وفى دلتاه . ونستطيع



أن نتعرف شيئاً عن تلك الأوطان الصغيرة القديمة فيما خلفه لنا أهلها الأولون من آثار قديمة ، أغلبها من آنية الفخار التى رسمت عليها القوارب ، مما يدل على استخدام النهر فى الملاحة ، وعلى ارتباط حياة الانسان بمياهه الجارية ، ارتباطاً يبرز فى صورة جلية فى أواسط عصر ما قبل الأسرات ؛ ويزداد قوة كلما جرى به الزمن . وعلى هذه القوارب رسم أولئك الأولون علامات أو «شارات» تميز مختلف الأقاليم . وكانت هذه الشارات أقدم «أعلام» عرفها التاريخ ؛ فكان كل وطن صغير يعتز بشارته ؛ وكان الكفاح بين إقليم وإقليم يتمثل فى اعتلاء شارة على أخرى . وهكذا احتكت الأقاليم وتداخلت الشارات حتى انتهى الأمر بها جميعاً إلى ظهور وجهين اثنين لمصر ، هما الدلتا والصعيد ، قبيل أن يتحد القطر كله تحت إمرة نارمر الذى اشتهر فى التاريخ باسم مينا ، فرعون مصر الأول .

ولكننا لن نستطيع أن نتفهم الكفاح بين الدلتا والصعيد تفهماً صادقاً صحيحاً ، ولا أن نعلل ما نلاحظه خلال أعصر التاريخ حتى يومنا الحاضر بين شمال مصر وجنوبها من اختلافات فى حياة السكان وتكوينهم ومشاربهم واتجاه ثقافتهم . . . لن نستطيع أن نتفهم ذلك دون أن نرجع إلى الطبيعة مرة أخرى ، فنحاول أن نكشف عما هناك من اختلاف فى البيئة والموقع والظروف الجغرافية المختلفة التى تسود الدلتا من جهة ، وتسود الصعيد من جهة أخرى .

والدلتا إقليم فسيح تمتد فيه الأراضي ذات اليمين وذات الشمال ، وتجري فوقه فروع النيل العديدة ، تجتمع لتفترق ، وتنثنى لتتشابك ، وينحدر بعضها نحو الشمال الشرقى وبعضها الآخر نحو الشمال الغربى . وتختلف الأراضي فى الدلتا ، فبعضها مرتفع تقل فيه المستنقعات ، وبعضها منخفض تسوده الأحراش أو تغطيه المياه ، وبعضها رملى على الجوانب خفيف التربة ، وبعضها الآخر طينى متماسك ثقيل التربة . ثم إن جنوب الدلتا قريب من قلب مصر بعيد عن البحر ، تقل به الأمطار فهو يعتمد على مياه النهر اعتماداً كلياً ؛ على حين أن شمالها قريب من البحر ، يسقط به من المطر ما يجعله أقل اعتماداً على مياه النيل من بعض الوجوه ، وتكثر به أراضي المراعى ومسطحات الماء على حساب أرض الزراعة والمسطحات الجافة . ثم إن للدلتا جهات أربع يختلف



بعضها عن بعض غاية الاختلاف ؛ فشرقها يقع إلى جوار صحراء سينا ويتلقى الغزوات حين تأتي من الشرق القريب ؛ وغربها مجاور لرعاة ليبيا الذين اتصلت بهم ثقافته منذ أقدم العصور ؛ وشمالها إقليم بحرى ارتبطت حياة سكانه بالمستنقعات والبحيرات وبالبحر ذاته ، فهم صيادون وملاحون ، وهم قد تأثرت حياتهم وثقافتهم بحياة البحر ، وبما قامت في جزره الاغريقية وما وراءها من ثقافات وحضارات ؛ ثم إن جنوب الدلتا ودأخلتها إقليم نيلي كان بمنأى نسبي عن مصادر الغزوات من الصحارى المجاورة على الجانبين ومن البحار الواقعة في الشمال ؛ ولذلك احتفظ بطابعه الدلتاوى الخاص .

ولقد كان لكل هذه المؤثرات والظروف الجغرافية المختلفة أثرها في حياة الدلتا والدلتاويين من أبناء النيل . فالدلتا إقليم غنى ، تتسع فيه الأرض ، تتنوع الموارد في الزراعة ، والرعى وصيد الأسماك ، والتجارة ، والاتصال بالصحارى المجاورة والعالم البحرى ، وما وراء الصحارى والبحار ، ولذلك كانت الدلتا على الدوام مصدر الخيرات الأكبر بالنسبة لمصر ؛ وكانت حياة أبنائها في عصور ما قبل التاريخ وحتى وقتنا الحاضر أكثر رخاء وأوفر مادة من حياة أبناء الصعيد في جملته<sup>(١)</sup> . والدلتا كانت إلى جانب ذلك كثيرة السكان مترامية الأطراف ؛ وصلتها الغزوات من الخارج ، ولكنها استطاعت بحكم اتساع أطرافها وكثرة سكانها ، وبحكم أن صحارى مصر كانت على الجملة جافة وازداد جفافها خلال أعصر التاريخ ، مما جعل من العسير على الغزاة أن يتلقى يعبروها في أكثر من أعداد محدودة . . . استطاعت الدلتا بذلك كله أن تتلقى الغزوات ، وأن تهضم الغزاة موجة بعد موجة ، بما في ذلك بعض الرعاة ممن استقروا على حافاتها الشرقية أو الغربية ، وانتقلوا بالتدريج من حياة الرعاة إلى الصحراويين إلى حياة الزراع المستقرين ؛ وبما في ذلك من استقرار على سواحلها ونزل من موانئها الشمالية من أهل الجزر والبحار الشمالية ، ممن حملوا إلى مصر ألواناً من الجنس والثقافة والحياة البحرية لم تلبث كلها أن ذابت وتحلت في حياة مصر والدلتا بعد فترة قصيرة أو طويلة . وإلى ذلك كله فإن الدلتا ، إذ

(١) هذه العبارة عامة ، لا تنطبق على فئات خاصة من ذوى الأملاك الواسعة في الصعيد .



استطاعت أن تهضم الغزاة وأن تحتفظ لمصر بطابعها الجنسي والثقافي العام على مر الزمن فإنها لاشك قد أفادت من احتكاكها بالخارج ، فتنوعت ثقافتها ، واتسع أفق أبنائها ، وصارت على الزمن أبعد تقدماً وأكثر استعداداً للاخذ بأسباب المدنية والثقافة ، وتلقى معالم التجديد عن الخارج شرقاً أو غرباً أو شمالاً . وهى لذلك كانت منذ أقدم العصور ، وبقيت على الجملة خلال أغلب أدوار تاريخ مصر ، أعلى ثقافة من الصعيد ، وأكثر استعداداً لأن تأخذ بأسباب النهوض والتجديد ، ولأن تتلقى الدروس عن الخارج ، ولأن تحد من تلك العصبية الاقليمية التى امتاز بها أبناء الصعيد على نحو حال فى بعض الأحيان بينهم وبين أن يأخذوا عن العالم الخارجى أخذاً حراً ، يحدد الحياة ويبعث فى ثقافتها ألواناً طريفة من ثمرات التجديد .

على أن الدلتا إذا كانت قد امتازت على الجملة بغناها ، وتنوع مواردها ، وكثرة عدد سكانها ، واتساع اتصالاتها بالخارج ، وبأنها رغم تلك الاتصالات قد حفظت على مصر طابعها الثقافى لأنها كانت من الكبر والاتساع بحيث لايسهل الطغيان عليها مهما تلقت من الخارج من غزوات ، ومهما نقلت عن الخارج من عناصر الثقافة وألوانها . . . إذا كانت الدلتا قد أدت ذلك كله لمصر ، فإنها رغم ذلك كله كانت إقليمياً يصعب توحيد أهله وجمعهم على أمر واحد فى شؤون التنظيم والادارة ، وسياسة الحكم ، وما اصططح الناس فى هذه السنوات الأخيرة على أن يسموه « الدفاع العسكرى » . ولا غرو فالدلتا إقليم تقطعه فروع النهر فتفصل بين مختلف أجزائه . وهى إقليم مختلف فيه حدود المقاطعات وتتغير من وقت لآخر بحكم تغير فروع النهر وتحول مجاريها من عصر لعصر . ثم إن مصالح السكان ومصادر الخطر الخارجى تختلف من جهة لأخرى ؛ فشرقها لا تهتمه الأخطار والهجمات إن جاءت من الغرب ؛ وغربها لا تهتمه الغزوات إن جاءت من الشرق ؛ وشمالها يكاد لا يعنى بغير ما يأتى عن طريق البحر أو ما يتصل بالحياة البحرية ؛ وقلبها كان مطمعا للجميع ، ففرقت ميول أهله وأصحابه بين تلك الجهات جميعاً . ثم إن الدلتا يصعب توحيدها وتصعب إقامة عاصمة واحدة تجمع بين أطرافها . ولذلك كله فقد كانت وكان أهلها أقل عصبية وأقل تماسكا من الناحية الادارية والعسكرية . قد تشعبت وجهات بنيتها واتجاهاتهم ومصالحهم وارتباطاتهم ؛ فلم نسمع كثيراً فى تاريخ مصر الطويل



بأن الدلتا كانت مبعث نهضة عسكرية شاملة تقوم على قوة « الرجال » أكثر مما تستند إلى قوة « المال » . وعلى العكس من ذلك كله كانت الحال في الصعيد . فهو إقليم فقير نسبياً ، تضيق فيه أراضي الوادى على جانبي النهر ، بل إن عرض الوادى كله لا يزيد في بعض جهاته على بضعة آلاف قليلة من الامتار . ثم إن الأرض في الصعيد تصلح على الجملة للزراعة أكثر مما تصلح للرعى أو غيره ؛ فليس هناك « تنوع » في موارد الانتاج كما كانت الحال في الدلتا . كذلك كان الاتصال التجارى بالعالم الخارجى محدوداً ومع جهات أفقر مما كان عليه اتصال الدلتا بالشرق القريب والبحر الأبيض المتوسط . ثم إن اتصالات أنصعيد الثقافة بالعالم الخارجى كانت قليلة أيضاً . بل إن الصعيد كان يعتبر منفذاً ومخرجاً لثقافة مصر وحضارتها نحو جنوب الوادى من جهة ، ونحو البحر الأحمر وبلاد بنت من جهة أخرى ، أكثر مما كان مدخلاً لألوان الثقافة من تلك البلاد . وحتى الصحارى والواحات المجاورة للصعيد لم يكن بها من السكان الرعاة مثل ما كان على جوانب الدلتا من الرعاة الأقدمين ، الذين أنار اتصالهم أهل الدلتا بألوان طريفة من الثقافة بين حين وحين . بل إننا إذا رجعنا إلى الزراعة ذاتها وجدنا أن الدلتا كانت تقيّد في محصولاتها الشتوية بأسطار الشتاء التى تغذى النبات في وقت تنحسر فيه مياه النيل ، على حين كانت الأسطار شحيحة في الصعيد مما أدى إلى فقر المحاصيل بالنسبة للحالة في الشمال . لذلك كله كان الصعيد أضيق في مساحة الأرض ، وأقل في عدد السكان ، وأفقر في الزراعة ، وأقل في تنوع المحاصيل والموارد ؛ كما كان قليل الاتصال بالعالم الخارجى ومحدوداً في أفق ثقافته ؛ بل إنه كثيراً ما اعتمد في هذه الناحية الأخيرة على ما كانت الدلتا تمدّه به من ألوان الفكر والثقافة النيلية والخارجية بين حين وحين . ومع ذلك كله فقد ساعد تحديد الوادى وضيقه وامتداده من الجنوب إلى الشمال وجريان نهر النيل في مجرى واحد من أقصى الصعيد إلى أقصاه ؛ ساعد ذلك كله أن ترتبط الأقاليم المحلية في الصعيد بعضها ببعض ، وعلى أن يسهل توحيد ذلك الوجه من مصر توحيداً إدارياً وعسكرياً . كما ساعدت قلة اتصال الصعيد بالعالم الخارجى على أن تتركز فيه وفي أهله روح العصبية المصرية ، وروح الثورة على التجديد ، لا سيما إن جاء مفروضاً على مصر أو مستعاراً من الخارج .



ولطالما تمثلت روح العصبية والثورة هذه في نظام عسكري ساعد على نموه ما استشعره أبناء الصعيد فيما بينهم دائماً من إحساس بالوحدة ونزوع إلى التماسك والتساند والنظام . بل طالما استطاع صعيد مصر أن يجمع كلمة أبنائه جميعاً على أمر واحد بأيسر مما استطاعت دلتا النيل ، بحياتها المتفرقة ومناحيها المتشعبة . ولقد تمثلت روح الوحدة في الصعيد في كثير مما مرت به مصر من أزمات تاريخية ، وما تعرضت له من أخطار أجنبية مزقت وحدتها ، لاسيما في بعض أدوار العهد الفرعوني . . . ذلك العهد الذي كان مطلعته تلك الوحدة الشاملة التي تمت للبلاد على يد نارمر ، أمير طيبة ، وجامع كلمة الصعيد ، ثم موحد الوجهين تحت تاج واحد .

أما بعد فهذا مقال سيقرؤه كثير من أبناء الدلتا وأبناء الصعيد . وليس القصد منه أن يرضى عنه أولئك أو أن يغضب منه هؤلاء ، ولا القصد منه أن يكتفى القارىء بأن يخرج بقضية عامة هي أن الدلتا قد أمدت مصر بالحياة والثقافة والمال ، على حين أمدتها الصعيد بالنظام والوحدة وقيادة الرجال ؛ ولا أن يخرج بأن الدلتا حفظت على مصر حضارتها ، وتاريخها الثقافي المتصل ، وطابعها المصرى الذى يجمع بين التميز والتجديد ، فى الجنس والثقافة ومختلف مظاهر الحياة المدنية ، وبأن الصعيد أنقذ العصبية المصرية ، ورد إليها روح الوحدة والكفاح بين حين وحين ؛ ولا القصد منه أن يمين أبناء الشمال على أبناء الجنوب بما قدموا لهم ولمصر أم الجميع ، ولا أن يكون المن من قبل أبناء الجنوب على أبناء الشمال . وإنما القصد أن نحاول أن نلتصق فى الطبيعة والبيئة والظروف الجغرافية والموقع الجغرافى العام ، ما قد يعيننا على أن نجد تفسيراً مقبولاً لما بين الدلتا والصعيد من وجوه الاختلاف . ومع ذلك فنبغى أن نذكر دائماً أن هذين القسمين العتيدين من مصر الخالدة كانا على الدوام متكاملين ؛ ولم يستطع أحدهما فى يوم من الأيام أن يدعى أنه مصر بكاملها ، أو أنه أقرب إلى روح مصر من الآخر ، وإنما أمد كل منهما الآخر بما اختصته به الطبيعة من خير وفضل . فلم تملك الدلتا فى وقت من الأوقات أن تحبس خيراتها أو ثقافتها على نفسها ؛ ولم يملك الصعيد فى وقت من الأوقات أن يحبس على نفسه نظامه وعصبيته ومقدرته على القيادة والتوحيد . وإنما جمع الله بين



الشرطين في وحدة شاملة رائعة ؛ هي تلك التي أتم الله بها نعمته على أبناء وادى النيل ؛ بل هي تلك التي امتازت بها مصر على غيرها من البلاد القديمة والحديثة ؛ فتكاملت فيها الأوضاع ، وتساندت فيها مقومات الحياة ، وتشابكت المصالح تشابكا لا يدع مجالا لانقسام أو انقطاع . ولم يكن غريباً أن تبرز الوحدة في مصر قبل أن يعرف العالم في غير مصر شيئاً عن تكامل الحياة بين الانسان وأخيه الانسان ، وعن أن الله خلق الناس فرادى لتتصل بينهم الأسباب ، ولتكون وحدة الحياة فيما بينهم مستمدة من وحدة الخليقة ؛ وتكون وحدة الخليقة بذلك كله صورة خالدة من وحدة الله .

سليمانه مزبور



## الى حلة الايطالية

### وداع إيطاليا

على بحيرة كومو

في شطّكِ الأحوى ختامُ مطافِ  
طافت بشطّيكِ الرّبي مخضرةً  
وطلعت كالقذح المدور مترعاً  
سكرتُ بمرآك النواظر والحجي  
وتنزّلتُ فيك السكينة كالندي  
طاب التوحّدُ في هماك ولم يكن  
ما مُوحّدٌ مَنْ كان فيك مصاحباً  
أزهار بستانٍ ، ودّوح خميّة ،  
يا ما أحيلى ساعةً مُليتها  
في ظلّها عرفتُ أفويق الرضى  
رودٌ من الملكات جافت خدرها  
جوابةً شرقاً تهيم ومغرباً  
هامت طويلاً ما استقر بها النوى  
تخذتك خندقها الملاء ، دونه  
يا حسن مائك لازورداً أزرقاً  
عني موكّلةً به مسحورةً

يا جنة المتاع والمصطف (١)  
بالغار والزيتون والصفصاف  
حتى الطفافة بالرحيق النصافي (٢)  
والحسُّ سكرًا غير ذى إنزاف (٣)  
في نفس مجروح الحشى لهوّاف (٤)  
عندى التوحّد طيّب الأوصاف  
للطيب والألوان والأعطاف  
وشذاً كأذكى العطر للمستاف (٥)  
في ظل تلك الدوحة المضياف (٦)  
مَنْ لم تكن تدريه غير نطاف (٧)  
كرهاً ولم تخلع ثياب زفاف (٨)  
تهيم لا وإن ولا وقاف  
إلاّ بساحل جك الرّجاف  
جيشٌ من التشهير والارجاف  
ذا رونق كالجوهر الشفاف  
ترنو إليك بناظر مسراف



أبدأ تفرّس في حشاك كأنه يُطوى على سرٍّ لسحرك خاف  
يحكى صفاؤك لى - كرؤيا حالم -  
جليّتين فكل شئ لامع  
وشنفتين فكل شئ طاف (٩)  
رقصت بصفحتك الربى وتخايلت  
شم الجبال عليك كالأطياف  
وبدا الربابُ عليك ببيض ملائك  
تهفو بأجنحة هنّ لطاف (١٠)  
وتراءت الجناتُ فيك وأصلها  
في ضفتيك شوابك الأطراف  
لله أنت ، بكل ركن آية  
تُسمي يقين الملهد المتجاف  
لوددتُ أحياء في ضفافك مُخلداً  
تُسمي بعض الحياة هنا خلودك كاف  
لوددتُ ، لولا أن عودى معجلاً  
نادى به داعى الهوى المتلاف  
نادت به زوجى هناك ضجيرة  
في أرض وادى النيل كالأضياف  
يا أرض إيطاليا الوداع على الهوى  
والودّ والتقدير والانصاف  
أرض الطبيعة كالجنان تعرضت  
في الحلم الطافاً على الطاف  
أرض الفنون تجمّعت آياتها  
كالشهب آلاف على آلاف  
لك من طبيعتك الجميلة غنية  
عن عسجد الأسباب والأشنان  
ومن الفنون إذا دهتك كريمة  
ينبوع سحر من جراحك شاف

عبد الرحمن صرقي

(١) الاحوى : الاسود تعلوه خضرة .

(٢) الطفاقة من الاناء أعلاه .

(٣) الانزاف : ذهاب العقل من السكر .

(٤) اللهاف من لف نفسه بتشديد الهاء : قال والهاف متحسراً على نفسه .

(٥) المستاف : المستشق .

(٦) الدوحة المضياف إشارة إلى دوحة جيز من أعظم الدوح في إيطاليا في الفندق

القائم على بحيرة كومو المعروف بفيللا ديستى Hôtel Villa d'Este .



(٧) الأفايويق : الفيض في أثر الفيض . وأصله ما اجتمع من الماء في السحاب فهو مطر ساعة بعد ساعة .

(٨) الرود الشابة الحسنة . والاشارة هنا إلى الأميرة ثم الملكة كارولين ابنة دوق برونزويك الألماني وزوجة ولي عهد إنجلترا ثم ملكها جورج الرابع ، وقد انفصلا بعد عام واحد من زواجهما ولم يمض على ميلاد ابنتهما شارلوت إلا القليل . فعاشت الأميرة في عزلتها نحو الثمان عشرة سنة في إنجلترا . وعلى الرغم من المساعي التي بذلت والأدلة التي أقيمت على كذب الأراجيف الشائنة التي ألصقت بها ، بقي الأمير مصراً على سوء ظنه بها وجفائه لها . فرحلت الأميرة عام ١٨١٤ إلى موطنها في برونزويك فإذا هي موضع القيل والقال في قصر الأمارة الألمانية ، فكرهت المقام بين قومها . وعمدت إلى الأسفار تلتبس التفرج والسلوى بالمشاهد والآثار . فارتحلت أول ما ارتحلت إلى نابولي ، ثم زارت جزائر إلبا وكورسيكا وصقلية ، ثم أبحرت إلى شمال افريقية ومن بعدها إلى فلسطين واليونان ومالطة ، ثم عادت إلى نابولي ومنها إلى رومه . وكانت تهبط حيثما هبطت مثل ملك الخير ، تعود المرضى وتحسن إلى الفقراء المحتاجين حتى عرفت بينهم باسم « الأميرة الحسنة La buona Principessa » . ثم أصعدت الأميرة إلى شمال إيطاليا ؛ وأقامت بعض الوقت في ليفورن وجنوه وميلان ، حتى إذا زارت منطقة البحيرات كانت بحيرة كومو أكثر المواضع فتنة لها وأطيها موقعا في نفسها . فاشتريت في شرنوبيو Cernobbio مغنى على البحيرة ، فجملته ، وزادت فيه ، وجعلت له المراسى من رخام للمراكب والقوارب ، واستجدت به حديقة منسقة على الطراز الانجليزى ، وفيها دوحة الجميز الكبرى — ويقال إنها أبدع دوح الجميز في إيطاليا بأسرها — وفي ظلها كانت تجلس الأميرة الانجليزية الجميلة La graciosissima Principessa في أكثر الأحيان ، تطعم وتسمر طلباً للسلوان ، مع حاشيتها وخاصة معارفها والمتصلين بها . واستقرت كارولين في هذا المغنى الذى عرف من وقتها باسمه الجميل فيلا ديستى Villa d'Este ، حتى إذا مات الملك جورج الثالث ، وآل العرش إلى زوجها ، رأت من واجبها ومن حقها — وهى اليوم ملكة بريطانيا العظمى وإيرلندة — أن تعود إلى لندن إلى جانب زوجها الملك ، فإذا بها تمتنع من الاشتراك في حفلة تنويجه في كنيسة وستمنستر ، ثم لا ينقضى على هذا المنع الأليم أسابيع ثلاثة حتى تقضى هذه الملكة التعسة نجها كسيرة القلب فريدة مستوحدة .

(٩) شفه : أنحله ورقه .

(١٠) الرباب السحاب الأبيض .



## حياة غاندى وموته

قتل غاندى فى أواخر يناير من هذا العام . وقد كانت حياته ، كما كان كفاحه ، بل كما كان موته ، كلها حافلة بالمعنى والمغزى .  
كان مغزى حياته أننا يجب أن نعرف كيف نستغنى لا كيف نقتنى .  
وكان مغزى كفاحه أننا نستطيع أن نتغلب على خصومنا ونقهر الحيوان فى أعدائنا بانسانيتنا .

وكان مغزى قتله أن الهند تستغرب ، وتنفض عن نفسها ، النفس الهندية الناسكة ، لباس النسك الشرقى ، وتأخذ بأساليب الغرب فى تنازع البقاء .

ولد غاندى فى ١٨٦٩ . وتربى فى حضن أسرة لا تأكل اللحم . وفى الهند ملايين لا يأكلون اللحم بحكم الضرورة التى تعود بعد ذلك عقيدة دينية . لأن الأديان والعقائد يجب أن تتلاءم مع البيئة . وقد كانت البيئة الهندية فى آلاف السنين الماضية فقيرة ، فصار الفقر فضيلة ، حتى إن الناسك فى الهند يسمى إلى الآن « فقيراً » باستعمال هذه الكلمة العربية . ومن فقر الهند ظهرت طبقة المنبوذين أو الأنجاس التى أذلها الفقر والحرمان فانحدرت إلى الحضيض فى المكانة الاجتماعية . ثم جاءت العقيدة الدينية فجعلت الآلهة الهندوكية تقر هذه الطبقة على حضيضها .  
ويعد أن تعلم غاندى فى المدارس الهندية رحل إلى إنجلترا . وذلك كي يتعلم فى تلك المؤسسات الانجليزية التى يتخرج فيها المحامون ، وهى ليست مدارس بل نقابات قديمة . ومع أن الهند كان سكانها يترجعون بين . . ٣٠ و . ٤٠ مليون حين رحل إلى إنجلترا فانه لم تكن بها مدرسة للحقوق ، إذ كان يجب على كل هندی يرغب فى احتراف المحاماة أو القضاء أن يتعلم فى إنجلترا . وهذا بعض أساليب الاستعمار .  
ومع أن غاندى كتب كثيراً عن نفسه فانه أوجز فى الكلام عن إقامته فى إنجلترا . ولكننا نعرف أنه أكل اللحم على سبيل التجربة . ولا بد أن عقله



التجريبى قد حمله على تجارب واختبارات أخرى . ولكن المتأمل لحياته بعد ذلك يجد أنه عاد من إنجلترا شرقيا هندوكيا لم تتغير شخصيته إلا قليلا ، قليلا جدا ؛ لأننا نجده بعد ذلك بأربعين سنة وهو يؤمن ويتكلم كاهندوكيين ويعبد آلهتهم ويشيد بفضائل الكتب الدينية الهندوكية .

وحاول غاندى أن يرتق بالحماماة فى الهند فلم يفلح . فرحل إلى أفريقيا الجنوبية حيث كانت الحكومات والشركات هناك قد استقدمت العمال من الهند كي يعملوا فى مناجم الذهب والألماس بأجور منخفضة لا يرضاها العمال البيض . وهناك فى أفريقيا الجنوبية اختمر فى رأس غاندى مذهبه السياسى وفلسفته الشخصية . وقد ثبت عليهما إلى يوم وفاته ، بل قتل لاستمساكه بهما . والمذهب السياسى والفلسفة الشخصية يندغان عند غاندى . وخلاصتهما أننا يجب ألا نقاوم أعداءنا بالعنف والبطش ، وأن الحياة كائنة ما كانت مقدسة ، فيجب ألا نقتل حيواناً إلا عند الضرورة . وقد حدث وهو فى أفريقيا الجنوبية أن وجد أحد أتباعه حية سامة تحت سريره فاحتاج إلى استشارته فى قتلها . وأشار غاندى بقتلها إذا لم يكن هناك مفر من القتل صيانة لحياة الانسان ؛ لأن حياة الانسان أغلى من حياة الحية . وهذا هو أيضاً مذهب البيرت شفيترز . وإنما غاندى يستند إلى ديانته الهندوكية التى تقدر كل حى وتمنع القتل . وشفيترز يستند إلى فلسفته . . . المسيحية الاغريقية الأوربية . . . ونحن جميعاً نرى أن تقديس الحياة إنما هو الاستنتاج المنطقى لنظرية التطور ، أى يجب أن نصون كل حى إلا إذا تعارضت الحياة الدنيا مع الحياة العليا ، الحية مع الانسان ، فعندئذ يجب أن نعدم الحياة الدنيا كي تبقى الحياة العليا .

وعاش غاندى طوال عمره وهو نباتى . وحاول فى البداية أن يستغنى عن اللبن ومشتقاته . ولكن قواه خارت ؛ لأن الفواكه والخضراوات لم تكفه ، فأضاف إليهما اللبن . ولم يكن يأكل الخبز . وقد ألف كتاباً عن الطعام كان ولا يزال أروج كتبه . وقد أثبت ببلوغه الثامنة والسبعين أننا نستطيع أن نعيش بأقل الطعام الذى يحوى القليل من البروتين . وكان غاندى منهمكاً فى العمل بل أحياناً فى العمل الشاق . ولم يكن يبالى أن يسير نحو عشرين كيلومتراً . وكان يعمل فى الأصل غازلاً على مغزله فى الوقت الذى نقبل فيه فى مصر شباباً وشيوخاً .



ونحن نعيش كى نفقتى ، ولكن غاندى عاش وهو مستغن . وكان يتعلم بالتجربة كيف يستغنى . فانه وجد فى فترة من حياته أنه يحتاج إلى المسهلات يشرها فى الصباح كل يوم كى يحرك بها أمعاه . ولكنه استغنى عنها بأن نقص مقادير وجباته وجعلها من الخضراوات والفواكه واللبن . ووجد أن أعباء الملابس التى تشتريها وتكديسها ونكاثر ونفاخر بها ليست ضرورية ، وأن الاستغناء عنها خير من اقتنائها ، فكان يقنع منها بشملة . وكان فى طعامه ولباسه لا يكلف الهند فى العام كله أكثر من ثلاثة أو أربعة جنيهات أى مقدار ما ينقده رجل متوسط فى الأسبوع فى مصر أو أوروبا .

ثم كان غاندى منتجاً . ولا نعى هنا الانتاج فى السياسة ، هذا الانتاج الذى حقق الاستقلال للهند . وإنما نعى الانتاج المادى الذى فهمه تولستوى حين شرع يصنع الأحذية للفلاحين بيديه . أو الذى فهمه جون رسكين الكاتب الفنان الانجليزى حين دعا إلى العمل اليدوى الذى يبعث فى نفوسنا الاحساس بالخدمة والتعاون . أو الذى يفهمه البيرت شفيتزر وهو دكتور فى الموسيقى ، ودكتور فى الطب ، ودكتور فى الغيبيات حين ترك أوروبا ورحل إلى أفريقيا كى يعالج الزوج حيث هو الآن .

وفى غاندى شئ كثير من رسكين وتولستوى وشفيتزر . بل فيه شئ كثير من جان جاك روسو . فهو يحب الطبيعة ، ويؤمن بأن الخير أصيل فى الانسان ، وإنما يغيره المجتمع الفاسد إلى الشر كما هو مذهب روسو . وهو قد مارس الغزل على مغزله كما كان يمارس تولستوى صناعة الأحذية لنفسه وأسرته وعماله . وقد جعل من ممارسة الغزل شعييرة وطنية وفرضاً إنسانياً ، لأن السياسة والأخلاق يندغان عنده . وقد ناضل الانجليز بالأسلوب نفسه الذى ناضل به شهواته وشهوات الهندوكيين .

وكان غاندى ، مثل تولستوى وروسو ورسكين ، يكره الحضارة الصناعية ، من حيث إنها تلغى الشخصية البشرية . ذلك لأن العامل يعمل وكأنه سمار أو مفتاح فى الآلة يؤدى وظيفة غير شخصية ، وظيفه آلية . وهذا بخلاف الحال حين كان يعمل بيديه حيث تتسع له الفرصة كى يطبع شخصيته فيما يصنع وكى يحب عمله ؛ لأنه كان يحس بأنه ينتج قطعة فنية تحمل طابع تفكيره ومعالجة يديه . وقد جهل على الحضارة الأوربية كثيراً لهذا السبب ولغيره ؛ لأنها حضارة



الاقتناء والتكاثر والمباراة وتنازع البقاء . وعارضه تاجور ووقف موقف الدفاع عن الحضارة الأوربية ، ورأى في موقف غاندى دعوة إلى الانفصال بين الشرق والغرب . والمتأمل لحياة غاندى لا يتالك من الاحساس بأن فلسفته الشخصية هى ثمرة البيئة الهندية : فلسفة القناعة التى تصل إلى حد الاستغناء . ومنشأ هذه القناعة هو الفقر المحتوم . ولكنه هو تسمى بهذه القناعة حتى جعلها أسلوباً جميلاً بل أنيقاً للعيش . وإذا كان مقياس الفضيلة كما وضعه برنارد شو صادقاً فان غاندى يجب أن يعتبر أفضل إنسان على هذا الكوكب . ذلك أن برنارد شو يعتقد أن الرجل الفاضل هو ذلك الذى يعطى الدنيا أكثر مما يأخذ منها . وقد أعطى غاندى الهند روحياً ما لا يقدر بأية مادة ، وأعطى الدنيا مادياً ما لا يقاس إلى جنب ما أخذه منها ؛ لأن هذا الذى أخذه هو قليل من اللبن والخضراوات والفواكه .

وعندى أن مغزى الحياة الشخصية التى عاشها غاندى هى أننا نستطيع أن نعيش بالاستغناء ونرتاح بذلك كثيراً أى أكثر مما نعيش بالاقتناء ، هذا الاقتناء الذى يعد فى كثير من نيوروزاً يؤدي إلى إنفاق مجهودنا النفسى والذهنى والعضلى فى الجمع مع ما يجلبه هذا الجمع من الجهد وما يبعثه من الحسد والحقد والكراهة ، ثم الحرمان من الاستمتاع بالحب والثقافة والفنون . وقد تقع فى التباس حين نتأمل حياة غاندى . ذلك أننا نتهمه بأنه رجعى لأنه كان يكره الآلات ويدعو إلى الصناعات اليدوية . وهو بلا شك رجعى هنا إذا توسعنا فى النظر إلى الآفاق البشرية فى الحضارة القادمة . لأن الآلات هى الطريق إلى تحرير الإنسان من الكد . والمتأمل لحياة الفلاح المصرى عندنا ويقارنها بحياة الفلاح الأمريكى يجد أن الأول يعمل بيديه نحو ١٤ ساعة فى اليوم فى حين يعمل الثانى بالآلات ثمانى ساعات قدر ما يعملهُ الأول عشرين ضعفاً .

ولكن إذا نظرنا النظرة المحدودة بحدود الهند فى الأربعين أو الثلاثين سنة الماضية فأننا نجد أن غاندى كان صادقاً بصيراً حين دعا إلى الصناعات اليدوية . صناعات الغزل والنسيج .

ثم هو فى نظرتة للديانة الهندوكية لم يكن رجعياً أو تقليدياً ؛ لأنه كثيراً ما وقف موقف المعارض بل أحياناً موقف الشائر على التقاليد . وقد وجد من



البراهمة ، كهنة الهندوكيين ، كفاحاً بل عداء . فانه دعا إلى المساواة بين الهندوكيين والمنبوذيين . كما أنه لم يبال أن يقتل بيديه البقرة المقدسة التي كانت تترك حتى تموت ميتتها الطبيعية . ولم يكن يبالي أن يقول في وجه البراهمة المعزين بألهمهم وعقائدهم إن المسيحية والاسلام يحويان من الفضائل ما لا يقل عما تحويه الهندوكية .

وقد وقعت الجناية عليه وقتل ، لأن قاتله كان يتهمه بحب المسلمين ومسالمتهم . . .

وحسبنا هذا من حياة غاندى مغزى للشخصية والأخلاق .

وأما المغزى من كفاحه السياسى فيندغم ، كما قلنا ، في المغزى من حياته وسيرته وشخصيته . فقد كافح الاستعمار البريطانى بأخلاقه وفلسفته ، أخلاق النسل وفلسفة الاستغناء . وقد بدأ تجاربه في هذا الكفاح وهو في أفريقيا الجنوبية . فقد أخذ من ثورو الكاتب الأمريكى الذى كان يدعو إلى الطبيعة وإلى الاستغناء عبارة « العصيان المدنى » .

وكان ما يقصد إليه ثورو من هذه العبارة أننا نستطيع أن نعيش في هذا المجتمع الحافل بالتكاليف المرهقة ، العيش الذى نختاره ، بأن نعصى هذا المجتمع ولا ننزل على القيم والأوزان التى يفرضها علينا . وقد عمل ثورو بما دعا إليه . فترك المدينة ورحل إلى شاطئ بحيرة ، وصنع لنفسه كوخاً من الخشب وصار يصيد السمك ويخيط ملابسه بنفسه ويأكل البقول . ولم تكن تزيد نفقاته في الشهر على بضعة قروش . ويبدو أن غاندى تأثر كثيراً بحياة ثورو ومؤلفاته سواء في الأخلاق والسياسة .

على أن عبارة ثورو « العصيان المدنى » قد احتلت مكاناً كبيراً في قلب غاندى من حيث الخطط السياسية التى اتبعها في مكافحة الاستعمار البريطانى للهند . لأن معناها قد انتهى عملياً إلى عدم التعاون وشل الادارة الانجليزية بهذا العصيان .

ونقل غاندى جميع تجاربه التى تحقق من أثرها في أفريقيا الجنوبية إلى الهند . وكان عقب عودته إلى الهند في أواخر الحرب الكبرى الأولى قد استقر في ذهنه أن « العصيان المدنى » و « عدم التعاون » و « المكافأة السلبية »



كلها حسنة فى الابتداء للتنبيه ولكنها غير ناجعة ؛ إذ يجب أن تكون المكافئة إيجابية .

وحين نقول « المكافئة الإيجابية » للسلطة الغاصبة تثب إلى الذهن أنواع المقاومة العنيفة الدموية . ولكن غاندى بمزاجه الهندوكى وتعاليمه الدينية وبيئة الهند الفقيرة ثم بما لقنه من تولستوى وثورو وغيرهما من دعاة الحياة الساذجة الرحيمة ، كان أبعد الزعماء عن العنف والبطش . وانتهى به التفكير هنا إلى أن خير أنواع المقاومة للانجليز هو المقاومة الاقتصادية . ورأى فى هذه المقاومة أنه يصيد عصقورين بجحر : الأول هو حرمان الانجليز من المنافع الاقتصادية فى الهند . والثانى هو رفع المستوى الاقتصادى للملايين الشعب الهندى .

وهبط هنا على المغزل والمنسج ، وهمل الهنود على مقاطعة البضائع الانجليزية ومعظمها من الأقمشة . وكان إحراق هذه الأقمشة فى شوارع المدن الكبرى فيما بين ١٩٢٠ و ١٩٣٠ عاما . وصارت السيدات يلبسن القماش الهندى الخشن الذى غزلته ونسجته أيدي الهنود ويؤثرنه على الحرير المجلوب من لنكشير .

ولكن المقاطعة لم تحمل الانجليز على الجلاء ، ولكنها زعزعتهم كما نهبت الهنود إلى الأسس الاقتصادية للاستعمار . حتى أصبح هم الانجليز مكافحة الصناعة فى الهند . ولكن الموجة الطاغية للحركة الوطنية اكتسحت كل شئ أمامها ، ونجحت الصناعات الكبرى والصغرى أى صناعات الآلات وصناعات الأيدي . حتى إن أكبر المصانع للفولاذ فى العالم كله الآن لا توجد فى الولايات المتحدة أو روسيا أو إنجلترا وإنما توجد فى الهند . . .

وقد كان العالم يراقب غاندى فى هذا الكفاح البار لرفع المستوى الاقتصادى فى الهند ويجد فيه قدسياً يحاول أن يطعم الجائعين ويكسو العراة . ولكن الانجليز كانوا يصفونه بأنه « ثعلب » مكر . وكانوا محقين فى ذلك ؛ لأن هذه الخطة البارة التى تشتت بالصلاح والاخاء والانسانية هى التى قضت على استعمارهم .

ونحن فى مصر نعرف أن فلاحنا فقير ، وأن دخله لا يبلغ أحياناً سبعة أو ثمانية جنيهات ، وإن كان فى بعض سنى الزواج قد يبلغ عشرة جنيهات أو أكثر . كما نعرف أن فلاحنا حين يقتنى بقرة أو جاموسة حلوباً يرتفع مستواه



الصحي إلى درجة لا تبلغها أسر العمال في المدن . ولكن فقر الهنود قد تدرك بالاستعمار البريطاني إلى حضيض لم نبليغ نحن انحطاطه في مصر . مع أن الأسلوب الذى اتبع في مصر والهند كان واحداً . وكان اللورد كرومر الذى عاش في الهند ودرس هذا الأسلوب هو الذى تولى إنفاذه في مصر ، وهو قتل الصناعات الوطنية وإحالة كل من مصر أو الهند إلى عزبة كبيرة للقطن يزرع ثم يرسل مادة خامة إلى مصانع إنجلترا كي يغزل وينسج .

ولكن فلاحنا مع فقره وبؤسه يعد متيسراً بالمقارنة إلى الفلاح الهندى الذى لا يزيد دخله السنوى على جنيين اثنين . وهناك في الهند نحو ثلاثمائة مليون إنسان تعيش أسرهم على هذا الدخل . أى أن متوسط الفرد في الأسرة لا يبلغ ٣ . أو ٥ قرشاً في العام . وكان غاندى في دعوته إلى الغزل والمنسج إنما يكافح هذا الفقر .

وفي ١٩٣٠ ألفنا في القاهرة جمعية «المصرى للمصرى» كانت غايتها بعث الاقتصاد المصرى . وحاولنا أن نستثير بحركة غاندى . فأرسلت إليه أطلب المطبوعات الخاصة بحركة الغزل والنسج مع أمثلة من المغازل فأرسلها كلها إلى . ولكن بعد أن درسناها وجدنا أنها لا تزيد الفلاح المصرى شيئاً يؤبه به ؛ لأن مستواه أعلى كثيراً من مستوى الفلاح الهندى .

وكان الاتحاد بين المسلمين والهندوكيين حجر العقد في وطنية غاندى . وقد قتل من أجل استمساكه بهذا الاتحاد . وواضح أنه لم يكن مخادعاً فيه يرغبى الوحدة السياسية منه فقط . لأن كل تعاليمه السابقة تتجه نحو الوحدة البشرية . وكثيراً ما كان يشيد بحياة نبي الاسلام والخلفاء الراشدين . ولما انقسمت الهند إلى هندوستان وباكستان مرض غاندى ووفحت عليه الشيخوخة التى لم يكن يعرفها قبل الانقسام . ولما فشا التدمير لمساجد المسلمين أعلن عن صيامه حتى ترد هذه المساجد إلى أصحابها .

وشئ في غاندى يشبه المكر الذى اتهمه به الانجليز . وهو الذكاء الذى كان يبدئه في اختيار الفرص لتنبيه الوجدان الهندى . ففى ١٩٣٠ حين كانت الأزمة العالمية على أفتكها بالفقراء والمتوسطين عمداً إلى إثارة الهنود لالغاء احتكار الملح . والملح يستهلك بوفرة في الهند ؛ لأن الكثرة الساحقة تتألف من الملايين التى لا تحلم بالأدام . ولذلك لا يساغ الخبز القفار إلا مع الملح . واحتكرته



حكومة الهند لهذا السبب . وسار غاندى بالألوف إلى شاطئ البحر لجمع الملح من الملاحات . وأعملت شرطة البوليس وجنود الجيش البنادق والسيات ، فأخفقت الحركة . أخفقت في إلغاء الاحتكار ، ولكنها بالطبع نجحت في تنبيه الشعب إلى معنى الاحتكار البريطانى للملح .

على أن قتل غاندى يحمل مغزى كبيراً لا يقل في خطورته عن مغزى حياته . وهو أن الهند تنتقل من الشرق إلى الغرب ، ومن استغلال الضعف إلى استغلال القوة ، ومن الروحية والقداسة الدينية إلى المادية والسياسة العصرية . وليس شك أن في هذا الانتقال ما يؤسف عليه كثيراً . فان الهند عاشت في تاريخها الماضى وهو يزيد على ثلاثة آلاف سنة وهى لا تعرف الرق ؛ إذ لم يبع قط عبد أو أمة على الأرض الهندية . وهذه ميزة ترفع الحضارة الهندية إلى السحاب بالمقارنة إلى أية حضارة أخرى رضيت بالنخاسة . ولم يكن السبب لهذا الارتفاع سوى هذه « الروحية » الهندية التى تحترم الحياة كائنة ما كانت (أذكر الحية في أفريقيا الجنوبية) وحياة الانسان أكثر من حياة أى مخلوق آخر . احترام الحياة هو الأصل الذى تبنى عليه فلسفة غاندى وسياسته وشخصيته ، وهو الأصل في الفلسفة الهندوكية . وقد نجحت هذه الفلسفة في تحريك الهند وبعث وجدانها الوطنى . ولكن يبدو من هذه الجريمة الأخيرة أنها قد استنفدت أغراضها في الميدان السياسى ، وأن الهند قد استغربت وشرعت تأخذ بأساليب الكفاح الأوربى وتهدف إلى غاياته .

وهنا المغزى في هذه الجريمة التى ما كانت لتقع أو يستطيع أن يتخيلها هندوكى قبل عشرين أو ثلاثين سنة ؛ لأن الاجترار على مثل هذا القديس الناسك بالقتل كان يتجاوز حدود الخيال . ولكن الهند قد انتقلت من غاندى الذى يكره العنف ويقرأ تولستوى ويحب المسيح ويعيش على أسلوب ثورو ويصلى للآلهة الهندوكية ويدعو إلى المغزل اليدوى ، إلى نهرو الاشتراكى الملحد الذى يفهم التفسير الاقتصادى للتاريخ ، ويدعو إلى صناعات الآلات الكبيرة والانتاج بالملايين وإلى الثراء والرفاهية . أجل ! وإلى تنازع البقاء . . .



## ظافر الحداد

شاعر من شعراء الاسكندرية في أواخر العصر الفاطمي . وقد أخرجت الاسكندرية في هذا العصر مجموعة طريفة من الشعراء ، وترجم العباد الأصبهاني في كتابه «الخريدة» لكثير منهم مثل ابن قيصر وعبد الحميد بن حميد وابن سلمان القرشي وخالد بن سنان وأبي عبد الله بن الخمسي والليبي واصف الملك وأخيه النجيب العلم عبد الله وأبي الربيع سليمان بن الفياض والشريف أبي الحسن الحسن ومثل عبد المحسن وكان كثير المعجزة بذي اللسان ، وابن مجبر وقد ذهب شعره في الألغاز والأحاجي ، وابن معبد القرشي وكان حسن التصرف في النظم والنثر ، وابن مكنسة وكان فكها حلو النادرة . وبجانب هؤلاء الشعراء نجد شاعرة تشتهر في هذا العصر وتخرجها الاسكندرية وهي تقيّة الصورية .

وهذا الحفل الخافل من الشعراء ومعهم تقيّة يدلّ أبلغ الدلالة على ما كان بالاسكندرية من نشاط في الشعر هذا العصر ، وكأنها كانت تريد أن تراحم القاهرة في هذا الفن . ولم تكن الاسكندرية وحدها التي تراحم القاهرة فقد كانت هناك مراكز مختلفة للشعر صورها العباد في خريدته ، وكان بعضها في الدلتا وبعضها في الصعيد من مثل دمياط وتينيس في أقصى الشمال ، ومن مثل إسنا وجرجا وقوص وأسوان في الجنوب ؛ فكل هذه البلدان كان لها شعراء مميزون حينئذ ، وهم في حاجة إلى من يصفهم ويصف ما كان يبلادهم من حركات أدبية .

كانت مصر إذن تزخر بالشعر والشعراء في العصر الفاطمي ؛ ففي كل بلدة كبيرة نجد شعرا وشعراء . ولعل من الطريف أن نذكر ما لاحظته العباد في خريدته من أن أكثر هؤلاء الشعراء لم يكن يخضع في صنع شعره لمذهب البديع والتصنيع الذي شاع في المشرق .



على أننا لا نقف عند هذه الملاحظة العامة التي لاحظها العماد ، بل نحن نتبعها بملاحظة أبعد من ذلك ، وهى أن المصريين لم يصنعوا ذلك عن غير عمد بل صنعوه عامدين ؛ إذ كانوا يرون من الواجب أن يكون لهم إطارهم الفنى الذى يعبر عنهم والذى يعيشون فيه غير مسخرين للمشرق وتقاليده .  
وأكبر الظن أننا لا نبعد إذا قلنا إن مصر فى العصر الفاطمى كانت تتحلل عامدة من كثير من الرسوم والمصطلحات الفنية التى وضعها المشرق وأصحابه للشعر العربى ، وكأنها كانت تريد أن تثبت شخصيتها فى هذا الشعر وأن لها وجهة فنية قد اختارتها لنفسها وعوّلت عليها فى صنع نماذجها وآثارها الأدبية .

ونحن لا نعجب أن تحاول مصر حينئذ أن تكون متميزة الشخصية ؛ فقد كانت تستقل سياسيا عن بغداد وكانت تستقل أيضا عن الخلافة العباسية . ومعنى ذلك أنها كانت تستقل عن النظام السياسى الذى ساد فى المشرق ، ولعلها أرادت أن تستقل أيضا عن النظام الفنى الذى عرف هناك والذى كان يقوم على الاسراف فى استخدام ألوان البديع ، فان تركته فالى ضروب من التصنع والتعقيد لا تعبر عن جمال فى الفن إلا إذا جعلنا التعقيد والتصنع من حيث هما مظهرين من مظاهر الجمال الفنى .

وأنت لا تجد بين شعراء الخريدة شاعرا يعنى بهذه الجوانب فى شعره إلا أن يكون وافدا على مصر طارئا عليها من الخارج . ولعل من خير من يمثل ذلك أبا الحسن بن الشخباء العسقلانى ، فقد كان يعنى بالبديع فى شعره كما كان يعنى بشئ من التعقيد ، ولكن أبا الحسن ليس مصرياً إنما هو وافد على مصر .

لم تكن مصر تعجب بالبديع فى صنع نماذجها الفنية أثناء العصر الفاطمى . وليس معنى ذلك أنها نفتته تماما بل معناه أنها لم تستعمله إلا فى خفة ، إذ كانت مشغولة بنفسها تريد أن يكون لها شخصيتها التى لا تخضع لتقليد المشرق ولا تتعبد طرقه ونماذجه .

وربما كان من أهم الشعراء الذين يعبرون لنا تعبيراً واضحاً عن هذا الجانب عند شعراء العصر الفاطمى ظافر الحداد ، وقد نشأ نشأة متواضعة ؛ فقد كان حدادا فى الاسكندرية ، وتصادف أن كان هناك وال للفاطميين يسمى



ابن ظفر ، فضاق خاتم في يده عن خنصره فأحضروا له ظافرا ليبرده له ، وكان ينظم الشعر ، فلما مثل بين يديه أنشد :

قصّر في أوصافك العالم      فاعترف الناثر والناظم  
من يكن البحر له راحة      يضيق عن خنصره الخاتم

وكان في حجر الأمير غزال مستأنس . فقال له أحد الحاضرين : إن كنت ذا خاطر سمح فأنشدنا أسرع من ملح البصر في هذا الغزال المستأنس ، فقال على البديهة :

عجبت لجرأة هذا الغزال      وأمر تخطّي له واعتمد  
وأعجب به إذ بدا جائحا      فكيف اطمأن وأنت الأسد

وكانت هناك شبكة مسدولة على الدار ، فقال الممتحن لظافر : انظم في هذه الشبكة شيئا . فقال توجّا :

رأيت ببابك هذا المنيف      شبكا فأدركني بعض شك  
وفكرت فيما جرى لي فقلت      مكان البحار يكون الشبك

وكانت هذه الحادثة سببا في اشتهاظ ظافر ، فقرّبه والى الاسكندرية منه ، وحمله معه — على ما يظهر — إلى سيده في مصر ، فمدحه ظافر مدائح طريفة لم يثبها العباد لأنه كان أيوبيا وكان الأيوبيون يكرهون كل ما هو فاطمي فضاع من أيدينا شعر كثير بديع مما أحدثه الشعراء المصريون في مدح الخلفاء الفاطميين ومدح أمرائهم ووزرائهم . ولكن إذا كانت قد ضاعت مدائح ظافر في الفاطميين بل في ابن ظفر نفسه ؛ لأنه على ما يظهر كان يعرض فيها لبعض مبادئ الشيعة كما يصرح بذلك العباد ، فقد بقيت مع ذلك قصيدة له في مدح ابن أبي حديد قاضي الاسكندرية ، وقد رواها العباد لأن ظافرا لم يتشيع فيها ، وقد نظمها ظافر بمناسبة شهر الصيام فقال :

شهر الصيام بك المهني      إذ كان يشبه منك فنا  
ما سار حولا كاملا      إلا ليسرق منك معنى  
وينال منك كما نسا      ل ويستفيد كما استفدنا



فرأى هلاكك من محمل هلاله أعلى وأسنى  
 بهرت محاسنك الورى فأعادت الفصحاء لَكُنْنا  
 وإذا مدحناك احتقرنا ما تقول وإن أجدنا  
 والفضل أجمع بعد وصفك فهو غاية ما وجدنا  
 إن الذى صدح الحمائم به ثناؤك حين غشى  
 فتهنَّ شهرك واستزد قدومه سعدا ويمنا  
 فمكانه من عامه كمكانك المحروس منا

وأنت ترى ظافر فى هذا الشعر لا يستعين بالبناء الفخم فى المديح الذى نعرفه عند شعراء المشرق، وأيضاً فإنه لا يستعين بالبديع، إنما هو يستعين بالخيال الشعرى فى ظرف وفى رقة. وهذه هى الروح الحقيقية للمصريين فى العصور الإسلامية؛ فهم لا يحبون الأبنية الضخمة فى الشعر والفن، وحين يحاول أحدهم أن ينهض برفع قواعد هذه الأبنية يكون ذلك سبباً أولاً فى تهمة مصريته والشك فيها. وخير مثل لذلك القاضى الفاضل؛ فقد كان يعنى بهذه الأبنية وكان أيضاً غير مصرى.

ونحن نعرف أن مصر أخذت منذ ولى شؤونها الأيوبيون تخضع للنماذج المشرقية، وكان وفود صلاح الدين عليها كان معناه أنها ستخضع لهذه النماذج إذ كان صلاح الدين نفسه نموذجاً مشرقياً فى السياسة وقد وفد عليها معه العماد الأصهبانى وكان نموذجاً مشرقياً فى الشعر والكتابة، وكذلك كان القاضى الفاضل مع تركه لبلده فى الشام أثناء العصر الفاطمى وتعلمه على المصريين، إلا أنه على ما يظهر لم يكن معجباً بهم ولا بخلفائهم، ولذلك وجدناه يسعى حتى فى العصر الفاطمى نفسه إلى تقليد المشرق فى كتابته.

هناك إذن خطوط فاصلة فى تاريخ الأدب المصرى بين العصرين الفاطمى والأيوبي؛ فقد كان المصريون فى العصر الأول أكثر حرية فى التعبير عن أنفسهم، وكانوا لذلك أقوى شخصية. وهذا ظافر ينظم، ولكن نظمه يشف عن روحه وعما احتوته من رقة. واستمع إليه يقول مستغزلاً:

رحلوا ولولا أنتى أرجو الاياب قضيت نحى  
 والله ما فارقهم لكنى فارقت قلبى



أو يقول :

يا ساكنى مصر أما من رحمة فيكم لمن ذهب الغرام بلبه  
أمن المروءة أن يزور بلادكم مثلى ويرجع معدما من قلبه

أو يقول :

لئن أنكرت مقتلها دمه فمنه على وجنتيها سمه  
وها فى أناملها بعضه دعتة خضابا لى توهمه

وهذا شعر سهل عذب يطير عن الفم بخفة ، وخفته جاءت من أن الشاعر فيه يعبر عن نفسه مباشرة لا يلوى بتعبيره لونا من ألوان البديع ولا عقدة من عقد التكلف ؛ فنفسه تسيل على لسانه وفى شعره ، لا يحجبها عنا شئ .

وهذه خاصة مهمة من خصائص شعر ظافر بل الشعر الفاطمى كله ؛ فهو شعر لا يقصد به إلى التصعيب ولا إلى التعقيد بل يقصد به إلى التعبير الواضح عما فى النفس تعبيرا ليس فيه تصنع ولا تكلف ولا محاولة لاستخدام البديع كغاية يقصد لذاته .

السهولة والانطلاق مع النفس هما الخاصة الأولى لشعر ظافر وشعر الفاطميين ، وهى خاصة اقترنت بها عند ظافر خاصة أخرى هى عدم العناية باللغة ، كقوله من قصيدة :

يا رب غانية أضّر بقولها أنى بلفظة معدم منبوز  
فأجبتها ما عازنى نيل الغنى لكن مطالبة الحميد تعوز  
ما خاب من هضم التفضل ماله كرما ووافر عرضه محروز

فقد قال «عازنى» والصواب أعوزنى ويعوز ، وقال «محروز» والصواب محرز . وكما نلاحظ هذا اللمن عند ظافر نلاحظه أيضا عند الشعراء المصريين المتأخرين . ونحن إنما سقنا ذلك لندل على أن الميل إلى السهولة عند المصريين والتعبير الطبيعى جعلهم لا يعنون بالفاظهم عناية المشاركة ، وهى ملاحظة تطرد فى كتابتهم وخاصة التاريخية منها لا عند الجبرقى المتأخر بل عند غيره .



من السابقين ، وهى حال نريد أن ندل بها على ميل المصريين إلى إثبات شخصيتهم فى العربية ، فكانوا لا يأبهون بقواعدها فى بعض الأحيان . ولكن هذا لم يكن شأن الكثرة بل كان شأن القلة ، حتى إذا وصلنا إلى العصر العثمانى شاع اللحن وشاع الخروج على اللغة وأصبح هناك ميل عام لاستخدام العامية أو على الأقل لاستخدام بعض ألفاظها .

ولعل فى ذلك ما يدل على أن الأدب فى مصر كان يسعى إلى أن يكون شعبيا . ولكننا نعرف أن كتاب المكافأة لأحمد بن يوسف ، وهو كتاب متقدم إذ ألف فى العصر الطولونى ، حاول صاحبه أن يستخدم كثيرا من ألفاظ المصريين الدارجة . وربما كان من أهم الأسباب فى هذا الميل الصريح إلى أن يصبح الأدب المصرى أدبا شعبيا أن نجد أبناء الشعب من أمحباب الحرف يشتركون فيه ، فهذا ظافر حداد ، ونجد فى العصر المملوكى شاعرا جزارا وآخر حماميا وثالثا وراقا ورابعا خياطا وخامسا كحالا وسادسا خبازا .

ولكن لا تظن أن هذه الشعبية فى الشعر المصرى ، وخاصة فى العصر الفاطمى ، أفقدته روعته ؛ فهذا العباد الأصبهانى يقول عن ظافر : « بحظه من الفضل ظافر ، يدل نظمه على أن أدبه وافر ، وشعره بوجه الرقة والسلاسة سافر ، وأما كله لولا أنه من مداح المصرى والله له غافر ؛ حداد لو أنصف لسمى جوهريا ، وكان باعتزائه إلى نظم اللائىء حريا ، أهذى بردى شعره الروى للقلوب الصادية ريا ، فياله ناظما فصيحاً مفلقا جريا . »

وهذه شهادة قيمة من زعيم أدباء الشرق فى عصره وأكثرهم تقيدا بالبديع والتصنع فى تماذجه شعرا ونثرا . وهى شهادة ترجع فى الواقع إلى أن ظافرا وغيره ممن يماثلونه حينما ذهبوا هذا المذهب من السهولة فى شعرهم لم يخرجوا به من دوائر الخيال والتصوير ، بل على العكس أتاح لهم ذلك أن يبتكروا فى تصويرهم . وهو ابتكار يشهد بقدرتهم على صنع الصور وإخراجها فى أشكال بديعة من الرؤى الحاملة .

وليس من شك فى أن هذا الجانب عند ظافر وأمثاله هو الذى يمسك بشعرهم أن يخرج إلى الابتذال . فالشاعر إن ترك نفسه على سجيته ولم يكن عنده حظ من الخيال والوهم خرج شعره ضعيف البنيان يكاد ينقض . وقد كان لظافر حظ ممتاز من الخيال الحالم ؛ ولذلك كثرت فى شعره الصور الجميلة التى



تروع العقل والقلب . ونحن نكتفى بصورة واحدة من صورته لنلذ على هذه  
المقدرة الممتازة عنده ، وهى صورة وصف فيها الهرمين وأبا الهول وصفاً لم يقع  
لشاعر من قبله ولا من بعده ؛ إذ يقول :

تأمل بنيسة الهرمين وانظرُ وبينهما أبو الهول العجيبُ  
كعمارتين على رحيل لمحبوين بينهما رقيبُ  
وماء النيل تحتهما دموعُ وصوتُ الريح عندهما نحيبُ

ولا ريب فى أن هذه الأبيات تدل على ريشة فنان حقا ، وهى ريشة تعرف  
كيف تضم أجزاء المنظر الواسع فى الطبيعة بعضها إلى بعض وتحيلها إلى صورة  
مركزة دقيقة . فهذان الهرمان ، كما يقول ظافر ، أشبه ما يكونان بعمارتين قد  
تهيأتا للرحيل بمحبوين قد وقفا موقف الوداع ووقف منهما أبو الهول موقف  
الرقيب . وإذا كنت تشك فى هذا المنظر وحقيقته ، فانظر إلى ما يجرى تحت  
أقدام المحبوين من دموع النيل التى ما تزال تصب وتجرى منذ القدم .  
وأعتقد أن ظافراً لو لم يصنع سوى هذه الصورة الطريفة لكان حرياً بالخلود  
بين شعراء العصر الفاطمى ، وإن فى مثل هذه الصورة عنده لآية على أن المصريين  
حين تحرروا من ربة الشرق فى العصر الفاطمى ولم يخضعوا لرسومه الفنية كان  
ذلك حافزاً لهم أن يأتوا بطرائف جديدة حتى يباهوا أهل الشرق بما لهم من  
شعر وفن .

لم تجر شعيرة الشعر المصرى عند ظافر وأمثاله فساداً ولا ضعفاً فى الفن ،  
بل لقد جرّت رقة وسلاسة كما يلاحظ العماد الأصهبانى ، وجرّت أيضاً هذا  
التجديد والابتكار فى الصور كما جرّت إفصاحاً صريحاً عن بعض خصائص  
المزاج المصرى من الفكاهة ؛ وسنعرض لذلك عند آخرين من شعراء هذا  
العصر . ومهما يكن فإن ظافراً لم تقعد به شعبيته ولا قعدت به حرفته عن أن  
يصبح شاعراً ممتازاً من شعراء مصر الفاطمية .

سوقى ضيف



## غاندى البطل الروحي

على سهل أخضر بالقرب من دلهى عقد اجتماع رائع فى أول كانون الثانى عام ١٨٧٧ . وجلس فى هذا الاجتماع كبار الضباط وكبار حكام الهند وراء منصة مكسوة بألوان خضراء وحمراء وبيضاء وزهية ليسمعوا لأول مرة تنصيب الملكة فكتوريا أول إمبراطورة على الهند . وعند ما صدحت الأبواق معلنة وصول صاحب السعادة نائب الملك ادورد روبرت بولت لايتن البارون الثانى لمقاطعة لايتن وقفوا جميعا يحيون سعادته وهو يمشى على سجادة حمراء طولها ٨٠٠ قدم . ثم قرئت الارادة الملكية باعلان الملكة امبراطورة على الهند ، ورفع العلم ، وأطلقت المدافع تحية لهذا الحادث ١٠١ اطلاقا . وبعد ذلك عزفت الفرق الموسيقية نشيد « اللهم احفظ الملكة » ، وسار الجنود على دق الطبول ونفخ المزامير تتقدمهم مواكب من الفيلة مجللة بغلائل ذات ألوان زاهية بهية رافعة خراطيمها إلى الأعلى بحية على فرقة البارود .

وكان سمو المهرابا سنديا أول من هنأ الامبراطورة غايايا هاتفا « شاهنشاه بدى شاه » ( ملكة الملكات ليباركك الرب ) . وقال إن أمراء الهند يصلون لدوام سيادتك وقوتك إلى الأبد .

## عزرة وزعيم

إن كلمة « إلى الأبد » التى نطق بها المهرابا سنديا كان يمكن أن تعمر أكثر فى الهند لو لم يوجد طالب خجول كان يعيش حينئذ فى بلدة نوربندار الواقعة فى شمال الهند الغربى على بعد ٧٠٠ ميل من بحر العرب . وكان عمر هذا الطالب الذى يسمى موهنداس كمرشند غاندى ثمانى سنوات عندما نصبت الملكة فكتوريا إمبراطورة على الهند . وقد امتاز غاندى منذ هذه السن



باشمئزازه من تصرفات الحكام البريطانيين ، وكان يبدو عليه التأثر وهو يسمع  
أساتذة المدرسة ينشدون أبياتا من الشعر الركيك في تمجيد الفرد الانكليزي  
وتحقير الهندي المستعبد . وكان من هذه الأبيات :

أنظر إلى الرجل الانكليزي القدير  
يحكم الهندي الصغير  
لأنه أكل اللحوم  
وطوله خمسة أقدام .

ومع أن والديه كانا متدينين جدا من ملة ميشنافاس التي تحرم أكل اللحوم  
تحريرا قاطعا ، فقد تقصّد غاندى بعد بضع سنين على أكل لحم المعز ليقتردى  
بالانكليز . وقد وصف بعد ذلك ما تركه هذا العمل في نفسه فقال :  
« قضيت ليلة رديئة جدا . وكلما حاولت النوم خيل إلى أن في داخلي معزة  
تملىء ، فكنت أقفز من السرير والندم ولوم الضمير يحزان في نفسي . »

ولم يزد وزن جسم غاندى الهزيل على ١١٠ باونات ، ولكن الروح التي  
كانت في داخل هذا الجسم أشعلت نار أعظم حركة تحريرية في الهند وقوضت  
عروش القديريين وآكلي اللحوم . وقد أطلق المستر ونستن تشرشل يوما على  
غاندى اسم « فقير متمرد نصف عريان » ، وقال إن هؤلاء الهنود لن يحصلوا  
على مركز الدومينيون طوال حياتهم . ولكن بعد سبعين سنة من حفلة دوربار  
العظمى كان غاندى وتشرشل لا يزالان على قيد الحياة وكانت الحرية على  
قاب قوسين أو أدنى من الهنود .

ولكن البشر لم يظهر على غاندى إلا عندما غادر البريطانيون نهائيا  
مستعمرة المنبوذين القذرة في ضواحي دلهي الجديدة ؛ لأنه عند ذاك فقط  
استمتع بثمرة جهاد دام أكثر من نصف قرن .

وقد حاول غاندى دائما أن يشيع السلام بين الطوائف الهندية ، لأنه  
كان يعتبر العنف والشقاق في الهند إهانة شخصية له . وكانت « الالهة »  
أى عدم العنف المبدأ الأول في حياته ، وظل يؤمن بأن الستيفراها (قوة الروح)  
هى الطريقة الوحيدة المرغوبة في الحياة . وفي مسكنه المطلي بالجير الأبيض  
راح غاندى يلحق جراحات روحه ويردد : « إنى أشعر بأن عنف الهنود ليس



إلا علامة ذات دلالة » . وكان يناجى الأوراد ويقول : « إننا حالما تلقى بالنير الأجنبي إلى الخارج فإن كل الأوساخ والقاذورات ستطفو على السطح . وعند ما يفيض الكنج فإن الماء سيتعكر . »

ولكن من سخرية القدر أن يساعد غاندى الذى قضى حياته يحرب أن يوجه الحياة فى قنوات منظمة على إثارة الشعب ودفعه لأحداث الشغب . فإن الذين سماهم « الملايين الجائعة المكدودة الخرساء من أولئك الذين يجلونه ( ويعبدونه فى بعض الأحيان ) » لم يفهموه عند ما كان يصرخ ويبكى من أجل حريتهم طالبا منهم ألا يلجأوا إلى القوة لنيل الحرية . ولكنه لم ييأس بل كان يزداد حماسة على حماسة ويقول « إن تثبيت نظام صحيح متسامح بين .. مليون فرد ليس مزاحا » .

وقد ابتدأ اهتمام غاندى بتنظيم حياته عندما قصد إلى جنوب أفريقيا محامياً له الحق فى الترافع أمام المحاكم الانكليزية ، وكان عمره إذ ذاك ٣٢ عاماً . وهناك أحس لأول مرة بعبء الرجل الأبيض ، فأخذ يهمل تدريجياً عمله المربح فى المسائل القانونية ، وراح يوجه مواطنيه الهنود لمكافحة القانون المحلى المشرع ضد الهنود .

وقد أعاره هناك صديق انكليزى كتاب الكونت ليو تولستوى « الله معك » . فأثرت الحكمة المسيحية الروسية السمحة فى عقل المحامى الهندى تأثيراً كبيراً ، ودفعته إلى انتهاج حياة جديدة . وقد وجد أن العمل اليدوى ضرورى للحصول على سعادة حقيقية ، واعتقد أن الهنود سيجدون السلام عند ما يصنعون ملابسهم بوساطة « الجاركا » أى عجلات الغزل . فوضع تشريعاً عملياً مخصصاً للهنود سنوياً . . . . . بادن كانت تصرف لتحقيق الاستقرار الزراعى ، وبعد ذلك أخذ يصدر جريدته « الرأى العام الهندى » . وحشد غاندى كل القوى الهندية المحلية لإعلان أول عصيان مدنى ، فاضطرت حكومة جنوب أفريقيا العنيدة إلى إلغاء بعض القوانين الموضوعية ضد الهنود . وفى عام ١٩١٥ ، وكان عمره ٤٥ سنة ، عاد إلى بومباى زعيماً للهند .



## تجربة كبرى

وبعد سنة واحدة من رجوعه قام برحلة جاب فيها جميع أرجاء الهند ، فكان الناسك الرقيق يسير ملتحفا بمئزره بين القرويين الذين امتلأت قلوبهم بمحبته ، وصارت أقواله مرادفة للصدف عندهم . وعند ما كان يشاهده الفلاحون الساذجون كانوا يلتفون حوله ، بل إن بعضهم كان يحاول تقبيل قدميه إلا أن غاندى كان يصرخ فيهم : « تمسكوا بالله واعبدوه . »

وقد عرف بالمهاتما ( الروح الأكبر ) ، كما صار يسمى ، بأنه قد أصبح زعيما دينيا لا سياسيا . ومن أقواله فى هذا المعنى : « إذا ما ظهر أنى أشارك فى السياسة فإ ذلك إلا لأن المسائل تلتف كما تلتف الحية على نفسها ، بحيث لا يمكن الإنسان أن يستخلص من بينها مسألة واحدة مهما جرب من محاولات . وإننى أريد أن أصارع هذه الحية ... إننى أريد أن أدخل الدين فى السياسة . » ووجد غاندى أنه لا يمكن أن يكون للشعب الهندى تفكير صاف فى كلمته وعهده ما لم تكن له قضاياها الخاصة به . ولذلك أخذ يعمل من أجل استقلال الهند . ووجد أنه من الحكمة أن تسلم قيادة الكفاح فى سبيل الاستقلال إلى طائفة من الهنود المثقفين تثقيفا جيدا . وصار المجلس الوطنى جمعية أدبية تجرى فيها المناقشات التى تدور حول حصول الهند على مركز الدومنيون بالوسائل التشريعية . وعمل غاندى على تحويل المجلس إلى منظمة شعبية كبيرة . وعند ما نجح فى ذلك جند الفلاحون جميعا أنفسهم للكفاح وراء غاندى الذى دعاهم فلبوا النداء .

وإن الوسائل البريطانية العنيفة الرادعة بعد الحرب العالمية الأولى أقنعت غاندى بأنه ليست لبريطانيا رغبة فى منح الهند نظام الدومنيون ، ولذلك نظم حركته السلمية . وقد أوشكت الحملة الأولى فى هذه الحركة أن تزعزع الحكم البريطانى . وقال الحاكم البريطانى فى هذه المناسبة : « إن غاندى أعظم تجربة هائلة فى تاريخ العالم ، وأنه قد غدا على مسافة شبر واحد من النجاح . »

إلا أن المقاومة السلبية كانت دائما تؤدى إلى استعمال العنف . وعندما شاهد غاندى إراقة الدماء بعد دعوته إلى المقاومة غمره ندم وتقريع فوقف



حملته عام ١٩٢٢ وأدان نفسه بسبب سوء تقديره ، ورأى أن أتباعه لم يعدوا أنفسهم إعدادا كافيا كي يثقوا بفائدة العمل الروحي وليكونوا « أداة صالحة » لانجاح الأعمال السلمية .

وقد تكرر ذلك فى السنين التى تلت ذلك . فان كافة أنواع العمل السلبى - اضجاع النساء على خطوط السكك الحديدية ، استخراج الملح من البحر ، مقاطعة المخازن البريطانية ، الاضرابات ، المواكب الحاملة أعلاما خفاقة - أدت إلى إطلاق الرصاص فى الشوارع وإلى إشعال النيران وانتشار أعمال السلب والنهب . وكان الصوم دائما هو كفارة غاندى عن ذنوبه . وبعد كل صوم ، وبعد كل مقاطعة ، وبعد كل سجن ، كان غاندى يقترب من هدفه الأخير ألا وهو تحرير الهند . وأخذ يستعمل نفس الأسلحة من أجل تحقيق أهدافه الاجتماعية التى تتناول القضاء على الاعتقاد بوجود أنجاس ومطهرين ، وعلى شرب الخمر ، وعلى اغتصاب الأراضى وتزويج الأطفال واحتقار المرأة .

وبينما كان مستمرا فى كفاحه أخذت السياسات الهندية تتحول من طريق إلى طريق . فالجلس الوطنى الذى كان يمثل الهنود بجميع طوائفهم وملهم اعترف أخيرا بأن مهد على جنبه يتكلم باسم المسلمين ، وأدى ذلك إلى انشقاق الجبهة اليسارية وخروجها من المجلس ، وهدد الشيوعيون الذى يرأسهم بوران جاندرا جوزاهى بمقاومة سياسة تهدئة المزارعين والصناع المحليين التى كان يعمل غاندى لتوطيدها . ومنذ عام ١٩٤١ انتقلت إدارة المجلس إلى أيدي جماعة من المحافظين يرأسها السردار فالابهاى باتل ، واقتصرت زعامة غاندى على التوجيه غير المباشر .

وقد أثرت اشتراكية جواهر لال نهرو كذلك فى طابع الكفاح الهندى ، وأخذ الجهاد الاستقلالى يساير جهادا آخر يعتمد على القوى الاقتصادية . إلا أن غاندى كان يجيب على هذه المشاكل المربكة بقوله : « إن الأذى لا يحيى شيئا ، عش ببساطة ، وبسلام ، وبصفاء » . وكان كلما تغلب على تغلغل النفوذ البريطانى يقدم دليلا للوطنيين الهنود على اتساع تعاليمه .

وظل غاندى إلى آخر أيامه يأمل فى جمع الهندوسيين والمسلمين معاً فى دولة هندية متحدة ، بالرغم من اعلان تقسيم الهند رسميا إلى دولتين :



الهندستان والباكستان ؛ لأنه كان يؤمن بأن استمرار الأحقاد والمنازعات لن تؤدي إلى إفناء الدولتين بل إلى إفناء الهند بأسرها .  
وبالرغم من أن الاتفاقات السياسية الأخيرة التي وقعها القادة الهنود لتجزئة الهند فان المصادمات الطائفية ظلت مستمرة ، فعمل المهاتما غاندى لإحلال السلام والتفاهم ، وقام بزيارة المدن والقرى لوقف المجازر الناشئة .  
ولما أخفق أعلن عن صومه ، وكان هو الصوم الأخير الذى وقفه بعد الحاح أتباعه .

وأخيرا قتل غاندى بالرصاص ، وهو الذى عاش ومات فى سبيل الدعوة إلى الإخاء والمحبة . وكان هذا الموت بالنسبة له دليلا على أن لا يكون الناس — كما قال برنارد شو — طيبى القلوب إلى هذا الحد . وستبقى تعاليم هذه الروح الكبيرة خالدة ما بقى الناس يستوحون المدد من أنبيائهم ورسولهم ؛ لأنه لم يكن إلا رسولا من رسل الضمير النقى والقلب الطاهر .

[بغداد]

فؤاد طرزي



## دراسات في النقد الانجليزي المعاصر

النقد الجديد في رأى ج. ا. سبنجارن

هذه بعض الدراسات في النقد الأدبي المعاصر بالجلتيرا ، رأيت أن أقدمها لقراء العربية رغبة منى في توطيد الصلة بين الفكر العربى والفكر الأوربي الحديث ، وهى الصلة التى مازالت فى رأى بعيدة بعض الشئ . وسأبدؤها بعرض لفلسفة إمام من أئمة النقد المحدثين وأعنى به — ج. ا. سبنجارن — وهى الفلسفة التى يطلق عليها اسم « النقد الجديد » والتى يتحرر فيها من كثير من الآراء والمعتقدات التى كانت ومازالت تسيطر على كثير من مدارس النقد فى أوربا وفى مصر على وجه الخصوص . ولكى يتسنى لنا أن نفهم مايعنى سبنجارن بالنقد الجديد يجدر بنا أن نستعرض فى اختصار الأطوار التى مر بها النقد الأوربي عامة فيما بين القرن الماضى والوقت الحاضر .

فى نهاية القرن الماضى احتلت فرنسا مرة أخرى مركز المسرح الذى يمثل النظارة فيه وارثو الحضارة الأوربية ، فأنصت العالم إليها مرة أخرى وهى تتحدث أحاديث مختلفة كان من أهمها حديث النقد الأدبي . ولست أريد الآن أن أسرد للقارى ما هو فى الغالب يعلمه حق العلم ، ولا أن أشير إلى كيف أن نقاد «مجلة العالمين» *Revue des deux mondes* ، قرنوا فى مهارة وحذق ما بين النقد القديم وأسلحة العلم الحديث ، ولا إلى الدقة فى التفكير والجلال فى التعبير مما استخدمه جول ليميتير وأناطول فرانسس وأقرانها فى دفاعهم عن حرية التقدير والنقد ؛ فقد أصبح الكثير من أقوالهم الآن معترفا به ؛ ومن ذلك إنكار أناطول فرانسس على الناقد صفة القاضى الذى يحكم بالبراءة أو الادانة ، ووصفه له بأنه « نفس مرهقة الحس تروى مغامراتها بين روائع الآثار الغنية » فمهمة النقد لدى أصحاب المذهب العاطفى هى التعبير عما يحسه الناقد من مشاعر مختلفة فى وجود الأثر الفنى — وهو قد



يعبر عن وجهة نظره بالكيفية الآتية فيقول : « هذه قصيدة جميلة — (بروميتيوس طليق) لشلى مثلاً ، أحس بالسرور عندما أقرأها ، وهذا السرور الذى أحس به هو حكمى عليها الذى لا يمكن أن يفضلها حكم آخر . كل ما أستطيع عمله أن أروى لك كيف تؤثر فى وأن أشرح لك الاحساسات المختلفة التى تخلقها فى نفسى . قد يحس غيرى عند قراءتها باحساسات أخرى وقد يعبر عنها تعبيراً آخر . ولكن أليس له من الحق فى هذا مثلاً لى ؟ إن استطاع كل منا أن يعبر عن نفسه جيداً ، وإن كانت لكل منا القدرة على الاحساس الدقيق ، أنتج أثراً فنياً جديداً يحل محل الأثر الذى كان مصدر إحساساتنا — وهذا هو فن النقد ، ولا يستطيع النقد أن يأتى بأكثر من هذا . »

وقد نرد عليه فنقول : « أنت لا تعيننا فى شئ ، وإنما قصيدة شلى هى التى تهمنى . وأنت بوصفك لحالتك الصحية أو النفسية لا تساعدنا على فهم القصيدة أو الاستمتاع بها ، وإن نقدك ليحاول دائماً أن يبتعد عن الأثر الفنى ليركز الاهتمام فىك وفى مشاعرك . » ولكنه سيجيب : « هذا صحيح ؛ إن نقدي يميل إلى أن يبتعد عن الأثر الفنى وأن يركز الاهتمام فى . ولكن كل أنواع النقد الأخرى تبتعد عن موضوع النقد وتحل محله شيئاً آخر ، الناقد العاطفى يحل نفسه ، ولكن أى أنواع النقد الأخرى تقترب من بروميتيوس ؟

« فالنقد التاريخى يبعدنا عنه فى سعيه وراء البيئة والعصر والمدرسة الشعرية التى نشأ فيها الشاعر ، وهو يوصينا بقراءة « تاريخ الثورة الفرنسية والعدالة السياسية » لجودوين — و « بروميتيوس سجين » لايسكلوس — والنقد السيكولوجى يبعدنى عن القصيدة أيضاً ويحل محلها حياة الشاعر ، فبدل أن أستمع « ببروميتيوس » يطلب منى أعرف الكثير عن شلى نفسه . والناقد الكلاسيكى لا يقترب من القصيدة بحكمه عليها بموازينه ومقاييسه المعينة ، فهو يطلب منى أن أقرأ المسرحيات الاغريقية وشكسبير وشعريات أرسطو وربما أصل الأجناس لداروين أيضاً ، حتى أستطيع أن أتبين مدى إخفاق شلى فى أن يصنع قصيدته بالصيغة المسرحية أو فى مراعاة أصول وقواعد « الصنف » الأدبى genre الذى تنتمى القصيدة إليه . ولكن هذا يعنى دراسة آثار أدبية أخرى لا دراسة « بروميتيوس طليق » . أما الناقد من أصحاب المدرسة الجمالية فى النقد فهو يبعدنى عن القصيدة بنظرياته عن الجمال والفن . وهكذا



الحال مع كل نوع آخر من أنواع النقد . فلا تخدع نفسك لأن النقد فى مجموعه يميل إلى أن ينقل الاهتمام من الأثر الفنى إلى شئ غيره . غيرى من النقاد يهتمون بالتاريخ أو السياسة أو تراجم الحياة أو الفلسفة أو الفقه اللغوى والأدبى . أما أنا فأنى أحلم حلم الشاعر ؛ ولذلك أحاول أن أحل أثراً فنيا محل أثر آخر . والفنى لا يستطيع أن يدرك نفسه إلا بالفن .

من العيب هنا أن نفصل ردود المدارس النقدية الأخرى على أصحاب هذه المدرسة ، إلا أنها كانت تستطيع مهاجمة الفكرة القائلة بأن الذوق يمكن أن يحل محل العلم ، أو أن العلم يمكن أن يعوضنا عن الذوق ؛ فكل منهما له قيمة فى النقد . وبذلك تكون الطريقة العاطفية ليست أقل خطأ من الطريقة المدرسية فى النقد ، كلاهما ناقص : وكلاهما لا يفي بالغرض ، على أن هذا لا يعنيننا الآن فى شئ ، فيكفى أن نعرف أن نضال أصحاب المذهب الموضوعى وأصحاب المذهب الأتباعى ضد أصحاب المدرسة العاطفية فى النقد لم يكن بالشئ الجديد فهى حرب قديمة العهد ، بدأ بها تاريخ الأدب الحديث عندما سن النقاد الايطاليون فى القرن السادس عشر القانون الكلاسيكى الذى فرض على أوربا فرضاً لمدة قرنين والذى مازال قائماً إلى يومنا هذا فى ثوب « العلم الطبيعى » كما يسميه برونييتير ؛ فهم قد أنشأوا الوحدات المسرحية وغيرها من القواعد التى تخيلها الشاعر بوب على أنها الطبيعة ولكنها الطبيعة مقننة ، ولكن فى نفس اللحظة التى كان ينادى فيها زعيمهم سكاليجر بأن أرسطو هو أميرنا وأنه الدكتاتور الدائم على كل الفنون ، كان يصير ناقد إيطالى آخر هو بيترو اريتينو على أن العبقرية لا يمكن أن تعرف بالقوانين والقواعد ، وأنها لا تملك من معايير الحكم الأدبى إلا ذوقنا الشخصى . . .

وفى القرن السابع عشر ورث الفرنسيون مشعل الحضارة من الطليان . ومنذ ذلك العهد إلى يومنا هذا والنضال بين المدرستين لا ينقطع فبوالو ضد سانت إيفرموند والاتباعيون ضد الابتداعيين ، والنظاميون ضد العاطفيين . كتب ليميتير يقول : « لم أتحدث بهذه الحرية عن هذا الشاعر النبيل فيرجيل لى أحدد قيمته أو أضرب بشهرته ، فسيستمر العالم يرى ما يراه الآن فى أشعاره الجميلة . أما أنا فلا أحكم على شئ ، وإنما أعبر عما أرى وعن الأثر الذى تخلقه هذه الأشعار فى عقلى وقلبى . » بيد أن هذه الألفاظ نفسها



« أنا لا أحكم على شئ وإنما أعبر عما أرى » قد قالها من قبله شيفاليه دى ميري أحد الفطناء في عصر لويس الرابع عشر وهو يكتب إلى سكرتير الأكاديمية الفرنسية . ومن ثم نرى أنه حتى في عصر بوالو كان النقد في نظر بعض الناس « مغامرات بين روائع الآثار الفنية » .

فهذه المعركة - إذن - معركة دائمة ، نجدها في كل عصر بين المدرسة العاطفية أو الاستمتاع والمدرسة النظامية أى الحكم ؛ إذ أنهما بالنسبة للنقد كالرجل والمرأة في الحياة . ولذلك وجب أن نعني بقولنا إنهما يزدهران في كل عصر بأن لكل عصر نقده المذكر ونقده المؤنث . والأول قد يفرض أو لا يفرض معايير على الأدب ، وكأنه لا يسمح مطلقاً بأن يكون للموضوع الذى يدرسه سلطان عليه . والثاني يتجاوب مع الفن تجاوباً به الشئ الكثير من الحرارة ولكنه سالب . وفي عصر بوالو كان النوع الأول هو الذى يصنع النقد ، أما في عصرنا فالنوع الثاني هو صاحب الأثر الأول خارج دور الدراسة طبعاً ؛ على أنهما يقومان دائماً جنباً إلى جنب كل منهما يناضل الآخر مالم يتآلفا ويقتربا بطريقة ما .

على أننا لو اخترنا هاتين الطريقتين المتعارضتين من طرق النقد في عصرنا لألفينا أنهما تتفقان على الأقل في نقطة واحدة لم تتفقا فيها ولا في أى طريق أخرى من طرق النقد فيما مضى . فقد كان الاغريق لا يرون في الأدب تعبيراً تنشئه ملكة الخلق لا بد منه ، بل هو تقليد أو تكييف لمادة الحياة بشكل جديد . فالشعر في رأى أرسطو نتيجة لغريزة حب المحاكاة عند الانسان . ويختلف عن التاريخ أو العلم في أنه يعالج الممكن أو المحتمل لا الواقع في الحياة . وكان الرومان يعتبرون الأدب فنا رفيع الشأن القصد منه إلهام الناس بالمثل العليا في الحياة ، وكان هذا أيضاً رأى الاتباعيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر ؛ فقد كان الأدب في نظرهم نوعاً من التدريب : حرفة يمكنك أن تكتسبها بدراسة الآثار الكلاسيكية لتستطيع تفهم الطبيعة وفقاً للتقاليد الاغريقية والرومانية ، وكان أيضاً نتاجاً من أنتجة العقل مثله في ذلك مثل العلم أو التاريخ . وجاء القرن الثامن عشر فعقد سیر النقد بعض التعقيد بادخاله معايير جديدة عامة كالخيال والعاطفة والذوق ؛ على أنه لم يستطع التحرر من التقاليد القديمة إلا في القليل النادر .



على أنه بقيام الحركة الرومانتيكية ، الابتداعية ، نشأت الفكرة الجديدة التي ينطوى عليها النقد بكل أشكاله في القرن التاسع عشر. ففي أوائل القرن نادت مدام دي ستال بالرأى القائل بأن « الأدب تعبير عن المجتمع » ، وهي عبارة صحيحة جزئياً لو فسر المجتمع بأنه الدائرة الضيقة التي يعيش فيها الشاعر ، لا بأنه تلك الدائرة المنسقة التي يعبر فيها العقل البشري عن نفسه ، وأعلن فكتور كوزان بعد ذلك المبدأ الأساسي « أن التعبير هو القانون الأولى في الفن » . وإذا أخذ معنى التعبير بعد ذلك يضيق وتضاربت الناس في فهمه أو إساءة فهمه أصبح فكتور كوزان مشرع النظريات الميكانيكية التي تدين بها مدرسة الفن للفن الفرنسية . ونادى سانت بييف بعد ذلك بأن الأدب تعبير عن الشخصية . وهي حقيقة جزئية أيضاً لو كنا نعنى بالشخصية خلق الفنان وعاداته ، لا الشخصية الفنية التي تبين عن نفسها في الأثر الفني . وجاء تين بعد ذلك متأثراً بهيجل فقال إن الأدب تعبير عن الجنس والعصر والبيئة . أما العاطفيون المتطرفون فيرون في الأدب تعبيراً عن المشاعر الدقيقة أو الآثار التي تخلفها الحياة في الانسان .

هكذا نرى أن الأدب في نظر كل هؤلاء النقاد هو فن من فنون التعبير سواء أكان ذلك التعبير عن شئ أو خبرة أو عاطفة ، عن الكاتب نفسه أو عما يحيط به ؛ ومن ثم كان اتفاق النقاد في عصرنا هذا مهما اختلفت مذاهبهم وتشعبت سبلهم ، فهم في كل ما يكتبون يدينون جميعاً بفكرة التعبير هذه . ولقد ظل النقاد في فرنسا يركزون على هذه الفكرة قرناً أو ما يزيد ، ولكن دون أن يحاول أحد منهم أن يتفهم مدلولها الجالى ، بل هم اكتفوا بترديد صدى الفكر الألماني ترديداً مبهما لا وضوح فيه . إذ أن الفلاسفة الألمان فيما بين هيردر Herder وهيجل كانوا أول من حدد نظرية التعبير وجعلها أساساً لطريقة جديدة من طرق النقد . وكنا يذكر حديث كارليل عما أنجز النقد في ألمانيا في ذلك العصر ؛ إذ قال : « لقد اتخذ النقد شكلاً جديداً في ألمانيا ، فأصبحت له مبادئ وأغراض سامية ، ولم يعد الآن يسعى إلى تحليل الأسلوب أو النظم التي تبين صلاحية الاستعارة أو وضوح العاطفة أو الكشف عن الحقيقة المنطقية العامة التي ينطوى عليها الأثر الفني



كما أنه لم يعد يعنى باستقراء حياة الشاعر وصفاته الخلقية أو مزاجه من خلال شعره ، بل صار همه الأول روح الشعر نفسه وحياته الخاصة به . وليست مهمة النقد تحديد الكيفية التى أنشأ بها أديسون عباراته وكون أسلوبه ، بل هى استكشاف العبقريّة التى أوحّت إلى شكسبير مسرحياته ، ونفثت الروح فى إريل وهاملت ، أين تكون هذه الروح وكيف استطاعت أن تمنحها هذه الشخصية . فالنقد لايهم الآن بالشاعر وطريقته فى النظم ، ولكنه يهتم بفحص العقيدة نفسها وكيف كانت ولم كانت ولم لم تكن مجرد تعبير فصيح بدل أن تكون خلقاً ينبض بالحياة كما هى . والنقد الآن يقوم مقام الشارح الذى يفسر الملهم لغير الملهم ، والذى يصل ما بين النبى ومن يستمع إليه من الناس فيطرب لروى حديثه ولكن لا يتفهم سخواه .

وسبنجاردن فى فلسفته الجديدة فى النقد يرى رأى كارليل . ولكن أكبر ظنى أنه يراه مغالياً بعض الشئ فىما نسب من صفات إلى الناقد الألماني ولو أنه يقره على أن النقاد الألمان كانوا أول من أدركوا أن التعبير هو مهمة الفن ، وأن النقد هو دراسة للتعبير . وقد كتب جيته يقول : « النقد نوعان : نقد هدام ، ونقد منشئ خالق . والأول يختبر وقيس الأدب بمعايير آلية ، أما الثانى فيجيب على هذه الأسئلة الأساسية : ما القصد الذى يسعى الكاتب إليه ؟ وإلى أى حد نجح فى إدراك قصده وفى تنفيذ خطته ؟ » وهذه هى تقريباً نفس الألفاظ التى يستعملها كارليل فى مقاله عن جيته حين يقول : « على الناقد أن يفهم بوضوح ماذا كان قصد الشاعر ، وما هو العمل الذى كان عليه أن ينجزه ، وإلى أى حد استطاع بلوغه وتأديته مستعيناً فى ذلك بالمادة التى بين يديه ؟ » وهذا — فى رأى سبنجاردن — هو القبس الذى يستمد النقد نوره منه فى عصرنا الحديث ، وهذا هو المثل الأعلى الذى ظل النقاد يسعون إليه من كولريدج إلى باتر ومن سانت بييف إلى لىتر ، حتى عند ما لم يصيبوا فيه نجاحاً ، وعندما كانوا يخدعون أنفسهم بأنهم يسعون إلى أشياء أخرى خلافاً ؛ ولكنه لم يكن المثل الأعلى للنقاد فى عصر أرسطو أو العصور التى تليه عند ما كان الناقد يحكم على الأثر الفنى بقوله إنه « غير معقول » أو « ضار بالأخلاق » أو « يناقض نفسه » أو « يتنافى مع أصول وقواعد الكتابة » . ولم يكن هذا



أيضاً ضمن مقاييس بوالو Boileau الذى لام تاسو على استعمال الأسطورة المسيحية بدل الأسطورة الوثنية فى الملحمة ، أو أديسون عندما كان يحكم على « الفردوس المفقود » وفقاً لمقاييس Le Bossu أو الدكتور جونسون عندما كان يعيب على الملك لير خلوها من العدالة الشعرية .

« ماذا حاول الشاعر صنعه وكيف أدرك قصده ؟ ما الذى يحاول أن يعبر عنه وكيف استطاع التعبير ؟ وما هى الروح التى يشف عنها أثره الفنى ؟ وما هو الطابع الذى يمكن أن يخلفه على العقل ؟ وما هى أفضل السبل التى أستطيع أن أعبر بهما عن هذا الطابع ؟ هل الأثر الفنى أمين على تنفيذ القوانين التى هى قوانينه الذاتية لا القوانين التى يفرضهما الغير عليه ؟ » هذه هى الأسئلة التى يجب على الناقد الحديث أن يوجهها إلى نفسه كلما حاول أن يعالج أثراً من الآثار الفنية . ولكننا فى الإجابة عنها يجب ألا يعزب عن بالنا أمر ذو أهمية عظمى ، وهو أننا يجب أن نحكم على هدف الشاعر ساعة الخلق ، أعنى بالقصيدة نفسها ، لا بالآمال والمطامع التى تحيى بها نفسه والتى يتخيلها هدفه قبل أو بعد أن يتم الخلق ؛ إذ أن مطمع كل فنان أن يخلق أثراً فنياً . ولكن الأسئلة التى تدور حول عمله يجب أن تنحصر فى هذا السؤال : « هل استطاع أو لم يستطع خلق أثر فنى » .

قلنا إن نظرية التعبير وإدراك أن الأدب فن من فنون التعبير هى النقطة الرئيسية التى تقابل فيها النقد منذ قرن مضى إلى الآن ، ولكنهم لم يحسنوا فهمها فأدت بهم إلى طرق متشعبة وسبل معقدة وأوهام وسخافات لا حد لها فقد معها مدلولها وطمس معناها ، إلى أن جاء المفكر الايطالى بنيدتو كروتشى Benedetto Croce وهو ناقد معاصر أدرك النظرية إدراكاً شاملاً ، ورأى بوضوح ما يترتب عليها من نتائج ليست فى الواقع إلا استنباطاً من النظرية نفسها ، وهى أنه بما أن الفن تعبير فكل تعبير فن . ولا يسمح المجال لى بأن أعرض لحاسن هذه النظرية ومثالبها ، ولكن يكفى أن أقول إنها الركن الأساسى فى فلسفة النقد الجديد ؛ إذ أن سبنجاردن يرى أنه لو أقرها النقد — وهم بالفعل يقرونها جزئياً — لأدى ذلك إلى تطهير النقد من كثير من الأعشاب البرية التى تعوق تقدمه ، وهى الأعشاب التى سأحاول فيما يلى أن أجلوها نيابة عنه ، لأبين الأهداف التى ظل النقد يسعى إليها مدى قرن



كامل أو ما يزيد ، ولأكشف عن عناصر النقد القديم التى بدأت فى ضوء هذه النظرية الجديدة تتوارى فى « النقد الجديد » .

فنحن أولاً قد تخلصنا من القواعد القديمة ، حتى إن مجرد التفكير فى قواعد النقد ليذكر الناقد الحديث بعصر السحر وبهذه الألفاظ والعبارات المبهمة التى يحرم على أبطال الأساطير والقصص الخرافية التفوه بها دون سبب ظاهر . فالقواعد الآن لاتعدو أن تكون أثراً من آثار « التابو » عند القبائل الممجية ، ونحن لا نجد الكثير منها عند أرسطو الذى كان يعتمد فى نقده على استقراءاته فى الأدب ، بيد أننا نجد بها بوفرة فى كثيرين من أدباء اللغة الاغريق الذين أتوا من بعده وفى أغلب النقاد الرومان . فهوراس يسن القواعد للكاتب المسرحى فيقول : « يجب ألا يكون على المسرح أكثر من ثلاثة ممثلين فى وقت واحد ، ويجب ألا تتألف المسرحية من أكثر أو أقل من خمسة فصول . » لا ضرورة بنا إلى تتبع تاريخ هذه القواعد ولا إلى الافاضة فى كيفية ازدياد عددها ، ولا كيف أن الاتباعيين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر نظموا منها القوانين والدساتير الأدبية ، ولا كيف أنها عاقت تقدم الفن فى ذلك العصر ؛ فقد رأينا أنها كان لها فى كل وقت من المعارضين مثلاً كان لها من الناصرين ؛ فأريتينو ضد سكاليجر ، و سانت ايفرموند ضد بوالو ، كما أننا نعرف أن الشعراء فى كل عصر أذهلوا النقاد بخرقهم هذه القوانين خرقاً لم يؤد إلى الايذاء بمؤلفاتهم ولم يضع معه جهالها ، وكيف أنها استمرت إلى نهاية القرن الثامن عشر عندما أبعدوا الابتداعيون عن عالم النقد . ولكنها لم تبعد حقاً ، فهى مازالت قائمة بيننا متكرة باسم العرف والأسلوب الفنى ، ولكنها ستزول قطعاً عندما يعترف النقد فى صراحة بأن كل أثر فنى خلق روحى لاتتحكم فيه إلا قوانينه الذاتية .

ونحن قد تخلصنا أيضاً من تقسيم الأدب إلى أبواب genres فتاريخها مرتبط بتاريخ القواعد الاتباعية ؛ وقد كان الاتباعيون يسنون القوانين لكل باب ويحتمون ألا يتعداها . ولم يكن هذا التبويب فى ذاته إلا نتيجة لهذه القواعد ؛ فالكوميدي يجب ألا يختلط بالتراجيدى ، والملحمة يجب أن تنفصل عن الشعر الغنائى . على أن هذا القانون لم يلبث أن كسره الشعراء ، فاضطر النقاد إلى تفسير هذا الخرق لقوانينهم أو إلى تغيير القوانين نفسها .



ولكننا إذا اعترفنا بأن الفن تعبير عضوى ، وأننا فى نقدنا لكل أثر فى يجب أن نجيب على السؤال التالى : « ما الذى عبر عنه الأثر الفنى ؟ وإلى أى مدى كان تعبيره كاملاً ؟ » انتفت الحاجة إلى أن نتساءل عن مدى اتفاق الأثر الفنى مع قواعد وأصول الباب الذى يمكن أن ندرجه تحته . فالشعر الغنائى والملحمة والملهاة كلها أسماء لا يمكن أن تكون لها دلالة فعلية فى عالم الفن . فالشعراء لا يعتمدون كتابة الأغانى أو الملاحم أو الملهاة مهما غررت بهم هذه التسميات ، ولكنهم يعبرون عن أنفسهم ؛ وهذا التعبير هو الشكل أو المظهر الوحيد الذى تتخذه كتاباتهم . ومن ثم لا يمكن أن يكون للأدب ثلاثة أو أربعة أو عشرة أو مائة باب ؛ فهى كثيرة كثيرة الشعراء أنفسهم . وأنت إذا أمعنت النظر فى تاريخ الأدب اتضح لك هذا الخطأ وبيان خطره ؛ فشكسبير مثلاً قد كتب « الملك لير » و « فينس و أدونس » و « السونيتس » ؛ فلو أن مؤرخ الأدب قد فصل كلا من هذه الآثار بعضها عن بعض ونسبه إلى الباب الذى يتشابه فيه تشابهاً سطحياً مهماً مع أثر فى آخر لقطع بذلك صلته بخالقه ولفقدنا كل أثر لشكسبير الفنان الخالق . ومن الجهل بمعنى النقد أن نقسم الأدب الانجليزى إلى أقسام نسميها بالكوميدي والتراجيدى والشعر الغنائى وما أشبه ذلك ؛ إذ يصبح تاريخ الأدب بذلك سخافة منطقية ؛ لأنك بدل أن تصل بين المواد التى تتألف منها صلة عضوية تفصلها إلى أقسام وتضع كل قسم منها فى باب معين ، وهذه الأبواب فى ذاتها لا يمكن أن تعنى شيئاً اللهم إلا فى حالة استخدامنا لكلمة الغنائى لنصف بها حرية التعبير الفنى ؛ فالفن كله غنائى بما فى ذلك الكوميديا الإلهية والملك لير ومنظر من رسم كورو Corot وموسيقى باخ ورقص إيزادورا دنكان وأغانى هينى وشلى .

ونحن أيضاً قد تخلصنا من نظرية الأسلوب والاستعارة والتشبيه وما إلى ذلك من ضروب البلاغة الاغريقية الرومانية ، وهى التى ندين بكيانها للاعتقاد بأن الأسلوب منفصل عن التعبير ، وأنه شئ يمكن إضافته إلى الأثر الفنى أو طرحه منه كما نشاء بدل أن يكون إدراك الشاعر للحقيقة وموسيقى كيانه بأكمله . ولكننا الآن نعرف أن الفن هو التعبير ، وأن هذا التعبير كامل فى ذاته ؛ فإذا غيرناه اضطربنا إلى خلق تعبير جديد وبالتالى إلى خلق أثر فى جديد . ومع أن بعض النقاد مازالوا يكتبون عن الأسلوب



كما كان أسلافهم يكتبون منذ قرنين عن فنون الشعر فقد أصبحت نظرية الأسلوب تشغل حيزاً يذكر فى الفكر الحديث . فنحن ندرك الآن أننا لا يمكننا دراسة الأسلوب منفصلاً عن الأثر الفنى ، كما لا نستطيع دراسة العنصر الكوميدي منفصلاً عن كاتب الملهاة .

ونحن قد تخلصنا أيضاً من الحكم الأخلاقى على الفن بعد أن كان هوراس يقول بأن اللذة والمنفعة هما القصد من الشعر ، وظل النقد بعد ذلك مختلفين ، فى اللذة والمنفعة أيهما أجدر بالشعر قرونا عدة ، فى حين كان بعضهم يقول بأن الشعر يهدف إليهما معاً ، فنحن نتعلم منه كما نطرب له . إلى أن جاء النقد الابتداعيون فنادوا بالمبدأ القائل بأن الفن لا غرض له إلا التعبير ، وأن غرضه يكتمل باكتمال التعبير ، وأنه لا مسوغ للجمال إلا وجوده ، إذ أنه ليس من طبيعة الشعر أن يخدم أى غرض خلقى أو اجتماعى . وقد لا يستطيع المؤرخ أو الفيلسوف أو المشرع أن يرى فى الأثر الفنى شيئاً سوى أنه وثيقة اجتماعية ، وهو فى هذا يشبه الحجار الذى يرى أن التمثال ليس إلا كتلة من الرخام تزن عدداً معيناً من الأرتال ، ولكنه يجهل أو يغفل عن القصد منه والسر فى روعته وقوته . ونحن لانهمم بالأخلاق فى كلامنا على أبحاث العالم ومنشآت المهندس ، بل إننا نتطلب منه ألا يهتم بها فى بحثه عن الحقيقة . وعالم الجبال بعيد كل البعد عن كلا الوصفين ، فلا هو يرمى إلى استكشاف الحقيقة ولا إلى تقويم الخلق وكل ما يخلق فيه خيالى لا يمت بصلة إلى الحقيقة ولا يمكن أن يقاس بمقاييسها . وليس على الشاعر من واجب خلقى سوى أن يكون مخلصاً لفننه ، وأن يعبر عن تصوره للحقيقة فى أكمل صورة . ومن ثم بطل الحكم على الأدب بالمعايير الأخلاقية إلا فى أمريكا ، إذ أن النقد فيما عداها من بقاع الأرض يعلمون أن الفن تعبير لا بد منه عن ناحية من نواحي الطبيعة الانسانية لا تستطيع أن تدرك نفسها إلا به وفيه .

ولقد تخلصنا أيضاً من المزج بين المسرحية والمسرح مزجا خاطئاً ظل يشوب روح النقد نصف قرن تقريباً ، فالنظرية القائلة بأن فن الدراما ليس فناً خالقاً بل هو مجرد نتيجة للظروف المسرحية القائمة نظرية قديمة يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر حين نادى عالم إيطالى بأن القصد من المسرحيات أن تلعب على المسرح فى أحوال وظروف معينة وأمام جمهور كبير متنوع من الناس . ومنذ



ذلك العهد أصبح الحكم على قيمة المسرحية يتبع مقدار السرور الذى يجلبه تمثيلها إلى نفوس النظارة ، أو بمعنى آخر مقدار نجاحها على المسرح . وارتكن إلى هذه الفكرة بعض الابتداعيين من النقاد الألمان فى القرن التاسع عشر ليسوّغوا شذوذ مسرحيات شكسبير عن القواعد الاتباعية ، فنادوا بأن الحكم على شكسبير بقواعد المسرح الاغريقى حكم خاطئ ؛ لأن الدراما نتيجة للظروف المسرحية القائمة وهى الظروف التى كانت تختلف كل الاختلاف فى انجلترا فى عهد اليبابات عنها فى أثينا فى عهد بركليس . وقد نجحوا فى دعواتهم كل النجاح فأعادوا إلى شكسبير مجده . ولكن المسألة لم تنته عند هذا الحد ؛ فقد تطورت الفكرة إلى نظرية ثم إلى عقيدة ظلت تلازم النقاد حتى اليوم ملازمة القواعد الاغريقية للنقد فى القرن السابع عشر . ولكن الواجب يقضى بالأحكام على الكاتب المسرحى بمقاييس تختلف عما تحكم به على أى كاتب أو فنان آخر . فنقدنا يجب أن ينصب على ما يسعى الكاتب إلى التعبير عنه وعلى كيفية التعبير ومدى نجاحه أو كماله . فالمسرح عمل كما هو فن . وما نسميه بنجاح المسرحية يهم المسرح من الناحية التجارية . وكما قال ناقد فرنسى قديم : « قد يسوّغ نجاح الكاتب المسرحى ، ولكن قد لا يكون من السهل تسويغ النجاح نفسه » . فمقياس النجاح مقياس اقتصادى لا يعنى الفن أو النقد فى شئ ، ولكنه دون شك يهم علم الاقتصاد . وقد قامت بعض البحوث الخاصة بتاريخ المسرح وبتغير الذوق المسرحى بخدمات جلييلة للتاريخ الاجتماعى والاقتصادى ، ولكنها لا تمت بسبب إلى الدراما كفن أو إلى النقد ، وهى فى ذلك تشبه بحثاً فى تاريخ حرفة النشر وأثرها فى جيوب الشعراء وثرواتهم من البلديهي أن لا صلة بينه وبين تاريخ الشعر .

ونحن أيضاً قد تخلصنا من المهارة الفنية باعتبارها جزءاً منفصلاً عن الفن ؛ فقد أوضحنا أن الأسلوب لا يمكن أن ينفصل عن الفن . وما المهارة الفنية إلا تسمية خاطئة للأسلوب قد يعيننا عن خطئها ما يحيط بها من هالة تشبه الهالة العلمية . وقد قال أوسكار وايلد فى مقاله عن « الناقد الفنان » : « المهارة الفنية هى الشخصية ، وهذا هو السبب فى أن الفنان لا يستطيع أن يلقبها لغيره ، وأن الطالب لا يستطيع أن يتعلمها ، وأن الناقد لا يستطيع أن يفهمها . » فالمهارة الفنية فى الشعر لا يمكن أن نفصلها عن طبيعته ؛ فلا نستطيع مثلاً



أن ندرس النظم في ذاته إذ هو صفة من صفات الشعر لا تنفصل عنه وهي تختلف في القصيدة عنها الأخرى ولو كانت من نفس البحر أو القافية . ونحن أيضاً قد تخلصنا من الجنس والزمن والبيئة التي نشأ فيها الشاعر كعنصر من عناصر النقد . فدراسة هذه النواحي بالنسبة للاثر الفنى تعنى أننا نعالجه كما لو كان وثيقة تاريخية أو اجتماعية ؛ وهي دراسة قد تلقى شيئاً من الضوء على تاريخ الثقافة أو الحضارة ، ولكنها لاتنفيد تاريخ الفن إلا إذا كشفت لنا عن مادة الحياة التي كانت تحيط بالشاعر لنعرف ماذا صنع بها وكيف استطاع أن يصوغها شعراً . وبهذا فقط نكون قد فسرنا التعبير تفسيراً صحيحاً وحررنا النقد من Kulturgeschichte التي فرضها عليه تين ومدرسته . وقد تخلصنا أيضاً من تطور الأدب ، وهي الفكرة التي نشأت في القرن السابع عشر والتي عارضها باسكال من بادى الأمر حين نبه الأذهان إلى ضرورة التفرقة بين العلم والفن . فالعلم يتقدم عن طريق الاستكشاف وجمع الحقائق ؛ أما تغيرات الفن فلا يمكن أن تخضعها لأية نظرية من نظريات التقدم ؛ إذ يتحتم علينا حينذاك أن نصنف الشعراء وفقاً لتقديرنا لقيمهم تقديراً تعسفياً ، وهو أمر لم يعد النقد الآن يعيره شيئاً من اهتمامه . وتطورت فكرة التقدم في أواخر القرن التاسع عشر إلى نظرية التطور التي استعارها النقاد من العلم ، ولكنها أيضاً نظرية خاطئة لأنها تغفل طبيعة الفن الذي يسير ويتحرك في حرية تامة . ونحن كذلك نخطئ عندما نتكلم عن منشأ الفن لأنه ليس للفن منشأ ينفصل عن حياة الانسان .

ونحن أخيراً قد تخلصنا من الفصل بين النقد والخلق ؛ إذ أن النقاد عندما حددوا مهمتهم بأنها الكشف عن غرض الشاعر وكيفيته ومدى تحقيقه لهذا الغرض حددوا بهذا طريقتهم في النقد . إذ كيف يتسنى للنقاد أن يؤدي هذه المهمة دون أن يكون كالفنان تماماً . أعنى أننا في تذوقنا للاثر الفنى يجب أن نعيد خلقه في نفوسنا حتى يتسنى لنا فهمه والحكم عليه . وفي هذه الحالة يصبح النقد فناً من الفنون الانشائية . ونظرية الجمع هذه بين الخلق والنقد هي آخر ما وصل إليه الفكر الحديث في عالم الفن . ونحن نستطيع أن نتبع نشوءها من جيته إلى كارليل ، ومن كارليل إلى أرنولد ، ومن أرنولد إلى سيمونز حيث ظل النقاد دهرًا طويلاً يتحدثون عن المهمة الانشائية للنقد ولو أنها كانت



تعنى عند كل منهم شيئاً يختلف عما تعنيه للآخر ؛ فكانت في نظر أرنولد تعنى أن النقد يخلق جو العصر الفكرى ، وهى مهمة اجتماعية هامة ولكن لا صلة لها بالفن . على أن هؤلاء النقاد مهما اختلفوا فقد كانوا جميعاً يرمون إلى حقيقة هامة تنطمس في ضوءها كل الآراء العتيقة عن عقم النقد ، وهى أن الحياة التى ينبض بها النقد لا تختلف في شئ عن الحياة التى ينبض بها الخلق . وهذه الحقيقة لا تفسر لنا كل ما نحب أن نعرفه عن النقد ، ولكننا الآن نعرف أن النقد بدونها مستحيل . قال شلينج Schelling : « إن الخلق بالنسبة للنقد كالروح بالنسبة للفلسفة ، الحقيقة العليا التى لا حقيقة غيرها . » وهذا يفسر كيف أن التفكير وحده لا يمكن أن يهتدى إلى السر في روعة الفن ، وهو السر الذى إن تكشف لنا على الاطلاق لا يمكن أن يحلوه إلا أثر فى آخر من آثار فن النقد الذى يقوم بالنسبة للأدب مقام المرأة ؛ لأن النقد والخلق في جوهرهما لا يختلفان .

وبعد فهذه خلاصة آراء مدرسة النقد الجديد التى يتزعمها سبنجارجن G. A. Spingarn نرجو أن نكون قد وفيناها حقها من العرض والتلخيص .

محمد رشاد رشدى



# من هنا وهناك

## روسيا السوفيتية والدراسات الشرقية

اللغات الشرقية في بعض المدارس العليا الروسية إلا في القرن التاسع عشر . وفي ١٠ نوفمبر سنة ١٨١٨ أنشأت أكاديمية العلوم المتحف الآسيوي ، وجمعت له كتب ومخطوطات ونقود ونقوش من مجموعة الكتب التي اقتناها بطرس الأكبر . وهكذا نشطت الدراسات الشرقية في روسيا ، واهتم علماء كثيرون بهذه الدراسات ، وبرزت أسماء العلماء الروسين في سماءها . ونذكر منهم روزن Rosen الذي كان زعيم المدرسة الروسية للدراسات العربية ، ومار Marr الذي أنشأ نظرية حديثة هي النظرية المادية للغة ، وبارتولد Bartold مؤرخ الشرق الشهير .

وعندما انتشر الرخاء في ربوع البلاد السوفيتية ، وتقدمت الثقافة والعلم ، اتسعت الواجبات في نطاق الدراسات الشرقية بأكثر مما يتحمله نشاط المتحف الآسيوي . وعلى ذلك أنشئ معهد الدراسات الشرقية في أكاديمية العلوم . وضم إلى هذا المعهد جميع الأقسام التي أنشئت من قبل وتمت إلى الدراسات الشرقية ، مثل معهد الدراسات البوذية ومعهد الدراسات التركية ، وكلية المستشرقين . وضم إلى المعهد جميع العلماء الباحثين في هذه الدراسات من أمثال كراتشكوفسكي Kratchkovsky وهو اسم معروف عند علماء العالم بأسره . ويشرف على كل قسم من أقسام هذا المعهد عالم مختص في مادته ؛ فالأستاذ الكسيف Alexeiev يرأس قسم الدراسات الصينية ،

قد يكون من واجبنا أن نعني بتتبع الدراسات الشرقية في بلاد أوروبا ، وربما كنا على علم كبير بما يجري في هذا الباب في بلاد مثل أمريكا وبريطانيا وفرنسا لما بيننا وبين هذه البلاد من اتصالات علمية ، ولكن الأحوال السياسية بعد الحرب العظمى الأولى قضت بأن نكون بعيدين عن تتبع سير الدراسات الشرقية في روسيا السوفيتية . وقد وقفنا أخيراً على معلومات طريفة في هذا الباب من مقال للعالم الروسي تيخونوف نشره عن معهد الدراسات الشرقية في روسيا السوفيتية ، وهو معهد يؤلف قسماً من أكاديمية العلوم السوفيتية ، ونقل هذا المقال نشرة الصحافة السوفيتية التي تصدرها المفوضية السوفيتية في مصر - عدد ٩ فبراير - ولسنا بمستطيعين نقل هذا البحث بأكمله لطوله . ولكننا سنحاول أن نجيب بأهم ما جاء فيه من بيانات .

استهل الكاتب مقاله بذكر تاريخ الدراسات الشرقية التي قام بها الروس ، وذكر أن بطرس الأكبر كان أول من رأى ضرورة هذه الدراسات حين أصدر مرسوماً في سنة ١٧٠٠ عن تعليم اللغات الشرقية للروسين . وعندما أنشئت أكاديمية العلوم في مدينة بطرسبرج سنة ١٧٢٥ ، كان هنالك أشخاص تعلموا اللغات الشرقية في بعثات أرسلت إلى بلاد الشرق ، بفضل الرسوم الذي أصدره بطرس الأكبر . ومع ذلك لم يبدأ تعليم



العالم فلاديميرتزييف Vladimirtzev عن  
الهيئة الاجتماعية بين المنغول وتأليفها .  
ونشر العالم إيفانوف Ivanov وثائق  
المخطوطات لدى خانات خيفا في القرن  
التاسع عشر ، كما نشر أبحاثاً في تاريخ  
قره كولباك .

وأصدر جوردففسكى مؤلفاً ضخماً عن دولة  
السلجوق في آسيا الصغرى .

ونقلت رحلة ابن فضلان على نهر الفولجا  
إلى اللغة الروسية ، كما صدرت ترجمة روسية  
جديدة للجزء الثالث من تاريخ رشيد الدين  
الشهير باللغة الفارسية .

واتسع قسم المخطوطات بالمعهد اتساعاً  
كبيراً ، فصار من أهم مجموعات المخطوطات  
في أوربا . ففيه ما يزيد على أربعين ألف  
مخطوط ومنها ما هو نادر . ومن أكبرها قسم  
المخطوطات العربية ، وفيه أكثر من ١٢ ألف  
مخطوط . ومن أهمها تاريخ المنصور للمحمودى  
وهي نسخة بخط المؤلف ، ومنها مخطوط للجزء  
الخامس من تجارب الأمم لابن مسكويه وهي  
نسخة كتبت في القرن الخامس عشر .

وفي المجموعة من الشعر نسخة كاملة  
لكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ،  
ونسخة من كتاب الكامل للمبرد تاريخها  
سنة ١١٤٢ وأقدم نسخة لديوان جرير من  
القرن العاشر ، ومخطوطة جميلة لديوان  
الأخطل ، كتبت في القرن الثالث عشر  
ونسخة نادرة جداً لديوان الشاعر الأموى  
ذى الرمة ، ومخطوط نادر لديوان أبي نواس ،  
ومخطوط آخر نادر من القرن الثالث عشر  
لديوان ابن قزمان الشاعر الأندلسى ،  
ومجموعة أشعار أسامة بن منقذ ، ومجموعة  
أشعار الشاعر المصرى ابن تغرى بردى وقد  
كتبت في عصره .

ومن الطرائف فيما يتعلق بأدب البلدان  
ثلاث منظومات نظمها أحمد بن مجيد ، دليل

والأستاذ بارانيكوف Barannikov يرأس  
الداراسات الهندية ، وكوزين Kozine للغة  
المنغولية وثقافتها ، وسترفيه Strouvé للشرق  
القديم ، وكونراد Konrad للحضارة اليابانية  
وفريمان Freiman وبرتل Bertel للدراسات  
الايوانية ، وجوردففسكى Gordlevsky مختص  
بالدراسات التركية .

ومن أهم ما يعنى به المعهد إخراج  
القواميس بهذه اللغات ، وقد أخرج طائفة  
منها ، وهي أقرب إلى الموسوعة منها إلى  
كتب اللغة .

ويهتم المعهد اهتماماً خاصاً بدراسة تاريخ  
هذه اللغات . ومن أهم ما أخرجه من الكتب  
في هذا الباب أجرومية اللغة الصينية في  
جزأين ، يعنى الأول منهما باللغة القديمة  
ويعنى الثانى باللغة الحديثة .

ونشطت الدراسات الأدبية في محيط اللغات  
الشرقية . وقد أصدر المعهد كتاباً أساسياً  
عن الأدب الجغرافى العربى ، وهو مؤلف  
لم يتم بعد . كما أن القسم الأول من كتاب  
في تاريخ الأدب الفارسى هو الآن تحت  
الطبع .

والدراسات التاريخية كثيرة . وقد اهتم  
المؤرخون الروسيون بدراسة أصول الحياة  
في البلاد الشرقية في القرون الوسطى ،  
فدرسوا النظام الاجتماعى عند الشعوب  
البادية ، وخصائص المدنية الشرقية في القرون  
الوسطى ، واقامة الرجل حول الواحات  
واقتاذهم عادات المتحضرين ، وقيام  
الامبراطوريات الشرقية وتفككها ، وغير  
ذلك من الأمور التى تلقى ضوءاً على مشكلات  
التاريخ .

ونشر المعهد منذ إنشائه أكثر من  
ثمانين مؤلفاً بعضها بحوث وبعضها نصوص .  
وليس من المستطاع تعداد أسماء هذه المؤلفات  
ولكننا نذكر أهمها : فمن ذلك كتاب



المستكشف فاسكوى دجاما، في وصف الطرق البحرية في المحيط الهندي، ووصف لرحلة بطريك أنطاكية بروسيا في القرن السابع عشر. وفي العلوم الرياضية توجد مخطوطة لمبادي أقليدس تاريخها سنة ١١٨٨، ومجموعة لرسائل ابن الهيثم، وكتاب في الفلك لنصر الدين الطوسي. ومن أهم المخطوطات نسخة للقرآن الكريم بالخط الكوفي كتبت في القرن التاسع، ومخطوط للتوراة باللغة العربية كتب في دمشق سنة ١٢٣٦. أما مكتبة المعهد فتحتوي على ٧٠٠ ألف مجلد مكتوبة بأكثر من ٦٠ لغة أوربية وشرقية. وبما يدل على اتساعها اتساعاً

كبيراً أن مكتبة المتحف الآسيوي في سنة ١٨٤٤ كانت تحتوى على ٣٠٦٧ مجلد. وفي سنة ١٩١٨ كانت تحتوى على نحو ٣٥ ألف مجلد. وتتصل هذه المكتبة بالمعاهد المختلفة في روسيا السوفيتية وفي الخارج وتعييرها كتبها. كما يتصل المعهد نفسه بجميع الهيئات التي تعلم اللغات الشرقية أو تدرسها في روسيا وفي الخارج. ويقوم مجلس المعهد بدراسة الرسائل التي تقدم إليه من جمهوريات الاتحاد السوفيتي كما أنه يساعد الطلبة الذين يقبلون على الدراسات الشرقية بالمنح المالية. وهكذا يقوم بعمله في نشاط وجد.

٥

## وفاة العالم الهندي الدكتور أنند كار سوامي

(١٨٧٧ - ١٩٤٧)

فقدت الهند ب وفاة الدكتور أنند كار سوامي ركناً من أركانها العلمية ذا شهرة عالمية في فلسفة الفن وصاحب نظرية خاصة فيها. ولد أنند كنتيش كار سوامي بن السير موتو كار سوامي في سنة ١٨٧٧ م في جزيرة سيلان، وتعلم بالهند، فلما كمل التعليم الابتدائي والثانوي التحق بجامعة لندن ونال منها الدكتوراه في العلوم D. Sc. وعين بعد ذلك مباشرة زميلاً Fellow فيها، ومن سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩٠٦ تولى منصب المدير لمصلحة مساحة الثروة المعدنية في سيلان، فأول منشوراته كانت تقاريره عن جيولوجيا تلك الجزيرة، وما صنّفه فيما بعد فهو في الفن، وعلم الاجتماع وما وراء

الطبيعة. ولع كار سوامي بالفن عن طريق العلم، فباكورة مصنّفاته فيه في الغالب إيضاحية وتاريخية. فكتابه مثلاً في الفنون والحرف في الهند وسيلان وهو الذي نشره في سنة ١٩١٣ يعد لدى أهل العلم كتاب المرجع في الموضوع. وفي مقدمة هذا الكتاب صدرت من قلمه جملة أوامات إلى مخايل الاتجاه المقبل في فكره وتقدمه وتطوره الممكن، وتلك الجملة: إن الهنود لم يعتقدوا أصلاً في المبدأ - الفن للفن، بل كان مبدؤهم فيه كبداً أوروبا القرون الوسطى الفن لأجل المحبة. ونشر من سنة ١٩١٠ إلى سنة ١٩١٢ كتابه «الرسوم الهندية» في مجلدين، ثم في سنة ١٩١٦ كتابه «بوذا وكتاب



الذكر بأمريكا كان زميلا في جمعية لينيا Linnean Society وجمعية علماء طبقات الأرض ، وعضواً في الجمعية الآسيوية الملكية ، وأمد بمقالاته العلمية غير واحدة من المجلات العلمية البريطانية وغير البريطانية ، وكذلك ساهم بها في دائرة المعارف الانجليزية وأيضاً في قاموس وبستر الدولي الجديد ( الطبعة الثانية ) الأمريكي .

توفي كار سوامي في ٦ سبتمبر الماضي في مدينة نيوهام ( ميساشوستس ) بأمريكا بالغاً السبعين من عمره وتاركاً بنتاً وابنين . وكان العلماء من أقطار العالم المختلفة ساهموا بمباحثهم العلمية في إخراج كتاب بعنوان « الفن والفكر » للتقديم إليه احتفالاً ببلوغه السبعين واعترافاً بعلمه وفضله ، ولكنه انتقل إلى دار البقاء قبل أن يطبع الكتاب . والكتاب سيطلع متى تم ترتيبه وإعداده للطبع ، وهو يحتوى على أكثر من ثلاثين مبحثاً علمياً من أقلام كبار العلماء في العالم .

البوذية الملهم » . وفي سنة ١٩١٧ انتقل إلى أمريكا وعين زميلاً للبحث في الفنون الهندية والفارسية والاسلامية في متحف الفنون الجميلة ببوسطن واستمر في هذا المنصب إلى آخر حياته . ونشر في سنة ١٩١٨ كتابه « رقص الاله شيوا » . وفي سنة ١٩٣٣ بحثه « اقتراب جديد من ويدات » احتوى على ترجمتها وتفسيرها . وفي سنة ١٩٣٤ كتابه « تغير الطبيعة في الفن » شمل نضوج نظريته في الجمال التي يمكن أن تعتبر جميع مصنفاته الايضاحية والتاريخية السابقة مقدمة لها . ثم نشر في سنة ١٩٣٧ كتابه « هل الفن خرافة أو طريق للحياة ؟ » ، وفي سنة ١٩٤٣ كتابه « لم تعرض نتائج الفن ؟ » أبان فيها الوضع العقلي والعمل لنظريته . وفي سلسلة أخرى عنوانها « صور الكلام أو صور الفكر » شرح وجهة التقليد والعادة في الفن بمباحث متتابعة علمية دقيقة .

كان كار سوامي من مؤسسي النهضة للتعليم الوطني في الهند ، وعدا منصبه الآنف

السير أبو النصر أحمد الحسيني الهندي

### الرسائل في الأدب العربي (١)

فرغت همومهم الأدبية فأضفوا على أنفسهم أثواباً من الأستاذية ؛ إذ ظنوا أن النقد هو ذلك المركب الطيع السهل الذي ينقاد لهم — بجرة قلم — في طرفه عين وانتباهتها . . . ولا نعيب أصحاب هذه النقدرات ولا

ينتاب النقد الأدبي في هذين اليومين شبه أزمة ، بأحجام الأفلام الباردة النافذة البصيرة من أن تصول وتجول في ميدانه القسيح ، مما أضعف النتائج النقدية والأدبي معاً . ويؤسفني — ويؤسف الغير أيضاً — أن يتصدى للنقد والتعقيب قوم

(١) كتبت هذه الكلمة على أثر قراءة ما وجهه إلى الأديب « الجاحظ » في تعقيباته بعدد الرسالة ٧٤٧ من نقد لمقدمة رسائل الزهاوى المنشورة بالكاتب المصري في العدد ٢٥ .



لم أنسج على غراره في يوم ما ، حتى في ذلك اليوم الذي بدأت به حياتي الأدبية بما قدمته من دراسات نقدية للإعلام الأجلاء : حافظ والرافعي والزهاوي من يضع عشرة سنة . ولن أستطيع اليوم إلى ذلك سيلا . ذلك لأننا لن نرجع القهقري إطلاقا حتى نرضى للنقد — وهو ذلك الفن الرفيع — هذا الثوب المهمل الرخيص . كان الجدل الأدبي انتقل إلى جدل سياسي ، وكان الكتاب — في هذا البلد المسكين — أصبح كل وكدهم تبادل لواذع القول بدون رادع . وندع هذا جانبا ونرد على الأديب الناقد في إيجاز :

نعم أيها الأديب . إن الأدب العربي مشحون بأدب الرسائل ، وعلى رأسها رسائل إخوان الصفاء ، ورسائل عبد الحميد الكاتب ، ورسائل ابن العميد ، ورسائل البلغاء ، وغيرها من آلاف الرسائل ، من رسائل العلماء والفلاسفة والأدباء ، حتى الجواري والقيان . ولا ينكر هذا إلا من كان غير ذي علم . ولكنها أيها الأخ بالرغم من اشتغالها على ضروب من المعرفة شتى ، لا تعين على بناء شخصية كاملة ، أو بعبارة أدق لا يستطيع المترجم لصاحبها أن يصور صورته الحققة على ضوئها ، لا لأنها ضيقة الأفق أو محدودة المعاني ، بل لأنها لم تنشأ أصلا لتحقيق « الشخصية » بل أنشئت — كما تقول أنت أيها الأديب تماما — للمطارحات والمعارضات ؛ ورسائل مع الزهاوي لم تكن من هذا الضرب إطلاقا .

ولذلك أضع أمام عينيك — مرة أخرى — النص الكامل من المقدمة التي بترتها كما يبتز المخاتل الآية الكريمة « ولا تقربوا الصلاة » :

« قدمت إليك منها بالعديد الماضين

أرباب تلك التعقيبات — فكل خلق لما هو ميسر له — ولكن نعيمها حرصا منا على موازين النقد الأدبي من أن يعبت بها مادامت قد أصبحت — في هذا الزمن الآلي — سداها ولحمها ذلك الأرنجاء الرخيص .

والنقد كما تلقيناه عن شيوخنا الأجلاء ، ونذكر منهم على سبيل المثال : الصولي والقالى والألوسى وابن رشيق والعسكري وابن قتيبة وطه حسين والعتاد وهيكل والمازني وأضرابهم من الثقات العباقرة هو ذلك النتاج الضخم الذي لا يقل روعة عن النتاج المنقود ، لا ذلك الصيد الذي يتخطفه الكاتب من هنا ومن هناك ، ويزهى بما يحمل بين يديه من زاد علم الله مقدار ما تكلف في سبيله من جهد وعناء ، كأنه يحمل عصا الماريشالية ، أو عصى موسى .

ويحسن هؤلاء الكتاب الفضلاء — وهم في مستهل حياتهم الأدبية — أن يستخيروا الله جل وعلا ، فيما تنضح به قرائحهم ، ويعملوا جهد طاقاتهم على أن يقدموا للجيل مثل ما قدم لهم الرعيل الأول — من جهابذة النقد وغول البيان — من زاد تعثر به اللغة في تحرز لا يبلغ حد التزمّت والتردد وحرية لا تبلغ حد السباب والتهاثر .

أجل ! لقد طلع علينا الأديب الشاب محمد فهمي عبد اللطيف — الملقب بالجاحظ ! — بتعقيباته اللطيفة « الرسائل في الأدب العربي » المنشورة بالعدد ٧٤٧ من الرسالة الغراء يعيب على فيها قولي — بالمقدمة التي قدمت بها الرسائل — « هذا لون من ألوان الأدب الجديد — في أدب الرسائل — استحدثنا أو بعبارة أخرى نبشنا دفائنه وأحيينا مواته . . . » في أسلوب كريم



ثم شدا ، وأحيا موات الشعر ، بما ألصق به على أيدي النظامين والمتشاعرين من غثاثة وفهاهة ، ننكر عليه هذا الفضل بحجة أن اللغة العربية مشحونة بالمعجز من القول والخالد من القصيد ؟

أئذا جاء العقاد والزهاوى وفوزى المفلوف والممشرى وابتدعوا ، القصائد الطوال الشبيهة بالملاحم ، تلك الغرر الخالدة فى الشعر العربى الحديث ، ننكر عليهم هذا الفضل ونقول لهم إن اللغة العربية مشحونة بالملاحم ، أو القصائد الطويلة النفس المتأسكة الموضوع ، التى نذكر منها على سبيل المثال ملاحم عمر ابن الفارض والبوصيرى وابن سينا وابن العربى وأضرابهم ؟

أئذا جاء متأذب مثلى وحقق مع رجل من رجالنا فى العصر الحديث هذا التحقيق العلمى ننكر عليه هذا الجهد ونرميه بالجهل والغفلة والغباء ؟

أيجمل بك أيها الأديب ألا تعرف شيئاً عن حياة أساتيدك : الزيات وطه حسين والعقاد والمازنى وهيكلى ؟

نعم . . . لقد جلى أستاذنا طه حسين طفولته ومرتفع صباه — بل فترة شبابه — فى كتابه الخالد « الأيام » بريشته الساحرة التى لاتضارح . أما العقاد فكشف عن حياته فى سطور قلائل لا تغنى ولا تسمن من جوع .

فكيف تمر بنا هذه الحقبة ، من حياة أولئك الأبطال ، دون أن نسجلها أو نحاول تسجيلها ؟

وهل يليق بنا أن نقبل على دراستهم ودراسة آثارهم دون وعى وتمحيص وزاد من تحقيقاتنا الخاصة ، ونستوحى تلك الأوراق الجامدة ، وما يملئ علينا ، وعلى حفدتنا ، الأراجيف ثم الأقاويل ؟

يا صاحبي ما يسمح به المجال ، وهى بما صلب بين ثناياها من طرافة وجدة محبتين تفسحان لهما مكاناً بارزاً بين أدبنا العربى الحديث ، جديرة بالدرس والتحميص والوقوف أمامها طويلاً للتملى بلونها الجميل . « أجل . . . فهذا لون من ألوان الأدب الجديد — أدب الرسائل ، استحدثناه أو بعبارة أخرى نبشنا دقائمه وأحيينا مواته . ذلك لأن اللغة العربية لم تحظ بهذا اللون الجميل اللهم إلا فى النادر القليل ، بعكس اللغات الأجنبية فإنها مشحونة بهذا الضرب الرفيع بهاذجه الرائعة وأتماطه العذاب . » لقد استطعت أن أجعل من الزهاوى مترجماً لنفسه يصور حياته بقلمه بما لا يدع مجالاً للشك والزببة فى هذه الحياة العجيبة الخصبية التى ظلت تكافح وتناضل فى سبيل اللغة والوطن حتى آخر نسمة منها . »

ها هى ذى المقدمة ليس فيها غير :  
١ — إننى أزهى بهذه الرسائل لطرافتها وجدتها .

٢ — واعتبرها بمثابة لون من ألوان الأدب الجديد فى أدب الرسائل — وقد سقط حرف « فى » أثناء الطبع — استحدثناه ، أو بعبارة أخرى : نبشنا دقائمه وأحيينا مواته .

٣ — إننى استطعت أن أجعل من الزهاوى مترجماً لنفسه ، وهذا هو لب الموضوع . فهل تنكر طرافة هذه الرسائل أيها الأخ الكريم ، وقد أعجب بها الأستاذ الزيات من قبل ؟

وهل تنكر أنها تكون من ألوان الأدب الجديد أحاول على ضوئها نبش دقائمه « أدب الرسائل » ذلك الأدب الجميل ؟

أئذا جاء البارودى ، وهدر كما يهدر الفحول ، وآتته السماء نفحة علوية فشدا



المقدمة المنقودة بالحرف الواحد توضيحاً لهذه النظرية . واليوم أقدم إليك رسالة أخرى تحمل معها خلاصة التحقيقات التي دارت بيني وبين ذلك الرجل العظيم ؛ فقد راغبت في تحقيقاتي معه باديء ذي بدء أن أكون (١) مقلاً مقتصداً في أسئلتى إياه حتى لا أبعث الملل في نفسه من ناحية ، ومن ناحية أخرى كيما أصل إلى مفتاح شخصيته — سيكولوجيا — في هدوء واطمئنان ، وأستطيع أن أصور حياته على ضوء هذه التحقيقات .

فاذا كنت أنا قد اقتضيت الشرح وجاء مبتورا كما فهمت أنت أيها الأخ الكريم ، فلي مندوحة في خلو أدبنا العربي الحديث من مثل هذه التحقيقات ، أو بعبارة أخرى من تلك التراجم التي نفتقر إليها كل الافتقار .

بقيت تهمة شائنة يطلقها المزمعون كل يوم في وجوه أدباء الشباب ، كالتى رى بها « الجاحظ » في قوله : « ومسكين والله هذا الأدب العربي ، كأن الله كتب عليه في هذه الآونة أن يكون هدفاً للدعوى من كل فارغ الرأس ومقصداً للاتهام من كل جاهل . وأنا لا أحسب أن في نفوس هؤلاء الشبان ضغينة على الأدب العربي ، ولكن العلة أنهم يحسبون أن الأدب العربي هو ما يقرءونه في الصحف والمجلات ، وما يدرسونه من النماذج الجامدة البالية في مقررات المدارس . فاذا ضمنت إلى ذلك دعوى عريضة تمتلئ بها الرؤوس الفارغة وتلتوى بها الألسن المعوجة ، وقفت من وراء ذلك على أصل العلة وموطن الداء . وإنه لداء تفشى بين شباب العصر . فليس

ألم تسمع عن أشياخك القدامى وكيف كانوا يقطعون المهامه والقفار في سبيل تحقيق حادثة أو مراجعة حديث ؟

ألم تسمع في العصر الحديث عن « إميل لودفيج » الأديب الألماني النابغة وكيف حج إلى النيل الخالد ، وظل فترة طويلة أو قصيرة عن كذب من منابعه وروافده لا لينظم قصيدة بليغة يهديها إلى فتاة حسنة كما يفعل الشعراء المائعون ، بل ليكتب كتاباً أدبياً خالداً عن « حياة النيل » كنهر ، من الخلد ، وكبطل من أبطال التاريخ ؟

أيلقى بنا أن تمر هذه الأحداث دون أن ننس نبئت شقة أو نحرك ساكناً ؟ وهل ترى معي أيها الأديب ، أن حياة واحد من هؤلاء الأبطال لا تقل خلوداً عن حياة النيل العظيم ؟

لندع هذا كله ونرجع بك إلى قضيتنا حتى لاتهمنى بالجهل والغباء — سامحك الله — وأسألك كم من قرن مر على اللغة العربية وهي محرومة أدب الرسائل ؟

وهل أنكرت أنا أدب الرسائل في اللغة العربية جملة واحدة ، حتى ترمينى بتهمة أنا منها براء ، وكان يحمل بك كأديب أن تناقشنى الحساب في نبل من القصد وممو من الغاية .

اننى يا صاحبي لم أنكر أدب الرسائل على اللغة العربية ، بل أنكرت عليها — وما زلت أنكر — أدب الرسائل ، الذى حرمة أدبنا العربي الحديث ، ذلك الذى يعين على تحقيق الشخصية وتبيان السمات والملامح في وضوح وجلاء ، كما أوضحت في صدر هذه العجالة ، وكلما ذكرت في

(١) هاتان الكلمتان ذكرتهما خطأ بالكاتب المصرى هكذا : « أكون مقلاً » .



الشبان المبرزين في الشعر الحديث ؟  
لقد عاش من عاش منهم في عزلة قاتمة ،  
ومات من مات منهم في غمرة حالكة :

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا  
أنيس ولم يسمر بمسكة سامر

يخلو لبعض الأدباء أن يطلق عليهم لقب  
السدنة والحراس على اللغة العربية دون  
أن يتقدموا إليها بنتاج يذكر بالخير لهم .  
أجل . . . حسبهم أعباء هذه الحراسة .  
وكفى ! . . .

كلمة صغيرة وأخيرة أسرها في أذنك  
أيها الأديب « الجاحظ » إن : رسائل  
الزهاوى لها مقدمة سبقت هذه المقدمة التي  
نحن بصدها الآن والتي صببت عليها جام  
غضبك ، فأرجو الرجوع إليها ، وأصدقك القول  
إنها حازت رضا أستاذنا العظيم الدكتور  
طه حسين بك ، وكذلك هذه المقدمة الثانية ،  
فماذا تريد من قولك : « فإن كان هذا الدكتور  
يرى هذا ويعتقله فأنى على استعداد  
لمناقشته في هذا الرأي » .

ألا يجدر بأديبك الرفيع أن تنازل أديبا  
مغموراً مثلى وتطمع في نزال أستاذك  
العظيم ؟ إن الرجل في صومعته الفكرية  
وفي شغل عنك وعن هذرك أيها  
« الجاحظ » ويقدم للغة العربية زاداً  
تعتز به في العالمين .

حسبك اليوم ما قدمت إليك . وتقبل  
تحية خالصة من تلميذه الخالص .

أحمد محمد عيسى

أسهل على الواحد منهم من أن يحمل القلم  
ويتفج بالدعوى العريضة ويمد أنامله  
فيخط كلمات رشيقة رقيقة يطمس بها تاريخ  
الأدب العربي من بدايته إلى نهايته وينكر  
أن يكون هذا الأدب أدباً . »

إلى آخر هذه الرواشم البغيضة التي  
يسمون بها جباه هؤلاء الشبان الساكنين .  
ونسى هؤلاء التوم — أو تناسوا — أن  
هؤلاء الأدباء يعملون ليل نهار في هدوء  
وصمت ، لاعلاء شأن اللغة ، وسيخلقون  
منها حتماً بفضل الجلد وفكران الذات خلقاً  
آخر ، وأن نتاجهم الآن رغم التثبيط  
والاستهانة به لا يقل روعة عن نتاج  
إخوانهم من أدباء الغرب ، وأن الصدارة  
والمجد والشهرة كلها كلمات عذبة تطوف  
حولهم — كأحلام الجيلة — لا يركنون  
إليها ولا يباهون بها ، مثلهم في ذلك مثل  
لشعوب أو قراء الهنود .

ونسوا أنهم لا يكتبون إلا باللغة العربية ،  
وأنهم ليسوا مبرزين إلا بفضل عونها  
وموردها العظيمين وسحرها الخالد وجلالها  
المنقطع النظير .

هلا ذكرت بالخير أمثال : نجيب محفوظ ،  
ويحيى حقي ، وعلى باكثير ، وعادل كامل  
وجوده السحار ، وحكمت محمد ، وأضراهم  
من الشبان المبرزين في أدب القصة ؟

وهل نوهت بشاعرية صالح جودت ،  
والشابي ، والصيرفي ، والمشمري ، والبيجاني  
بشير ، والمعلوف ، ومجد فهمي وأضراهم من



## شهرية العلم

### الجو والمزاج

الجوى بتغير درجات الحرارة . وكذلك يمكن أن يحدث تقلب عظيم في الظواهر الجوية ... وبهذا قد يفسر تأثير تغير يسير في إشعاع الشمس في أحوال الجو على الأرض ... »

والجوى في أعاليه يتكهرب بتأثير الكلف . ولهذا تأثير وفعل . فالكلف هي بقع سوداء تظهر وتختفى من على سطح الشمس . ويختلف العدد الذى يظهر . ويكون على أكثره كل إحدى عشرة سنة . ومن هذه البقع ما هي كبيرة جدا تسع الأرض وما عليها . وهي تتألف عادة من منطقة قائمة اللون في وسطها بقعة سوداء كأنها تجاوبف عظيمة . واختلف الفلكيون في سبب ظهورها ، ويرجح الكثيرون أنها تتكون بسبب التغيرات الناتجة من تأثيرات الحرارة في جوف الشمس ، وأن هناك مواد تخرج من هذا الجوف إلى السطح ، وعند خروجها تبرد وتظهر مظلمة بالنسبة لوجه الشمس الباهر النور . وزيادة على ذلك فقد يكون فيها كهربائية شديدة تقوى معها مغناطيسية الشمس والأرض . وثبت لدى العلماء أن ظهور البقع واختفاءها من الحوادث النظامية في تاريخ الشمس ونتيجة لعوامل ثابتة .

ولقد درس الدكتور كوبن Koppen الظواهر الجوية وعلاقتها بالكلف ، فبين له من سلسلة المحطات وما جرى فيها من تجارب لدرس العلاقة أن حرارة الشمس تكون على أشدها عند ما تكون الكلف على

لقد خطا علم الظواهر الجوية خطوات واسعة في هذا القرن ، وصار في الامكان التنبؤ بأحوال الجو ومعرفة ما سيحدث من عواصف وأعاصير وما ستكون عليه الحرارة والضغط . وبني العلماء بحوثهم في ذلك على التغير في درجات الحرارة على الأرض ؛ إذ لا يخفى أن هناك اتصالا وثيقا بين التغير في أحوال الجو وبين إشعاع الشمس الذى يولد الحرارة . ومع أنهم لا يزالون بعيدين عن التنبؤات بتقلبات الجو البعيدة ، فهم على ما يظهر سائرون في دراساتهم وتجاربهم في الاتجاه الصحيح . فلقد ثبت أن لتقلب إشعاع الشمس تأثيراً في الحرارة والضغط على الأرض . ويقول ابوت Abbot في هذا الشأن : « ويبدو أن تغييراً قدره نصف واحد في المئة في إشعاع الشمس يستطيع أن يحدث تغييراً ظاهراً في أحوال الجو . فقد يصحب التغير في إشعاع الشمس تغيير في مقدار الغيم فيتضاعف التأثير ويتجمع . وكذلك التقلبات الشمسية تؤثر في الأشعة التي فوق البنفسجية فقد تغير كثافة الاوزون . وهذه الطبقة من الاوزون قائمة على ارتفاع ٤ ميلا فوق سطح الأرض . وهي عامل فعال في امتصاص الحرارة المنطلقة من الأرض — بعد امتصاصها — إلى الفضاء . فاذا قلت كثافة طبقة الاوزون ميلمتر فقد يكون ذلك كافياً لهبوط درجة الحرارة على سطح الأرض هبوطاً غير يسير . وعند ذلك تتأثر حالات الضغط



تطورها كثرة الكلف وقتلها . فهل هذه الموافقة مجرد اتفاق ؟ أم في جعبة العلم ما يفسر هذه الظواهر الغريبة ... ؟ « وقام تشيخفسكى بدراسات واسعة في تقوى الحوادث التي وقعت أثناء تزايد الكلف . وقد وجد ارتباطاً بين أعمال العنف وأنواع التدمير والقتل من جهة وكثرة الكلف من جهة ثانية ؛ ففي سنة ١٩٣٩ التي كانت الكلف كثيرة وعلى أشدها نشاطاً أعلنت الحرب الأخيرة . فهل هناك من علاقة ؟ يرى بعضهم أنه من المحتمل جداً أن يكون للكلف تأثير في ضعف الأعصاب مما أدى إلى وقوع الحرب . وفوق ذلك يعزو تشيخفسكى نشاط كبار رجال التاريخ أمثال محمد واتيلا ونايليون وريشيلو ولينين وغيرهم إلى الكلف ؛ فحيوية هؤلاء كانت على أشدها حينما كانت الكلف على أكثرها . ونحن لا نستطيع الأخذ بهذه الآراء التي خرج بها تشيخفسكى من تحقيقاته ودراساته ، فقد تكون صحيحة وقد لا تكون . وقد تكون هناك علاقة ، وقد لا تكون . لكنها تعطى صورة عن الفكرة التي يعملها بعض العلماء والفلكيين عن الكلف وأثرها في تكييف حياة الانسان . ويظهر لنا من أقواله في هذا الشأن أنه لم يستطع إدراك السبب في هذه الحيوية الناتجة من تزايد الكلف ( على رأيه ) . فهل للكلف أثر في الانسان حتى تخضع حياته لها ؟ وما هو هذا الأثر ؟ وكيف يكون ؟ هذا ما لا نستطيع الاجابة عليه ، وما لم يستطع تشيخفسكى بعد أن يتبين الجواب الشافي .

وفوق ذلك أثبت الدكتور جورج هيل G. Hale أن للكلف تأثيراً كالغناطيس ويفعل فعله ، وأن هذا الفعل ينتقل إلى الأرض فتتأثر مغناطيسياً ويحدث من ذلك اضطراب في حقل الأرض المغناطيسى .

أكثرها ، وينتج عن هذه الحرارة الشديدة الغيوم فالأمطار وما يصحبها من عواصف . ومن العلماء من لاحظ أن ازدياد الكلف يعقبه ارتفاع في الحرارة . ومنهم من خرج من دراسة الأحوال الجوية بأن مقدار المطر يتغير تبعاً لزيادة الكلف على سطح الشمس . فزيادة الكلف تعنى ارتفاع الحرارة ، وهذا يؤدي إلى ازدياد كميات المياه التي تتبخر فأما غزيرة . ومن هنا يرى بعض الفلكيين العلاقة بين الكلف والأمطار . ومنهم من يرى غير هذا ولا يعلق أهمية على ازدياد الحرارة ؛ فليس لها من التأثير ما يؤثر في الأمطار والأحوال الجوية . وإذا كان هناك شيء من هذا القليل فهو بسيط جداً لم يستطع العلم بعد إدراك مداه . أما ما نسبته بعض الفلكيين إلى الكلف من حدوث زلازل وفيضانات وخصب وإمحال وأمراض وأزمات تجارية فهذا لم يثبت علمياً وهو لا يزال في دور البحث والدرس . ولكن مما يستوقف النظر أن يقع بالمصادفة حدوث الرخاء والاقبال في العالم في أوقات يكثر فيها ظهور الكلف على وجه الشمس . فقلد تصادف عند ما كانت الكلف على أكثرها سنة ١٩٣٨ أن كان الرخاء يعم الأرض . وكذلك سنة ١٩٣٦ فقد بدت بوادر الانتعاش بعد أزمة عالمية حادة وكان عدد الكلف يقترب من نهايته العليا . ومن عجيب المصادفات أن الأزمة بلغت أشدها في عامي ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ عند ما كان عدد الكلف على أقله . جاء في كتاب آفاق العلم : « ... وليست هذه المقابلة بفريدة في بابها . بل إن الدكتور ستستون Stetson يقول : إن البحث في التاريخ الحديث في هذه الناحية يسفر عن أن خمساً من الأزمات الست العظيمة التي ابتلى بها العالم في الخمسين سنة الأخيرة وافقت في



دقائق مكهربة؛ إذ لا يخفى أن الهواء يحتوى على دقائق مكهربة بعضها يحمل شحنات موجبة وبعضها يحمل شحنات سالبة . ولسنا بحاجة إلى أن نقول أن هذه الدقائق موجودة أو محمولة في الغبار وفي قطرات الماء . وقد توفى العلماء لكهربة الهواء حين يريدون كما توفىوا لصنع أجهزة يمكنهم بواسطتها أن يخرجوا من قدر معين من الهواء في معامل البحث الدقائق المكهربة الموجبة والدقائق المكهربة السالبة . وقد أجرى العلماء تجارب كثيرة في تأثير الدقائق بنوعها من الشحنات؛ فوجد الأستاذ دسور Dessauer أن المرضى الذين يتعرضون للدقائق التي تحمل شحنات موجبة يشعرون بالتعب والاعياء والدوار والصداع ، وأنه متى أزيلت هذه الدقائق من الهواء وتعرضوا للدقائق السالبة شعروا بالنشاط والانشراح وزال ما كانوا يقاسونوه من الدقائق الموجبة . ولا يوقف الأمر عند هذا الحد ، بل ظهر أن وجود الدقائق الموجبة يزيد في ضغط الدم وأن وجود الثانية يخفف من هذا الضغط ويحدث شعوراً مليئاً بالراحة . ويقول أحد العلماء إن استنشاق مقادير من الدقائق السالبة لمدة أسابيع يؤدي إلى تخفيف عوارض ضغط الدم وإزالته . ولقد ثبت للأستاذ دسور أن الناس المعرضين للروماتزم زادت آلامهم وتضخمت مفاصلهم ، وارتفعت حرارتهم قليلاً عند استنشاق هواء تكثر فيه الدقائق الموجبة . ومن المعروف عند علماء الجو : « أن العاصفة قبل حدوثها يسبقها هبوط في ضغط الهواء فيصعد إلى سطح الأرض هواء كان محفوظاً بين دقائق التراب . وقد ثبت أن الهواء الذى يكون بين دقائق التراب تكثر فيه الدقائق المكهربة الموجبة . ولعل وجود هذه يزيد في آلام المصابين بالروماتزم قبل انفجار العاصفة... »

وحين تكون الكلف على أكثرها تتأثر طبقات الجو العليا ويصيبها شىء من التكهرب ينتج عنه اضطراب في حالة الجو . وقد ظهر في مباحث كليتون H. Clayton أن تقلب الضغط الجوى يتفق وتقلب النشاط في الشمس الناتج عن الكلف . وأسفرت بعض البحوث العلمية أن في أعلى الجو طبقة مؤينة وأن تأيينها يرجع إلى الأشعة التي فوق البنفسجى وإلى انطلاق دقائق مكهربة من الشمس عند ما تكثر الكلف . ويرى بعضهم أن تأثير الكلف في الراديو دليل على انطلاق هذه الدقائق المكهربة . ويرى سبنسر جونس أن هناك علاقة بين الكلف والأضواء القطبية ؛ فهذه الأضواء تكثر وتكون بهية رائعة عندما تكون الكلف على أكثرها . وهذه الأضواء كما لا يخفى ليست إلا تفريغات كهربائية في أعلى الجو أحدثتها دقائق مكهربة تطلقها الشمس .

وعلى أساس الدقائق المكهربة تبرز الصلة بين الأحوال النفسية والجو . ففي بعض الأحيان يشعر الانسان بأنه نشيط على استعداد للعمل بحيوية وهمة دون أن يكون هناك أسباب توجب ذلك . كما أنه يشعر في أحيان أخرى بأنه تعب يعتره خمول وتراخ وأن حيويته في نقص فلا يستطيع القيام بالأعمال التي تستوجب نشاطاً وعزماً . أى إن المزاج يتغير ويتقلب ، فبينما هو مزاج النشاط والهمة في أيام إذا هو مزاج الخمول والفتور والتراخي في أيام غيرها ، دون أن تكون هناك عوامل توجب ذلك النشاط أو الخمول . وقد درس بعض العلماء هذه المسألة وأخضعوها لتجاربهم وبحوثهم ، فتبين لهم أن هناك علاقة وثيقة بين الهواء الذى نتنفسه وبين المزاج . فالشعور بالنشاط أو بالفتور يتصل اتصالاً وثيقاً بالجو وبما يحويه من



الحاصل بشكل تفصيلي واسع . ولكن الأمل كبير في كشف نواح جديدة قد تساعد على معرفة القيمة الغذائية والصحية في الحاصل التي نزرعها وكيف أنها تختلف باختلاف العوامل الطبيعية . ويرى الأطباء الآن أن هناك صلة بين الفيتامينات والمزاج والسلوك الفسيولوجي ، وهم يأملون أن يكشف العلم في الأعوام المقبلة أن الغدد الصم تتأثر بالفيتامينات التي نتناولها في غذائنا كما تتأثر بالأشعة التي تصيب الجسم . ولا يخفى ما للغدد الصم من تأثير في الإنسان ؛ فهي تسيطر على جرم الجسم كما تسيطر على الطباع والنفسيات من حيث النشاط أو التراخي ، وهي المكونة لشخصياتنا والمكيفة لها . ومن هنا يتجلى أن العلم سائر في طريق الكشف عن نفسية الإنسان وتفهم شخصيته والسيطرة عليها . والعلماء يوالون درسها وعلاقتها بالأحوال الجوية الناتجة عن الشمس وكفها .

وقد يكون هذا من الأسباب التي تجعل بعض المصايين بالرومانزم يتنبأون بالتغير في حالة الجو وبالعاصفة قبل وقوعها . ويحاول العلماء الآن اخضاع حالة الجو الكهربائية اخضاعاً تاماً ، وقد قطعوا في هذا شوطاً ، والأمل كبير أن يتمكنوا في المستقبل القريب من أن يجروا تكييفاً في حالة الجو الكهربائية ، وذلك بزيادة الدقائق الموجبة أو السالبة مما يوافق المزاج وحالة الإنسان الفسيولوجية . وظهر لبعض العلماء أن الأشعة فوق البنفسجية التي تصدر عن الشمس تتأثر بالكلف الشمسية وهي تتغير كمية وأثراً بتغير نشاط الكلف؛ فازدياد هذه يزيد في تأثير الأشعة وفعلها . ولا يخفى ما لهذا النوع من الأشعة من آثار على النبات وفي إحداث الفيتامينات التي تلعب دورها الخطير في صحة الإنسان ونشاطه وحيويته حتى اتجاهات تفكيره . ولم يستطع لعلماء بعد إدراك تأثير الأشعة في

قمرى حافظ طرقاته

[ نابلس ]



## شهرة السياسة الدولية

### الأحداث متداعية

محط أنظار فرعى الكتلة الانحلوسكسونية ،  
وهما عليه في دخيلة نفسيهما يتنافسان ،  
وانجلترا تود لو فازت قبل أمريكا بعقد  
معاهداتها مع البلاد العربية ، وأمريكا  
تود لو وفقت لدق أسفين لها في إيران  
فتخلق عن طريقها وطريق تركيا واليونان  
كتلة شرقية تقابل بها كتلة البلقان أو  
كتلة صقالبة الجنوب . والجامعة العربية  
تعقد لجلسها أدق دورة مرت بحياتها، وجدول  
أعمالها ملء بالمساكن التي تذهب من ريف  
مراكش إلى الهند وباكستان وفيتنام ،  
والعراق قد رفض معاهدة وزارته السابقة  
مع إنجلترا، وشرق الأردن لم يعلن بعد شيئاً  
عن معاهدته التي شاء أن يعدل بها ملحق  
معاهدته السابقة . وسوريا ولبنان قد اختلفا  
في الموقف من الفرنك بالنسبة لتقديهما ، وكل  
هذا إلى ما يجري في فلسطين من دماء وإلى  
ما ينتظر أن يجري في ليبيا من استفتاء .

شهر عامر بالأحداث في السياسة الدولية،  
ذلك الذي ينقضى وقت كتابة هذه السطور،  
وممتاز بأن أحداثه تعم الغرب والشرق معاً.  
فالحملة على الشيوعية من جانب أمريكا  
وانجلترا قد بلغت أوجها ، والسعي من  
جانبيهما إلى تكتيل العالم على الكتلة  
السلافية حديث ، وروسيا تقذف في وجهيهما  
بالإتهام تلو الإتهام ، وهما وهى يتسابقن  
إلى نشر الأسانيد الألمانية السرية المؤيدة  
للدعويين المتناقضتين ، وكل فريق من الفريقين  
يحاول الانفراد بالمنطقة الألمانية التي يحتلها  
ليتعهدا بما يقاوم به مصالح الفريق  
الأخر . ومشروع مارشال يترجح بين  
الشيوخ الديموقراطيين والجمهوريين تأييداً  
له حتى يفلح في جلب الدول الأوروبية  
المتردة ، ومناوأة له حتى تصاب الإدارة  
الأمريكية الحالية باخفاق يكون له فعله في  
الانتخابات العامة المقبلة . والشرق الأقصى

### بين روسيا وأمريكا

برلين ، تأخذ كل واحدة منهما ما يفيدها  
ويظهرها مظهر البراءة ويلصق بالأخرى تهمة  
التآمر مع ألمانيا العدو . فقد راحت أمريكا  
تنشر الأسانيد الخاصة بالميثاق السوفيتي  
الألماني الذي عقد قبيل الحرب العالمية الثانية  
في الوقت الذي كانت المفاوضات تجري فيه  
بين الاتحاد السوفيتي وفرنسا وإنجلترا لعقد  
معاهدة ثلاثية بينهم . وراحت روسيا تدلل

والواقع أن العلاقات بين الاتحاد السوفيتي  
والولايات المتحدة الأمريكية قد تجاوزت  
حدود الخلافات في النظر التي لا تخلو منها  
العلاقات الدولية في كل زمان ، فقد لجأت  
كلاهما إلى ما لم يعرفه التاريخ الدبلوماسي  
من قبل ؛ إذ لجأتا وهما متصادقتان إلى التجابه  
بالأسانيد المأخوذة عن المحفوظات الألمانية  
التي استولت عليها الجيوش عند دخولها



قد قررت مبدأ أخذ شؤون ألمانيا كلها عن طريق اجتماعات يساهم فيها الأربع الدول جميعاً. ويلوح أن فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة ماضيات في سبيل العمل دون الاتحاد السوفيتي؛ إذ وضعن فيما يلتهن جدول أعمال مؤتمرن الثلاث وتبادلن الرأي في تفصيل الاتجاهات التي تصدرها قراراتهن فيه حين يعقد. وتقابل روسيا هذا الاجراء بدعاية واسعة النطاق في المنطقة الألمانية التي تحتلها مدعية فيها أن الدول الغربية الثلاث إنما يسرن في سبيل تقسيم ألمانيا وتمزيقها بدل ما تريده روسيا لها من وحدة وتمركز. وتفيد هذه الدعاية عند الألمان في الجانبين، فتؤلف في الناحية الشرقية جماعات تنادى بالوحدة، وتجرى على الألسنة في الناحية الغربية عبارات الأسف على النازية؛ لأنها لم تنزل بألمانيا قدر ما تنزله بها حكومات حلفاء الغرب هذه الأيام.

على أن عقدها ذلك الميثاق إنما كان عمداً لأنها كانت تعرف تصميم هتلر على مهاجمتها، وقد شاعت بذلك الميثاق أن تؤجل موعد مهاجمته من ناحية، وأن تبعد التخوم التي تصدر عنها المهاجمة من الأراضي الروسية الأصلية التي تأخذ فيها العدة المنتجة للدفاع، بل إنها ذهبت إلى حد اتهام الولايات المتحدة وبريتانيا بأنهما قد ساعدتا على تمويل صناعات الحرب الألمانية وعلى الدفع بهتلر إلى مهاجمة روسيا بل بالسعى في سبيل عقد صلح منفرد معه.

وفي هذا الجو تقرر فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة أن يعقدن مؤتمراً في باريس للنظر في توحيد الاجراءات الخاصة بإدارة المناطق الألمانية التي تحتلها، فيشير هذا القرار ثائرة الاتحاد السوفيتي ويقذف إليهم باحتجائه؛ لأن المؤتمرات السابقة كانت

### المستعمرات الإيطالية

بالأربع الدول العظمى مجلس وزراء خارجيتن، وبين المسائل المعروضة عليه، أو المعهود بها إليه، مسألة المستعمرات الإيطالية السابقة، ولها لجنة تتحرى وتتأمل، وقد انتهت من تحريرها في إيرتريا والصومال وستقصد بعد أيام إلى برقة وطرابلس. ولا يدري أحد حتى هذه اللحظة ماذا جرى فيما أتمته من تحريرات. لكن الأنباء قد بدأت تذاع عن خلافات تجسست واتخذت صورة دبلوماسيتة بالنسبة لليبيا. فقد قيل إن الاتحاد السوفيتي قد أبلغ الحكومة الإيطالية أنه متجه في صدد المستعمرات الإيطالية كلها اتجاه إعادتها إلى إيطاليا عن طريق الوصاية عليها جميعاً. والمعروف أن لبريتانيا إزاء تلك المستعمرات خططاً تقضى

بأحكام الاتصال بينها وبين الامبراطورية البريتانية. وقد قالت منذ زمان إنها قد تعهدت للسيد السنوسي، وللسنوسيين كافة، بأن الإيطاليين لن يعودوا إلى برقة، وتفاهمت مع الولايات المتحدة على استعمال بعض المطارات الواقعة فيها وفي طرابلس. ويظهر أن الاتجاه الروسي إنما يقصد به تأييد الحركة الشيوعية في إيطاليا إبان الانتخابات العامة التي ستجرى في الثامن عشر من شهر ابريل المقبل. والإيطاليون في عموم يودون لو عادت لهم مستعمراتهم، ويقدرّون للشيوعيين منهم موقف روسيا، فيميلون إلى تمييزهم في تلك الانتخابات. على أن الأسور في طرابلس الغرب لا تنتظر تلك الاتجاهات من جانب روسيا أو من



ولاشك أن هذه الدخائل ستعقد الموقف من مسألة المستعمرات الايتالية السابقة كلها ، وسيعين على تعقده كذلك موقف فرنسا في تونس ومن قزان ؛ فهي في تونس تود ألا تجاورها أمة إفريقية مستقلة ، وتؤثر أن تكون جاراتها خاضعة لشل نظام حكمها في شمال أفريقيا كله عن طريق الحماية أو الوصاية أو الضم ، فتميل إلى أن ترضى لإيطاليا بوصاية على طرابلس وتؤيد الاتجاه البريطاني نحو برقة ، وهي من ناحية أخرى قد احتلت قزان منذ خرجت قوات الجنرال اكليز من منطقة تشاد إلى ساحل البحر المتوسط ، وهي تود لو احتفظت بها وضمها إلى الأراضي التونسية ، وحظيت بموافقة إيطاليا على هذا الاحتفاظ مقابل موافقتها على وصاية إيطاليا على طرابلس ...

جانب إنجلترا وأمريكا ، بل إنها قد أخذت تتبلور تبلوراً طرابلسياً خالصاً وتتجه اتجاهاً قومياً نحو المطالبة بالاستقلال غير المقيّد وبتوحيد القطرين برقة وطرابلس . ويلوح أن الطرابلسيين قد تبينوا أن هناك من المساعي ما يبذل بين البريطانيين المحتلين والايثاليين المقيمين ليوصل إلى تفاهم بين بريطانيا وإيطاليا على أن ترضى إيطاليا باستقلال برقة تحت حكم السيد السنوسي تربطه معاهدة مع بريطانيا العظمى واتفاقات مع الولايات المتحدة مقابل رضا بريطانيا ورضا الولايات المتحدة بوصاية إيطاليا على طرابلس مع منحهما في الوقت ذاته حقوق ارتفاق على مطاراتها وبعض قواعدها . فقامت في طرابلس المظاهرات ضد الانجليز والايثاليين معا .

### في الشرق الأوسط

حركات تمهيدية موجهة ضدها بالذات ، في حين تصفها الولايات المتحدة بأنها حركات استعداد للدفاع وتنظيم للخط الأول من خطوط هذا الدفاع ، وإن كانت المسافة التي تفصل روسيا عن الولايات المتحدة آلافاً من الأميال ، واليونان وإيران على مقربة من الاتحاد السوفيتي بل على تلاصق معه . وتركيا بين اليونان وإيران قد اكتنفها الخوف من الجانبين ، فبدا فيها اتجاه — وإن لاه خفيفاً — نحو الوقوف موقف الحيدة بين القوتين الجبارتين . ولتركيا في ماضيها غير البعيد ما يدل على إلتاقها الأخذ بأهداف الحيدة بين المتنازعين ؛ فقد كانت محالفة أيام الحرب العالمية الثانية لألمانيا وروسيا وإنجلترا في وقت معا ، وحظيت على أي حال برضا إنجلترا وألمانيا وبخطب ودتهما المستمر .

وليس الأحوال في الشرق الأوسط أقل ارتباطاً منها بالنسبة لألمانيا أو للمستعمرات الايتالية . فإلى التطور الذي تطوره الحرب الأهلية في اليونان بحيث أصبحت سبعة أعشار التراب اليوناني في قبضة الجنرال ماركوس وبقيت ثلاثة أعشاره فقط تحت سلطان الحكومة الملكية ، والحكومة الملكية خاضعة لاجراءات المعاونة الأمريكية ولاجاءات الاحتلال البريطاني ، وحكومة الجنرال ماركوس معلنة شيوعيتها وساعية في سبيل التحالف مع الجارات البلقانية جميعها — إلى ذلك التطور الخطير في اليونان ، يرى الطالب تقدم بها الحكومة الأمريكية إلى الحكومة الإيرانية قصد الحصول على قواعد ومطارات وامتيازات ، فترى روسيا في ذلك الوضع اليوناني وفي هذه المطالب من إيران ،



## العالم العربي

التقسيم — لدى حكومات الدول العربية حتى يمنعها من التدخل العسكرى، بل حتى يدعوها إلى تهدئة خواطر العرب الآخرين على قرار التقسيم. ولا شك أن هذه الدول ستقابل مسعاها بما هو جدير به من الأخذ بالحزم، والرد الحاسم من القول، وانتعير عن حقيقة إحساس العرب بسوء موقف الولايات المتحدة وبسوء أثره في النفوس. وأما محاولة إنجلترا عقد معاهدات مع البلاد العربية فقد أصابها ما أصابها من صدمة إثر رفض العراق مشروع المعاهدة الذي وقعه وفده في بورتسموث وإثر تكتل سوريا ولبنان في رفض أى اتفاق يعقد مع دولة عظمى على انفراد، بعد ما أصابها إثر رفض مصر الارتباط معها بأية مخالفة. ولعلها محاولة الالتجاء إلى دهاؤها القديم قصد العودة إلى جذب العرب نحوها بما تظهر به من ميل إلى مقاومة تقسيم فلسطين ومن ميل إلى تفاهم على تعديل شروط الملحق العسكرى بمعاهدتها مع شرق الأردن. لكن ذلك كله رهن بالتطورات الدولية.

أما العالم العربي فلا يزال « الغليان » يكتنفه. فالحرب بين العرب واليهود في فلسطين تشتد يوماً بعد يوم. وموقف الأمم المتحدة، والرئيس ترومان، وبريتانيا ذاتها مترجح. فقد رفعت اللجنة التي انتخبها الجمعية العامة للأمم المتحدة للإشراف على تحقيق توصيتها بالتقسيم تقريرها إلى مجلس الأمن مطالبة بتزويدها بقوات حربية تستند إليها في مهمتها. ويلوح أن مجلس الأمن غير متوافرة فيه الكثرة التي تقرر هذا التزويد، والرئيس ترومان واقع بين مصلحته الانتخابية التي يحتاج فيها لأصوات يهود ولاية نيويورك، ومصلحة شركات البترول التي تؤثر رضا العرب وهدوئهم في المناطق التي يتمر بها أنابيب الزيت السعودي وفي الموانئ التي تنتهى إليها. ويظهر أن وزارة الخارجية الأمريكية تختلف وجهة نظرها عن مصلحة الرئيس ترومان الانتخابية، فراح هو يتدخل مباشرة — بعد أن تدخل بواسطة الضغط على أعضاء الأمم المتحدة ليصوتوا مع

محمود عزمى



## شهرية الفلسفة

### النحلة الأورفية

ولسنا نعرف عن حياته إلا ما تذكره الأساطير .

ويروى أنه رحل إلى مصر يطلب العلم . ويقال إنه ركب البحر مع بحارة السفينة « أرجو » حسب طلبهم ، فاشتغل فيها رباناً وموسيقياً وواعظاً دينياً . وقد ذكر هذه القصة بندار في أشعاره ، وصوره أوريبس في تمثيلية تدور قصتها حول رحلة بحارة أرجو .

ونجد في أسطورة أخرى قصة نزوله إلى الأرض أو العالم السفلي ، يشجى الآلهة في هذا العالم بموسيقاه ، ويطلق سراح زوجته . ويختلفون في وفاته : يذهب بوزانياس المؤرخ اليوناني أنه انتحر . ويقول آخرون إنه صعبه الرعد . والشائع أن الميناديات أتباع وعباد ديونيسوس ، مزقته إرباً إرباً لأنه عبد أبولون . ودفن في ديون من أعمال مقدونيا ، ويزعم بوزانياس أنه شاهد قبره .

كانوا يعدون أورفيوس في الزمن القديم مغنياً صاحب صوت حلو جميل ، تنقاد لأنغامه وموسيقاه جميع الكائنات كأنها واقعة تحت تأثير السحر ، ويستطيع أن يستأنس الوحوش الضارية في هذا العالم ، والقوى الخفية في العالم الآخر . وهو عندهم المعلم بل الرسول الذي يكشف الأسرار ويفسرهما : مثل أصل الآلهة وطبيعتها ، والطريق المستقيم الموصل إليها ، والسلوك الذي يجب على

ظهرت النحلة الأورفية في اليونان فاثرت في الدين والفلسفة والحياة الاجتماعية أثراً عظيماً ، وتسربت عقائدها وطقوسها إلى العالم المسيحي حتى اليوم . وتنسب هذه النحلة إلى أورفيوس الذي عاش في تراقيا قبل العصر الهوميروى . ويعتقد أرسطو أنه كان شخصية خرافية ليس لها وجود . غير أن سائر القدماء يؤكدون وجوده ، فيذهب هيرودت إلى أنه جاء بعد هوميروس .

وأول إشارة إلى أورفيوس في الأدب القديم مقطوعة بعنوان « أورفيوس الشهير » للشاعر إبيقوس في القرن السادس قبل الميلاد .

ويقال إنه ولد في ليثرا من أعمال ييريا ، وهي جهة محيطة بجبل أولبوس . وكانت هذه الجهة في القديم جزءاً من مقدونيا إلا أن أصلها من تراقيا . ولم يكن أهل تراقيا في العصور المتأخرة يعدون من صميم الاغريق ، ولهذا السبب لم يعدوا أورفيوس إغريقياً . ومما يؤيد هذا الرأي النقوش التي تمثل أورفيوس ، وفيها نجد ملابس أورفيوس إغريقية ، وفي بعض النقوش الموجودة على أنية خزفية أن هيئته إغريقية والمستمعين له من أهل تراقيا .

ونسبه إلى : قائمه إلهة الشعر الغنائى كالليوب ، وأبوه أبولون في رواية ، وفي رواية أخرى أنه أوجروس إله الخمر في تراقيا .



بيضة في الأثير فتفتتح ويخرج منها النور ، وهو أول إله أنجب الزمان .

ومن أسماء النور أوصفاته : زيوس ، وديونيسوس وإيروس ، وبان ، وميتس ، وإيريكبايوس .

ثم أنجب النور ابنة هي الليل ، تقيضه وشريكه ، ثم اتحدا فأنجبا الأرض والسماء . واتحدت الأرض والسماء فخلقتا ثلاث بنات وستة بنين . وعلمت السماء أن أبناءها سوف يقضون عليها فألقت بهم في نهر تارتاراس . وغضبت الأرض فأنجبت التيتان ، وهم مرده أو شياطين ، وكرونوس ، وريا ، وأوسيانوس وتيث .

وتغلب كرونوس فصرع أباه أورانوس ( السماء ) ، وتزوج أخته ريا . فلما أنجبت ابتلع أبناءه حتى لا يخلفوه في البأس والقوة . غير أن زيوس نجح بفضل ما قدمته ريا من مساعدة ، إذ ألقت أورانوس حجراً بدلا من الطفل المولود ، الذي أرسلته إلى كريت حيث كفله الكوريتس ، حتى إذا بلغ أشده ابتلع النور فأخذ عنه القوة و« أصبح البدء والوسط والنهاية لكل شئ » .

ثم شرع زيوس يرتب أمور الكون ، فتزوج ريا فأنجب منها برسيفوني . ثم اغتصب زيوس ابنته فحملت منه ديونيسوس . واستطاع التيتان أن ينزعوا الطفل من أيدي حراسه ، ثم مزقوه إرباً إرباً وأكلوا لحمه . ولما علم زيوس بهذه الجريمة أنزل غضبه على التيتان فأبادهم بأن سلط عليهم الرعد والبرق . وأعاد الطفل إلى الحياة فأصبح ديونيسوس هذا إله الأورفية . ولد ثلاث مرات : كان موجوداً من قبل في النور ، وهو ابن برسيفوني ، وأعاده زيوس إلى الحياة .

ثم جمع زيوس رماد التيتان وخلق منه الإنسان ، فكان بذلك صاحب طبيعتين :

الناس اتباعه في الدنيا والآخرة ، والقواعد التي تجري عليها النفس لتبلغ مقرها الصحيح .

وإذا كان قد اعتنق دين ديونيسوس ، وهو دين جاء إلى تراقيا من آسيا ، فقد حوره ليلائم الروح الاغريقي ، فهذب مبادئه الصارمة ، وجعل منه أداة لتأديب النفس وهدايتها . ويظن بعض المؤرخين أن قصة مقتله على أيدي الميناديات تبين مدى ما كان يقاسيه من معارضة المظاهر المتطرفة في ديانة الجحش . وانتهى الأمر إلى قبول الاغريق التأليف الذي أحدثه ؛ إذ وفق بين أبولون وديونيسوس ، إله الشعر وإله الجحش ، بين الألحان والحان ، كما نجد في دلفي .

غير أن تعاليمه النظرية كانت غامضة ، وطقوسه معقدة ، فلم يظفر إلا بعدد قليل من الأتباع سمو أنفسهم الأورفيين ، وهم شيعة اتخذوا ديونيسوس إلهاً عبده على طريقتهم الخاصة .

واتخذوا نقباء يقومون بطقوس الطهارة لمن يريد ذلك . وبقي نفوذ هؤلاء النقباء سائداً حتى القرن الرابع قبل الميلاد . فتحن نجد ثاوفراسطس زعيم مدرسة المشائين بعد أرسطو ، يرسل إليهم « الرجل المتطير » هو وزوجته وأبناءه مرة كل شهر ليشفيهم .

وكان اعتماد هؤلاء النقباء على كتب مقدسة تعد إنجيل النحلة الأورفية .

وإليك عقيدة النحلة الأورفية كما ترونها الأساطير :

في البدء كان الزمان ، وهو المبدأ الأول . وكان الزمان وحشاً مخيفاً في هيئة ثعبان له ثلاثة رؤوس ، رأس ثور وأسد ووجه إله بينهما . ونشأت معه الضرورة وهي قانون القضاء والقدر الذي يسيطر على الكون بأسره ويضم أطرافه . ثم أنجب الزمان الأثير والعاء والظلام . ويشكل الزمان



السعادة الدائمة الأبدية في العالم الآخر ، وذلك عند ما يتخلص من البدن ويلحق بالصالحين . أما أولئك الذين يعيشون حياة الفسق والفجور فإن عقابهم أبدى شديد ، إذ يلقون في الوحل والطين ويئس المصير . ويبدو أن صورة هذه الحياة السعيدة تتخذ في بعض الأحيان صبغة مادية ، على العكس من حياة الزهد المطلوبة في هذه الحياة الدنيا . فنحن نجد أديمانت في جمهورية أفلاطون يهتم موزايس وابنه بأنهما يجعلان الحياة الطبية ليست شيئاً آخر إلا الطعام والشراب الأبديان . أما مقر الروح الأخير فيصفونه بأنه في « جزر السعادة » ، حيث يعيش القديسون في نعيم مقيم كالألهة . وهو وصف يفسح المجال للمادية كما يفسح المجال للتأويل الشعري .

وقد عثر العلماء في مقابر إيطاليا وكريت على ألواح ذهبية سطرت فيها أبيات من الشعر ، وكانت توضع مع الميت في القبر لترشده إلى الطريق الصحيح . ذلك أن النفس عند ما تفارق البدن بعد الموت لا تبلغ مقرها في الحال بل تسبح في العالم السفلي . يروى أن النفس سوف تذهب إلى ينيوعين بجانب أبهاء زيوس ، أحدهما إلى اليسار . وهذا الينبوع ينبغي تجنبه لأنه « ماء النسيان » تشربه الأنفس التي سوف تعود إلى هذه الدنيا . أما الينبوع الذي إلى اليمين ، وفيه « ماء الذاكرة » الذي يجب أن تشرب منه النفس ، وإلى جانبه حراس تتوجه إليهم النفس ، ليصلوا بينها وبين الآلهة ، قائلة في دعائها : « إني ابنة الأرض والسماء ، إني أموت عطشاً ، فهب لي ماء زلالاً من بحيرة الذاكرة » . وعندئذ يمنح الحراس النفس ماء الينبوع الإلهي فتترق إلى مرتبة الإبطال .

وقبل أن تبلغ النفس مقرها الأخير تقف

طبيعة الاثم أو الخطيئة ورثها عن التيتان ، وطبيعة إلهية أخذها عن ديونيسوس الذي أكل التيتان لحمه .

وترتب النحلة الأورفية على هذا التصور للالهة والكون نظرية تخص طبيعة الانسان ومصيره . فالنفس تتميز تماماً عن الجسد . لأن البدن ، وهو العنصر التيتاني ، سجن أو قهر للنفس . وغاية الحياة في النحلة الأورفية أن نجح نحو العنصر الإلهي ، بأن نحفظ البدن في حال من الطهارة ما أمكن إلى ذلك سبيلاً حتى يحين الوقت الذي تنطلق فيه النفس من عقابها ، وتكتسب حريتها . وكانوا يعتقدون أن اتصال النفس بالبدن هو عقاب لاثم قديم ، للخطيئة الأولى التي ارتكبتها الجنس البشري ، ونعني بها : تذوق التيتان لحم ديونيسوس ، ومن التيتان نشأ الانسان .

ولما كان البدن وما فيه من شهوات هو منبع الشر ، فينبغي على الأورفي أن يكون زاهداً ، ويجب عليه ألا يأكل لحم الحيوان أو يشارك في الذبح وإراقة الدماء . ويجب على النفس أن تبقى مع البدن حتى يستكمل الانسان مدة العقوبة المفروضة عليه بعد ارتكاب الخطيئة الأولى .

وعلى النفس في أثناء اتصالها بالبدن أن تتبع قواعد خاصة في الطعام والشراب والراحة ، وأن تخضع لعبادات منظمة تجري على يد الكاهن . ونحن نجهل هذه العبادات أو المراسم ، لأن الأورفية كانت من الديانات الغامضة السرية . وأكبر الظن أنهم كانوا يقيمون نوعاً من العبادة الجماعية تجري فيها الأدعية والتراثيل ثم يقصون الأسطورة الأورفية وما جرى فيها للالهة ، وديونيسوس بوجه خاص . فإذا اتبع المرید هذه العبادات ، وآمن بها ، فقد يصل إلى



الضوء على النحلة الأورفية اتضح أثرها البالغ في الفلسفة اليونانية القديمة ، وفي كثير من العقائد التي لا تزال جارية حتى اليوم واحتفظت به الانسانية فيما احتفظت من تراث الفكر .

وأكبر الظن أن فيثاغورس وفرقته أخذوا القول بالتناسخ ، والعمل بالزهد ، والابتعاد عن أكل اللحم وذبح الحيوان عن الأورفية . ويتبعهم أفلاطون في التمييز بين النفس والبدن . وكثيراً ما يقتبس من قصائدهم أحياناً ، ولو أنه لا يذكرهم صراحة إذ يقول عنهم المؤلفة الأقدمون . ولا ريب في أن احتقاره للبدن ولعالم الحواس لا يخلو من التأثير بالنظرة الأورفية للإنسان والنفس ، ومن أنها اتصلت على كره منها بالبدن وهو مصدر الشر والآثام . وفي تطهير البدن وإماتة الشهوات طريق إلى الخلود .

وقد سرت عن أفلاطون نظريته في النفس إلى الشيخ الرئيس ابن سينا فقال في قصيدته المشهورة :

هبطت إليك من المحل الأرفع  
ورقاء ذات تدلل وتمنع

بين يدي برسيفوني وإلى جانبها عدد من الآلهة منهم زيوس وديونيسوس ، فتلتمس العودة إلى جنبها السعيد الذي كانت تنسب إليه ، والذي طردت منه بالقضاء بعد أن ارتكبت التيتان الخطيئة ، فسلط عليهم زيوس الرعد والبرق ، ثم جمع رمادهم وخلق منه البشر .

فالنفس تلتبس الآن ، وقد تطهرت ، من برسيفوني أن ترق لها وترسلها إلى مقر الأبرار الأطهار . لقد خرجت النفس من دائرة التناسخ ، وخطت نحو النعيم ، وفرت من أحضان الجحيم . فإذا كان الجواب ملائماً ترفع النفس إلى درجة الآلهة .

ظلت تعاليم الأورفية الباطنة سرا محجوباً إلا عن المريدين ، كسائر الأديان السرية ، إذ كان أصحاب هذه النحلة يصطنعون لكتمان أسرارهم لغة رمزية لا يفهمها إلا التابعون ، وتحتاج إلى شرح وتأويل ؛ إلى أن ظهرت في عصور متأخرة معاجم تكشف أسرارهم ، وذلك على يد كلنت الاسكندري في القرن الثالث بعد الميلاد ، إذ فسر قصيدة أورفية . فلما ألقى

أحمد فؤاد الأهواني



## شهرية المسرح

### الموسم الايطالى فى دار الأوبرا الملكية

فى هذه الآمال ، ولا يرون فيها إلا ظلاما  
حالكا . وأول مبدأ نحب أن نعرض له هو  
فكرة القديم والحديث فى الفن .  
لقد أخذ على دار الأوبرا تكرار ما يمثل  
فيها من مسرحيات ، وغوى فى ذلك ، قليل  
إن أوبرات مثل أوتللو وبترفلاى ومانون  
مثلا ، ليست جديدة بأن تسمى فنا . بل  
قليل إنها فن حقير لجرد أنها تمثل مئات  
المرات ، ولجهد أن عامة الشعب على  
اختلاف الأمم تقبل عليها ، وقد أصبحت  
مرذولة مبتذلة . وهذا القول عجيب ؛ فإن  
أوتللو وبترفلاى وكارمن ومانون مثلا ،  
لا تخلو منها المواسم فى باريس أو فى لندن أو  
فى نيويورك . وليس من بأس مطلقا بل  
لأنهم مطلقا أن تخلو منها المواسم فى القاهرة .  
والأوبرات ككل المظاهر الفنية ، سواء  
أكانت موسيقى صرفة أم تحتأ أم تصويراً ،  
هى للمتاع العقلى واللذة الفكرية . وليس  
الغرض منها الاستمتاع بها مرة ثم اطراحها  
إلى غيرها مما هو جديد . بل إن العمل الفنى  
على تفاوت قيمته يعيش مع الزمن ، وتتجدد  
اللذة به وتقوى كلما زاد المرء معرفة به .  
كما أن الزمن الذى كان يقال فيه إن الفن  
ارستقراطى لا يشعر به غير الخاصة قد مضى  
ولم يعد ملائماً لتقديم الأمم . ففى بلاد مثل  
روسيا مثلاً ، لنعتمد أن الذين يملأون  
دور الأوبرا فى هذه الأيام وقد يكونون  
بملايس العمل ، أقل فهماً من أولئك  
النبلاء الذين كانت تمتلئ بهم مقاصير دار  
الأوبرا الامبراطورية ، وتلمع صدورهم

انقضى الحول مذ جاءت الفرقة الأجنبية  
الأولى بعد الحرب الطاحنة لتمثيل الأوبرا  
فى دارنا المصرية ، واستغرق الموسم الثانى  
قسماً من شهر يناير وأكثر شهر فبراير .  
وكان الموسم الثانى لفرقة إيطالية أيضاً .  
ولقد تسكمننا من قبل عند استعراض  
الموسم الأول عن ضرورة تغيير الفرق التى  
تمثل الأوبرا وعدم الاقتصار على الفرق  
الايطالية . وكان من عادة دار الأوبرا قبل  
الحرب الأخيرة ، فيما نذكر ، أن يكون  
موسمان للفرق الايطالية وموسم لفرقة  
فرنسية . ومع ذلك لم يمنع هذا النظام من  
مشاهدة فرقة متساوية على مسرحنا المصرى  
فى موسم أو موسمين . وكان هذا التنوع  
موفقاً ، ونرجو أن تأخذ به دار الأوبرا فى  
إدارتها المصرية بل أن تتوسع فيه ، فتشهد  
فرقا ألمانية ومجرية وروسية أيضاً . فالفن  
لاوطن له . وقد يكون فى هذا التنوع ما يرضى  
الغرض الفنى الذى نريده من هذه الدار ،  
ونحن واثقون أن الإدارة المصرية الحالية  
تريده أيضاً .  
ولقد كنا نحب أن نقتصر فى الكلام عن  
هذا الموسم على التحليل الفنى للأوبرات  
التي مثلت على المسرح ، والتحليل الفنى  
للموسيقى التى عزفت ، وللاغاني التى أنشدت ،  
ولكننا نرى الحاجة أمس إلى الكلام على  
المبادئ . فأننا نعلق الآن آمالاً كبيرة  
على دار الأوبرا ، ونحب الآن أن نتحقق  
هذه الآمال فى ضوء إدارتها الناهضة ، كما  
أن زملاء لنا من المحبين للفنون يشككون



ولنشق أن الحالة في أوروبا ستنتعش سريعا . فتلک شعوب حية لاتستكين إلى حالتها إذا ساءت ، وتعمل سريعا للحصول على حاجاتها . والفن هو إحدى هذه الحاجات ؛ فهو ليس أمراً كإليسا لديها ، بل هو من الأمور الأساسية في الحياة .

لذلك سيكون واجبا على إدارة الأوبرا أن تبدل جهداً ، يزيد عاما بعد عام ، في أن تأتي بالفرق الممتازة . ولا شك أن مثل هذه الفرق ستكون في شاغل عن القدوم إلى مصر لازدهار المواسم في أوروبا . على أن لدينا شيئا من الاغراء في جو هذه البلاد وشمسها . فليستعمل هذا الاغراء إلى أقصى حد ، ولنراقب المتعهدين باحضار الفرق مراقبة شديدة ، كي لايفضل هؤلاء المتعهدون المال على الفن .

ونحب في معرض الكلام عن هذه المسألة أن ننتقل من التعميم إلى التخصيص ، فنقول إن فرقة هذا العام تحتوى على مغنين ومغنيات من الممتازين في مماء الأوبرا بإيطاليا . ولكننا نشعر بأن هنالك شيئا من عدم التوازن في الفرقة . وأغلب الظن أن ذلك نشأ عن المغنيات أكثر مما نشأ عن المغنين . فقد كان بعض المغنيات ذوات الأدوار الأولى متقدمات في السن ، وميالات إلى البدانة . ويحضرنا في ذلك دور مانون وفيدورا وبطلة الصديق فرتز . فقد كانت البدانة تقسد الدور . ومع ذلك فقد أظهر بعضهن فنا كبيرا ، حتى لقد نسينا بدانة مانون وكبر سنهما الظاهر ، حين رأيناها في الغناء تبرز أقرانها من المغنين أمامها ، فتجذب الآذان إن لم تجذب العيون . وهذا يوجد دائما نوعاً من عدم التناسب يظهر سريعا في المسرحيات الغنائية ؛ لأنها كلما قلنا أكثر من مرة فن صناعي ومغرق في البعد عن الطبيعة .

بمختلف الأوسمة المرصعة . بل كل ما نقرؤه عن تلك البلاد البعيدة يدل دلالة واضحة على أن الفن فيها لا يقل رقيا في هذا العصر عنه في الزمن القديم . والفن لا يمكن أن يعيش إلا بالتشجيع .

ونحن إذا أردنا أن ننبه دار الأوبرا في مصر إلى تنويع البرامج ، بحيث تشاهد الجهود الفنية الجديدة ، فلننا نقصد أن تعدل عن القديم إلى الجديد . وليست دار الأوبرا في مصر حقلا للتجارب ، لجرد سبب واحد هو أن نوع الأوبرا لم ينشأ بعد في مصر . ولو كانت هنالك مسرحية واحدة من هذا النوع لحنها موسيقى مصرى ، أو أجنبي نزيل ، لطالبنا دار الأوبرا بأن تعرضها تشجيعاً للمصرى أو النزيل مهما كانت غير جذيرة بهذه الدار ، ولكننا في الأوبرا لانزال مقتبسين .

فالطريقة المثلى التي نود أن تنفذها الادارة الحالية هي أن تظهر بعض المؤلفات الحديثة أو التي لم تشاهد من قبل في الدار أو التي شوهدت من زمن مديد ؛ فتشترط على الفرق أن يكون بين برامجها مسرحيتان أو ثلاث أو أربع من هذا النوع ، إلى جانب المسرحيات العتيقة المعروفة ، وبذلك توفق بين القديم والحديث .

مسألة أخرى نحب أن نعرض لها ، هي أنه مادامت لاتوجد فرق مصرية يعتمد عليها في تمثيل الأوبرات ، فانه سيتحتم علينا أن يكون هنالك موسم لفرق أجنبية ، بل ربما تحتم علينا دائما في جميع الفنون التمثيلية أن نغد إلى مصر فرق أجنبية ؛ فان في ذلك حافزا على النهوض بتلك الفنون . وستزداد مرور السنوات صعوبة الحصول على فرق ممتازة . وإذا كان في السنوات التي تلى الحرب مباشرة نجد ذلك ميسورا ، فان ذلك يزداد صعوبة كلما انتعشت الحالة في أوروبا .



وعلى كل حال هل لي أن أطالب دار  
 الاوبرا بالكثير؟ وهل لمجرد أني أرغب في  
 رؤية «بلياس ومليزاند» و«ووزيك» مثلاً،  
 أنادى بأن تقتصر دار الاوبرا على هاتين  
 المسرحيتين لأجلس وأستمع وسط المقاعد  
 الخالية؟ دع عنك هذه الأحلام، ومن  
 يرد ذلك فعليه أن يجري وراء استمتاعه،  
 فيجوب البلاد ويتنقل لسمع ما يريد.

يكفى أن تطالب دار الأوبرا بأن تحتفظ  
 بمستوى فني خاص للفرق التي تأتي بها،  
 فلا تنزل بالمستوى إلى ما يقرب من فن  
 الأوبريت، ولا ننتظر منها أن ترتفع  
 بالمستوى إلى ما فوق مقدورها؛ فإن ذلك قد  
 يؤدي بها إلى تشويه مسرحيات عظيمة.  
 وكل ما نراه واجبا علينا نحن النقاد هو  
 التشجيع والتحذير.

حسن محمد



## شهرية السينما

مسيو فردو ( اتحاد الممثلين ) (١)

عرض حوادثه . وما كاد يعرض الفيلم في أمريكا حتى هوجم منتجه واتهم بالشيوعية المتطرفة . والفيلم ليس ذا شأن لكى يهاجم منتجه ، والآراء الذى يعرضها فيه ليست بهذا العمق الذى يجعل الناس يخشون تأثيرها . فهى من ذلك النوع الرخيص التافه الذى يعرض ليثير دهشة عامة الناس وإعجابهم ، وسخط من يدرك تفاهتها وازدراءه . وقد استمد شابلى قصته من حياة لاندرو القاتل الفرنسى . فمسيو فردو ما هو إلا قاتل للنساء دفعه النظام الاجتماعى إلى الجريمة ليدافع عن نفسه وعن أسرته المكونة من امرأة متقاعدة وطفل صغير . لقد خدم مسيو فردو ذلك المجتمع الذى لفظه خمسا وثلاثين سنة أمضاها يعد تقود غيره فى أحد المصارف . ويمضى هذا القاتل الصغير فى جرائمه حتى يقبض عليه رجال الشرطة ويقدمونه للمحاكمة . ولتستمع إلى دفاع هذا المجرم : « ألم يشجع العالم ذلك الذى يقتل بالجملة ؟ إننى بالنسبة إلى هؤلاء لا أعد إلا هاويا ... فقتل شخص واحد يجعل من القاتل مجرما خطيرا ، وقتل الملايين يجعل من القاتل بطلا ؛ فكان العدد يحيطه بالقداسة . » نعم ! إن هذا الدفاع منطقي ظاهريا . ولكن هل ثمة وجه للمقارنة بين من يدفع عن بلاده طمع العدو ومن يدفع عن نفسه اعتداء المجتمع ؟ وإن كان شارلز شابلى

كان إنتاج شارلز شابلى يحتل دائما مكانا بارزا بين الانتاج الأمريكى عامة . وكان شابلى نفسه لا يضحك الناس ليسلهم فحسب كما كان يفعل المضحكون من معاصريه مثل هارولد لويد وبستر كيتون ، بل كان يضحكهم ليظهر لهم آفات المجتمع الذى يعيشون فيه . فهو حين اتخذ هذه القبعة الزرية ، وهذا السروال الواسع البالى ، وهذه السترة الضيقة القصيرة ، وحين أخذ يسير فى الطرقات بهذه الخطوات المضحكة العجيبة ، كان يريد أن يمثل الفرد حين يصبح ضحية المجتمع سواء أكان هذا الفرد عاملا أم مغامرا . فكان وراء تهريج شابلى الظاهرى فلسفة عميقة يستنبطها اللبيب من الشهود ويغفل عنها من جاء ليمضى ثلاث ساعات طيبة .

ثم فجأة ترك شارلى هذه القبعة وهذه السترة وهذا السروال وأنتج فيلم « الدكتاتور » . وما كاد هذا الفنان يترك زيه المعتاد حتى فقد إنتاجه ما كان له من قيمة . ففيلم « الدكتاتور » لم يكن إلا دعاية رخيصة بوساطة تهريج رخيص . ثم انقطع شابلى عن الانتاج فترة أعد فيها فيلمه الجديد « مسيو فردو » وراجت الشائعات حول هذا الفيلم : فمن قائل إن شارلز شابلى قد ترك فيه شخصية الشارد ليمثل دور رجل من البرجوازية الفرنسية ؛ ومن قائل إنه قد ابتكر فنا جديدا فى



السينما . فطريقة العرض أولية ، والتصوير أولى أيضا . فالصورة لا تسجل من الشخصيات إلا من يتحدث فقط ، وقد يكون تسجيل صورة من يستمع إلى الحديث أكثر خطرا من تصوير المتحدث وحده . أما عن جو الفيلم الذى أراد شابلن أن يكون فرنسيا فهو بعيد كل البعد عن الجو الفرنسى . فالناس فى شوارع باريس لا يتخطرون كما حدث فى الفيلم ، والنازل البرجوازية الفرنسية تختلف كل الاختلاف عن المنازل الفرنسية التى صورها شابلن فى إخراجها .

ولم نلمس عند شابلن مثالا أى تطور فى فن الأداء . فمن رأى أفلامه السابقة ولمس النواحي المختلفة لهذا الفن لا يجد فى أداء شخصية مسيو فردو أى تجديد . فمادة الضحك يستمدّها من حركاته الآلية كما كان يفعل فى أفلامه السابقة .

ولولا أن فيلم « مسيو فردو » أخرج فى أمريكا ، ولولا أن منتجّه وممثلّه هو شارلز شابلن ، ما صادف هذا الفيلم رواجاً ولا أصاب نجاحاً كما حدث حين عرض فى القاهرة . فتهاوت الجمهور على شهوده ورضاهم عنه لا يعودان إلى جودة الانتاج ، وإنما يعودان إلى ما للانتاج الأمريكى ولاسم ممثل شهير مثل شابلن من تأثير فى الجمهور .

يريد بهذا الدفاع أن يظهر عدم رضاه عن الحروب . فهل نجح بشخصية مسيو فردو أن يجعلنا نشمئز من الجريمة سواء ارتكبها فرد أو أمة ؟ إن شخصية مسيو فردو تجعلك فى حيرة أى حيرة ؛ فأنت بين مشمئز منه وعاطف عليه ؛ فأنت مشمئز منه لأنه رجل آثم ، وأنت تعطف عليه لأنه مهرج لطيف يستأثر بك كل الاستئثار . ولكنك لا ترضى عنه بعد كل شئ ؛ لأنه مجرم لا يدفعه إلى الجريمة سبب قوى ، وليس له عذر مقبول ، ولأن فلسفته سطحية لا تقنعك بتصرفاته . أنظر إلى نهاية الفيلم حين يذهب القس لمقابلته فى السجن . إن شارلز شابلن يعرض هنا آراء تذكرك بآراء الصيدلى مسيو هومى فى قصة « مدام بوفارى » لتفاهتها . يقول للقس إنه لا يعنى بروحه لأنها ملك الله والله وحده يتصرف فيها كيفما شاء ، وإن لولا وجود الشر ما كان ثمة داع للقس . أبهذا اللغو يريد شابلن أن يستأثر بالعالم وأن يصلح المجتمع بهدم النظام الرأسمالى ؟

ومع أن شارلز شابلن أخرج فيلمه فى الستينين الأخيرتين ورغم تطور صناعة السينما السريع فأنت تشعر حين تشهد « مسيو فردو » أنك تشهد فيلما أخرج فى أول عهد

### الفتى ( مترو جلدوين ماير ) (١)

التي يلجأ إليها المخرج لينال رضا جمهوره ، ومن هذا العنف الذى تسوقه البنا أفلام هوليوود حين تعرض لنا حياة الريف الأمريكى فى القرن التاسع عشر . فهذه القصة هى عرض بسيط لحياة أسرة أمريكية فى القرن

لا أتحدث عن هذا الفيلم فى مقالى هذا إلا لطرافة موضوعه ويسره وهدوئه . فقصة « الفتى » هى من هذه القصص التى تخلو من التعقيد الذى أسرف فيه الأمريكيون فى أفلامهم ، ومن عوامل التأثير المصطنعة



إلا الملل ، ولكن هذه القصة باخراجها اليسير الواقعي ، وبالمناظر الجميلة التي كان يعرضها الفيلم ، وبأداء الممثلين عامة قد أصابت قسما وفيرا من التوفيق والنجاح .

الماضى لا مرمى لها إلا الكفاج لتستغل الأرض وتيسر لنفسها حياة رغدة . وقد يبدو للبعض أن قصة تخلو من الحوادث المثيرة أو من العنف لا تصيب عند الجمهور

### أمريكي في إجازة ( فيلم لو كس ) (١)

يتركها ليواصل سفره بعد أن وعدنا بالحقاق بها إن عاد حيا من المعركة . وكل هذه الحوادث تسير في هدوء تام لا يشوبها أى عنف أو أية مغالاة ، وخاصة في المنظر الأخير حين يتقابل الشابان لآخر مرة فلا صراخ ولا عويل عند الفراق ولا حتى هذه القبلة التي يحرص الأمريكيون أن يحتتموا بها أفلاسههم . وكان أداء الممثلين لا يختلف عن طابع القصة في هدوئه وقصده . فكل منهم وخاصة فالنتينا كورتيزيه التي امتازت بتمثيل فائق وقوة تعبير خارقة قد اصطنع القصد والأمانة في إخراج شخصياتهم . وكان المصور أيضاً على حظ كبير من التوفيق فيما سجل من صور جميلة بين آثار روما ، فأسبق على الفيلم جالافنيا محمودا .

وإن كان هذا الفيلم يمتاز بكل هذه الصفات التي تحدثت عنها ، فلمست أرمى إلى أن أجعله في المرتبة الأولى بين الأفلام الإيطالية ، إنما أردت أن ألزم الأمانة في حديثي ، فلا أغفل هذه الميزات التي مع كثرتها لا تجعله إلا إنتاجاً حسناً لحسب .

هذا الفيلم الايطالى يمكن أن يعد مثالا لاقتصاد في التعبير . وأقصد بالتعبير الإخراج والتمثيل وحوادث القصة . فالإخراج هو وسيلة للتعبير عن جو القصة وظروفها ، والتمثيل وسيلة للتعبير عن شخصياتها ، والحوادث وسيلة للتعبير عن شعور تلك الشخصيات . ويمكننى أن أضيف أن ثمة ناحية في هذا الفيلم امتازت بالقصد وهى الدعاية . فأنت حين تشهد هذا الفيلم يدهشك هذا الذوق في اختيار المواقف ، وهذا اغن المقتصد في الأداء والتمثيل ، ووسائل الدعاية فيه .

والقصة غرامية تدور حوادثها في روما حيث يتقابل شاب أمريكي وفتاة من ريف إيطاليا ، فيهم الشاب بالفتاة هيما شديدا وتبادلها هي هذا الشعور القوى ولكنها تخفيه عنه . وهو يلاحظها في كل مكان ولكن الفتاة تتمنع وتهرب من المدينة إلى ريفها الهادئ . ولكن الأمريكي يأبى أن يعود إلى ميدان القتال دون أن يرى محبوبته ليسلمها مذكراته عن المدة التي قضياها معا في روما ، ثم

مضى لأمري



# من كتب الشرق والغرب

## ديوان أبي فراس

جزأين ضخمين ، وجعل له مقدمة بالفرنسية في جزء ثالث صغير ذكر فيها ما قام به في سبيل نشر الديوان ، ثم ترجمة أبي فراس نقلا عن كتب الأدب والتاريخ التي ترجمت له أو نوهت به ( وقد أثبت ذلك بنصه في الجزء الثاني ) ؛ ثم وصف النسخ المخطوطة التي طوف في سبيل الحصول عليها في مشارق الأرض ومغاربها حتى ظفر بها من مكتبات العالم ، وهي نسخ كثيرة تزيد على الأربعين ، وأثبت صور بعض أوراقها .

أما الجزء الأول من الديوان ( وهو نحو ثلاثمائة صفحة كالجزء الثاني ، ولكنه يُخيل للناظر البه ، لضخامة ورقه ، أنه ستائة صفحة ) فمصدر بمقدمة لحضرة الناشر ترجم فيها لأبي فراس ترجمة رائعة ؛ وكان جل اعتاده فيها على شعر أبي فراس نفسه وعلى أخبار ابن خالويه الذي كان يؤثره أبو فراس ويختصه بشعره . ثم ذكر النسخ التي عثر عليها والتي أطال الحديث عنها في المقدمة الفرنسية ، وجعلها أربع طوائف ، وبين قيمة كل طائفة منها . والطائفة الأولى تشمل نسخة ابن خالويه جامع الديوان وشارحه ، وما كان منها بسبيل . ثم عرض لطبعات الديوان السابقة ، وذكر بعض ما فيها من نقص وتحريف وتشويه .

ويشتمل النصف الأخير من الجزء الثاني على ملحق أثبت فيه ما نسب إلى أبي فراس من شعر لم يرد في أمهات المخطوطات ، ومن

اتخذ الأستاذ الدكتور سامي الدهان نشر ديوان الأمير الشاعر المترف الفارس الشجاع الحارس أبي فراس بن سعيد الحمداني ، موضوع رسالة للدكتوراه قدمها لجامعة باريس ، فظفر بشهادة الدولة منها . وقد أخرجه بشرح ابن خالويه جامع الديوان وشارحه ، إخراجا أنيقا رائعا ؛ فطبعه في غاية من الاتقان والنظافة ؛ وورقه من النوع الممتاز الثمين القليل الصقل مما يجعله يتشرب الحبر تنريبا ، فبدت فيه الحروف واضحة جلية مشرقة ، حتى لا تكاد تجد فيه حرفا ضعيفا أو علامة إعجام ضائعة . وشرح ابن خالويه إنما هو شرح تاريخي ، يقدم كل قصيدة بكلمة يبين بها الغرض الذي سبقت له القصيدة أو المناسبة التي قيلت فيها . وقد تقصر هذه الكلمة فتكون بعض السطر ، وقد تطول فتكون سطورا . فاذا عرض أبو فراس لوقائع آباءه ومآثر قومه ( كما في القصيدة الرائية الكبرى ) أخذ هو يشرح تلك الوقائع والمآثر شرحا مفصلا رائعا ؛ فيذكر تفصيل ماسبق عصره من الأحداث عن الثقات ؛ فاذا عرض أبو فراس لوقائع سيف الدولة وناصر الدولة ، شرح ابن خالويه تلك الوقائع شرح معاصر مشاهد . وبذلك يعد شرح ابن خالويه لديوان أبي فراس مكملًا لأغفله التاريخ من وقائع آل حمدان ومآثرهم .

وقد أخرج حضرة الناشر الديوان في



شعر نسب إلى أبي فراس وروى لغيره في كتب الأدب والدواوين ، وعلى ترجمة الشاعر وأخباره في كتب الأدب والتاريخ وعلى عشرة فهارس : لشعره المروى في كتب الأدب والتاريخ ، ولشعره الذي تنفرد به هذه الطبعة ( وهى تزيد ٨٥٧ بيت على أكثر الطبعات شعراً ) وللبحور ، وللمعاني والأبواب ، وللقوافي ، وللأعلام ، وللقبائل والأسم والبيوت ، وللأماكن والبلدان ، وللكتب والمصادر ، وللموضوعات ، ثم يختم بجدول للتصويب والاستدراك .

هذا عمل جليل ومجهود ضخم ، يشكر الحضرة الناشر كل الشكر . ولكن ! هل أخرج لنا ، مع كل هذا المجهود الضخم ، نسخة صحيحة لديوان أبي فراس ؟ ذلك ما نريد أن نلم به الإمامة قصيرة . وأعترف قبل كل شيء أنى لم أقرأ الديوان كله ؛ وإنما قرأت بعض قصائد ومقطوعات من الجزء الأول قراءة عابرة ، وقرأت نحو خمسين صفحة من أول الجزء الثانى . على أن ما قرأته يعطينى صورة صحيحة عن الديوان .

كان الظن أن تبرا هذه الطبعة الأنيقة بما يشين ؛ فان هذا المجهود الظاهر الذى بذل فى إخراجها ، وهذا المقدار الضخم الذى تجمع بين يدي حضرة الناشر من أصول الديوان ، كانا خليقين أن يعصماها من الخطأ . ولكنى ما كدت أمضى فى القراءة حتى صدمنى بعض الخطأ فى الكلم وفى الضبط .

فمن خطأ الكلم فى ( ص ١٨٤ س ٥ ) ( ٦ ) :

إذا تخطأ ريب الدهر ساحتها  
فما تبالى بمن دارت دوائره  
وإنما وقت الدنيا موقتها  
منه وعمر للإسلام عامره

أظن أن ليس فى اللغة « موفة » وإنما الصواب :

وإنما وقت الدنيا موقها \* منه ...

يريد الشاعر أن يقول : وإنما تقى الدنيا من ريب الدهر من يبالغ فى وقايتها منه . يدل على المبالغة تضعيف « موقها » وفى ( ص ١٠٧ س ٢ ) :

ولاصقة الاطلين من نسل لاحق  
أمنية ما نيطت إليه الخوافر

يصف فرسا . والخييل تنعت بلحوق الخواصر وضمورها . فالصواب : « ولا حقة الاطلين » . ونعت الخيل باللحوق والضمور كثير مستفيض فى الشعر العربى . وفى ( ص ١٦١ س ٢ ) :

وأسرة صدق فى اللقاء شعارهم  
ألا إن ضرب الله لاشك قاهر

صوابه - كما هو ظاهر - : ألا إن حزب الله لاشك قاهر .

وفى ( ص ٣٤٩ س ٩ ) :

لا يطغين بنى العباس ملكهم  
بنو على موالهم وإن زعموا

الصواب « وإن زعموا » . يفضل الشاعر بنى على على بنى العباس . ويقول لبنى العباس : كفكفوا من غلوائكم ، ولا يبطركم الملك والخلافة ؛ فبنو على سادتكم ومواليكم وإن زعمت أنوفكم . وقد أنشأ أبو فراس هذه القصيدة حين وقف على قصيدة لحمد بن سكرة الهاشمى من ولد المنصور ، يفاخر بها ولد أبى طالب وينقص ولد على . ويقول ابن خالويه : « فلم يجبه أبو فراس تنزها عن مناقضته لسفاهة شعره ، وقال فى مدح أهل



الاستدراك غلة ؟ ظاهر سياق الكلام أن هذه الكلمة من نعوت الخيل ؛ فيجب البحث عنها أو عن رسم قريب من رسمها في المظان، وهي هنا كتب الخيل وكتب اللغة كالمخصص لابن سيده . وقد ضبطت « تعطى » بفتح الطاء ؛ والصواب الكسر ؛ إذ هو يصف الخيل بأنها طيبة لاتبخل بشيء من مجهودها ؛ فهي تعطى كل ماتسامه وتكلفه .

وفى ( ص ٣٦٣ س ٣ ) :

ولم أبذل لخوفهم مجنا  
ولم ألبس حذار الموت لاما

يقول إنه لم يبال بأعدائه ، فهو لم يحمل مجنا لخوفهم ، ولم يلبس درعا حذار الموت . فما معنى « ولم أبذل » هاهنا ؟  
وفى ( ص ٣٦٥ س ٦ ) :

راحت وصاحبها بعرس حاضر  
يرضى الاله وأهلها فى ماتم

يصف فتاة كريمة سيبت ، فكانت من نصيب أحد المقاتلين ، فصار صاحبها الذى كانت من نصيبه فى عرس ، وأهلها فى ماتم . فما معنى « حاضر » بالرفع هنا ؟ وما موضع « يرضى الاله » ؟ أما أنا فقد كنت أحاول أن أجارى سياق الكلام وأجعل « حاضر » وصفاً لـ « عرس » وأحورها بما يلائم العرس ، وأجعل البيت هكذا :

راحت وصاحبها بعرس حافل  
يرضى الاله وأهلها فى ماتم

بل لعلى أهتدى إلى ما هو خير من هذا وأنبه على ما فى الأصول ، وأستبقى الأصل كما هو ، وأعلق عليه بما أهتدى إليه .  
وفى القصيدة المشهورة التى مطلعها :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر

البيت عليهم السلام . وقصيدة أبى فراس واحد وستون بيتا ، وهى من أقوى شعره ذكر فيها مساوى بنى العباس وما فعلوه مع أبناء على فى أسلوب قاس عتيف . مطلعها :

الدين محترم والحق مهتضم  
وفى آل رسول الله مقتسم

وهى ميمية كما ترى . فمن الغريب أن يقع فيها هذا البيت ( ص ٣٥٢ س ١ ) :

لايعة ردعتكم عن دمائهم  
ولا يمين ولا قربى ولا نسب

هكذا « ولا نسب » بالباء . ويمكن أن يكون صوابها « ولا رحم » . نعم ! وردت « رحم » قافية لبيت آخر ؛ ولكنه يقع بعد هذا البيت بسبعة أبيات . وهذا فاصل يجيز التكرار .

وثمة عدة ألفاظ يكتنفها الغموض متناثرة فى ثنايا الديوان . فمن ذلك فى ( ص ٣٦١ س ١٢ و ١٣ ) :

إلى أن صبحتهم بالمنايا  
كرائم فوق أظهرها كرام  
من العرشات تلحق مارأته  
إذا طلبت وتعطى ماتسام

ظاهر أنه يصف خيلا كريمة ، فما العرشات إذن ؟ يقول حضرة الناشر فى التصويب والاستدراك : « ( العرشات ) فى جميع الأصول . ولعلها محرفة عن « عربات » أو « عربان » . أما عربات فجمع عربية ، وهى السفينة بلغة أهل الجزيرة ، تعمل فيها رعى فى وسط الماء الجارى مثل دجلة والفرات والخابور يديرها شدة جريه . وعربان : بلدة بالخابور من أرض الجزيرة » . فهل ينقع مثل هذا



( ص ٢١٠ س ٣ ) :

حفظت وضيعت المودة بيننا  
وأحسن من بعض الوفاء لك العذر

لست فاهما الشطر الثاني . والصناعة  
اللفظية تقتضى أن يكون مع « الوفاء »  
« الغدر » لا العذر . و « عذر » وقعت  
قافية بعد هذا البيت بيت واحد . ألا يمكن  
أن يكون الشاعر قد أراد أن يقول :

إنه لا يجب الوفاء الناقص ويرى الغدر  
خيراً منه ، فهو يقول لحبيبتة ان الغدر  
أحسن لك ، أو أحسن بك ، من أن تفى  
بعض الوفاء . وقد ضبطت « أحسن » بفتح  
الثون والصواب الضم .

وفى ( ص ٣٤٤ س ٨ ) :

أجدها قطع كل واد

أخصبه نبتة العميم

يصف إبلا . فما معنى « أجدها » ؟

وقد بقى من هذه الكلمات شىء فى  
الديوان ، ولكنه - والحمد لله - قليل .  
ومن السهل جدا على حضرة الناشر أن  
يتبينه وأن يحليه فى الطبعة الثانية .  
أما الضبط فالخطأ فيه كثير . وقد ذكر  
حضرة الناشر فى صدر التصويب  
والاستدراك عذره .

والواقع أن التزام الضبط فى الديوان  
كله ، فى خطه الكبير والصغير ، عمل  
شاق يحتاج إلى العناية التامة والاشراف  
الدقيق . ويبدو أنهما لم يتوافرا فى تصحيح  
هذا الديوان . والا فكيف سر هذا البيت  
( ص ٢٤٩ س ٣ ) :

مع أن الفراغ فى الشطر الأول ، والضغط  
فى الشطر الثانى ، لا تفتان للنظر .

وقد ذكر حضرة الناشر طائفة كبيرة  
من هذا الخطأ فى جدول التصويب  
والاستدراك ، ولكن ما بقى منه أكثر ،  
ولعله أهم . وانى لذاكر بعضه .

من ذلك فى ( ص ٢١٢ س ٤ ) :

ولا أصبح الحى الخلوف بغارة  
ولا الجيش مالم تأتته قبلى النذر

ضبط « أصبح » بضم المهملة وكسر الباء  
والصواب فتحهما . يقال : أصبحت القوم  
( كنع ) وصبحتهم ( بالتضعيف ) إذا  
أتيهم صباحا . وضبط « الخلوف » بفتح  
الخاء ؛ والصواب الضم . والخلوف هنا :  
الغائبون .

وفى ( ص ٣٣٣ س ١ ) :

يا واسع الدار كيف توسعها

ونحن فى صخرة نزلها

يا ناعم الثوب كيف تبدله

ثيابنا الصوف ما نبذلها

بضبط الفاعلين فى البيت الأول للمفعول ،  
وهما للفاعل . وبضبط « تبدله » فى البيت  
الثانى للمفعول وهو للفاعل . وبضبط  
« ما تبدلها » للفاعل ، وهو للمفعول ؛ إذ  
كان الشاعر فى الأسر . فهو يقول إن من  
كانوا يسيطرون عليهم لا يبدلونهم ثيابهم  
الصوف . و « فى صخرة » لعله يريد بالصخرة  
قلعة . ولا يبعد أن تكون « فى حجرة » .  
وفى ( ص ٣٣٤ س ٥ ) :

لا يقبل الله قبل فرضك ذا

نافلة عنده تنفلها

بضبط « تنفلها » على أنه للمفعول ،  
وهو للفاعل .

فان يك بطء مرة

فلظالما تعجل نحوى بالجميل وأسرعاً



وفي ( ص ٣٤٠ س ٥ ) :  
وهيبتى فى طراد الخيل واقعة  
والناس فوضى ومال الحى إهمال  
بكسر الهمزة من « أهمال » ، والصواب  
الفتح ، جمع همل ( بالتحريك ) وهو المال  
المتروك سدى .

وفي ( ص ٣٤٦ س ٢ ) :  
أيد لهم عند كل خطب

يثنى بها الفادح الجسم  
بكسر النون ، والصواب فتحها ؛ إذ  
الفعل للمفعول .

وفي ( ص ٣٤٧ ) :

بنى على دعوا مقاتلكم  
لا ينقص الدر وضع من وضعه  
ضبط « ينقص » بضم الياء وكسر  
القاف ؛ والصواب فتح الياء وضم القاف .

وفي ( ص ٣٦٥ س ٣ ) :  
خطبت بجد السيف حتى زوجت  
كرها وكان صداقها للمقسم

ضبط « المقسم » بضم الميم وكسر السين ،  
والصواب فتحهما ، فهو مصدر ميمي .  
يريد أن صداقها كان لقسمة السبي .  
وفي ( ص ٣٨٤ س ٥ ) :

نفى النوم عن عيني خيال مسلم  
تاوب من أسماء والركب نوم  
بنصب « الدهر » على أنه ظرف للدلالة  
على الدوام . ولكن ! أليس رفع « الدهر »  
على أنه فاعل « رابنى » أولى ؟ والمعنى  
أنى جعلتك مفزعا لى من ريب الدهر .  
إذ المعروف أنه يقال ريب المنية ، وريب  
الزمان ، وريب الدهر ، وهى خطوبه .  
فاسناد الريب إلى الدهر معناه الخطب  
الذى يلم . أو على الأقل كان يحسن أن يضع

من ذلك فى ( ص ٢٤٨ س ٥ ) :  
فقولاً له من أصدق القول أننى  
جعلتك مما رابنى الدهر مفزعا  
بفتح « الدهر » على أنه ظرف للدلالة  
على الدوام . ولكن ! أليس رفع « الدهر »  
على أنه فاعل « رابنى » أولى ؟ والمعنى  
أنى جعلتك مفزعا لى من ريب الدهر .  
إذ المعروف أنه يقال ريب المنية ، وريب  
الزمان ، وريب الدهر ، وهى خطوبه .  
فاسناد الريب إلى الدهر معناه الخطب  
الذى يلم . أو على الأقل كان يحسن أن يضع



بعد ذلك ملاحظات في ثنايا التعليقات ،  
غاية في الدقة والسداد .

غير أنى أراه قد أهمل أشياء قليلة كان  
يحسن ألا يهملها . ذلك أنه قد يكون في  
بعض الأصول الضعيفة ما هو أصوب أو  
أوضح ، فكان عليه أن يثبت في صلب  
الديوان ، كما أخذ نفسه بذلك في سائر  
الديوان .

فمن ذلك في ( ص ٣٣٥ س ٦ ) :

تركناها ولم يتركنا إلا

لأبناء العمومة والحوالي

يذكر أبو فراس نساء خصومهم بنى  
كلاب اللاتى وقعن سببها في أيديهم .  
أليست الرواية التي في النسخ الأخرى  
أصوب وأوضح ، وهى :

تركنا لنا ولم يتركنا إلا

لأبناء العمومة والموالي

وبعده :

فلم ينهضن عن تلك الحشايا

ولم يبرزن من تلك الحجال

يذكر أبو فراس إكرامهم مشواهن ،  
ورعايتهم لحرمتهن .

ويبدو أن ترتيب أبيات هذه القصيدة  
مضطرب ، فانه ليس أمام البيتين ما يمهّد  
لهما ؛ أو لعل في القصيدة حذفاً .

وفي ( ص ٣٥٧ س ١٢ ) :

ومن يقاتل من تلقى القتال به

وليس يفضل عنك الخيل والبهم

فان الشطر الثانى غير واضح . ولكن  
في بعض الأصول الأخرى رواية أخرى لعلها  
تكون واضحة بعض الشيء وهى :

وليس تقرب منك الخيل والبهم

على « الدهر » فتحة وضمة ليشير بذلك  
إلى الاحتمالين .

وفي ( ص ٣٦٣ س ٩ و ١٠ ) :

وهل عذر وسيف الدين ركنى  
إذا لم أركب الخطط العظاما  
وأتبع فعله في كل أمر  
وأجعل فضله أبداً إماما

برفع « أتبع » و « أجعل » على الاستئناف  
وقد يقال إن له معنى .

ولكن ! أليس الأولى سكونهما بالعطف  
على « إذا لم أركب » فيكون التقدير :

إذا لم أركب الخطط العظاما

وإذا لم أتبع فعله في كل أمر ، ولم أجعل  
فضله أبداً إماما .

وفي ( ص ٣٢٢ س ٥ ) :

لم أرو منه ولا شفيع

ت بطول خدمته غليلي

بضم همزة « أرو » ببناء الفعل للمفعول .  
والأولى فتحها من روى يروى ، مثل رضى  
يرضى ؛ إذ ليس ما يدعو إلى بناء الفعل  
للمفعول .

وأما التعليقات فهى عمل عظيم حقا ، قد  
قل نظيره فيما رأيت من الكتب العربية .  
فقد عارض حضرة الناشر الأصول بعضها  
على بعض عراضاً دقيقاً ؛ فلم يدع شيئاً  
جل أو دق ، ودل على معنى أو لم يدل ،  
في أى نسخة من الأصول ، إلا أثبتته ونبه  
عليه ؛ والتزم أن يثبت في صلب الديوان  
ما رآه الصواب ، وإن كان وارداً في  
المجموعات الضعيفة ؛ وترجم لكل ماورد  
من الأسماء ترجمة وإقية مع الإيجاز . وله



والواقع أن كليهما صحيح ؛ إذ يجوز قبلها آخره همزة وقبلها ياء أو واو ، أن تقلب الهمزة كالحرف الذي قبلها وتدغم فيه . ومن ذلك البرية ، وأصلها بريئة : فعيلة ، من برا الله الخلق — والدنية ، وأصلها دنيسة ، من الدناءة — و « كأنه كوكب دري » في قراءة كسر الدال ، وأصله دريء : فعيل ( بكسر الفاء وتشديد العين ) من درأ بمعنى دقع — ويقال في بكية ، من بكوت الناقة بكاء ، إذا قل لبها أو اقطع بكية . ومن ذلك قول أبي فراس :

وأخلاف أيام إذا ما انتجعتها  
حلبت بكيات وهن حوافل

وقد استدرك حضرة الناشر على هذا البيت فقال : « ( حلبت بكيات ) صوابها ( حلبت بليات ) باللام ، وهي النوق التي تعقل عند قبر صاحبها فلا تعلق ولا تسقى حتى تموت . »

وما في الأصل هو الصواب ، ولا سيما أن بعدها « وهن حوافل »

وقد استدرك حضرة الناشر على قول أبي فراس ( ص ٣٣ س ٦ ) :

بنفسي وإن لم أرض نفسي لراكب  
يسائل عني كما لاح راكب

فقال : « ( نفسي لراكب ) كما في نسخة الأم ؛ ولعل صوابها ( نفسي لراكب ) »

والواقع أن أبا فراس أراد أن يعيثر فأطال الاعتراض . ويجب أن يرقم البيت هكذا :

بنفسي — وإن لم أرض نفسي لراكب  
يسائل عني كما لاح — راكب

ويكون معنى البيت على هذه الرواية : من ذا يجرو من العقلاء على مقاتلتك وأنت تهابك الخيل والبهيم التي لا عقول لها ، فلا تقرب منك ؟ ! وهذا كلام قد يقوله أمثال أبي فراس .

ويلاحظ أن « البهم » ضبطت بضم الباء والهاء ؛ والصواب فتحهما . والبهيم ( بالتحريك ، ويفتح فسكون أيضا ) : صغار الضأن والمعز والبقر .

أما الترقيم فقد أسرف فيه حضرة الناشر إسرافا كاد يشوه هذه الطبعة الأنيقة ؛ إذ كان في عدة مواضع من الديوان في غير مواضعه . وحسبي أن أذكر مثالا واحداً . ففي ( ص ١٦ س ١٢ ) :

ألم تعلم ؟ ومثلك قال حقا :  
بأنى كنت أثقها شهابا !

هكذا رقم البيت . ويجب أن تكون علامة الاستفهام في آخر الجملة الاستفهامية ، وآخرها هنا آخر البيت . ولا معنى لوضع النقطتين بعد « قال حقا » . فإذا أريد ترقيم البيت ترقيما صحيحا كان هكذا :

ألم تعلم — ومثلك قال حقا —  
بأنى كنت أثقها شهابا ؟

وأما جدول التصويب والاستدراك فهو عمل جليل أيضا . على أن لي على بعض ما صوبه حضرة الناشر وبعض ما استدرك به ملاحظات . إذ يقول في أول الجدول : « ( يحسن حوله بعطف ) وصوابها ( يحسن حوله عطف ) من غير باء الجر » .

وكتب اللغة ، كلسان العرب ، تقول : أحسن بالشئ وأحسه : شعر به ، فتقدم التعدية بالباء .

ويقول حضرة الناشر : « ( لسان ملي ) صوابها ( لسان مليء ) بالهمزة . »



أى بنفسى راكب وان لم أرض نفسى .  
... الخ . ففاعل « لاح » ضمير يعود  
إلى « لراكب » .  
أما بعد فهذه هنات لا تغض من قدر  
هذه الطبعة الأنيقة ، ولا تقلل من قيمتها .  
والثناء .

عبد الرحيم محمود

STENDHAL  
PRÉSENTÉ PAR MAURICE BARDÈCHE  
BERNARD GUYON

موريس باردش يقدم ستندال\*

ها هو ذا كتاب عظيم . إنه خير ما أتيج  
لنا أن نقرأ في أعمال النقد الأدبي ، وأهمها  
وأكثرها فطنة . وهو يعادل في أهميته ،  
بل يفوق في عمق تحليلاته ، آثارا أدبية  
مثل كتاب تبوديه عن فلوير ، وكتاب  
كورتيس عن بلزاك ، وكتاب شارل  
دى بوس عن بنجامن كونستان ، وكتاب  
جاك مادول عن كلودل .  
هو كتاب في النقد الأدبي ، ولكنه يقوم  
على قرار مكين من المعلومات العميقة للنتائج  
التي بلغت الدراسات العديدة لحياة مؤلف  
«دير بارم» ولتاريخه الأدبي في الخمسين  
سنة الأخيرة . والأستاذ باردش على علم  
بخير النصوص . وهو يستخدم بمهارة  
الملاحظات المخطوطة ، والصيغ العديدة ،  
وكتابات ستندال التي لم تنشر إلا منذ قليل ،  
فهو عليم بالأدب النقدي الضخم الذي

كتب في هذا الصدد . وهو ينقد ما قيل  
عن منابع هذا الروائي وعن أتماطه ،  
ويستخدمها استخدام العارف بها . ويضع  
صروف حياة ستندال في مكانها ، ويزن بدقة  
أثرها في عمله الأدبي . أى إن هذا  
الجامعي الممتاز الذي برز برسائله الرائعة  
عن بلزاك الروائي (٢) (وقد قدمها  
للدكتوراه منذ سبع سنوات) قد أثبت ثانية  
أن لا شئ يخفى عليه في المناهج العلمية  
وفي الوسائل الحديثة للتاريخ الأدبي .  
يبدو أن هذا قليل بالقياس إلى مزاياه  
الأخرى ؛ إذ أن له في نظرنا ما يفوق ذلك  
أهمية . وأول تلك المزايا هو اختيار بجانب  
من جوانب الجمال لدى المؤلف . ولننظر  
إلى عنوان الكتاب : «ستندال الروائي» .  
فقد درس المؤلف (بفتح اللام) لا المؤلف  
كما يحدث غالبا ، أو بعبارة أدق لم يدرس

\* هذا المقال كتب خاصة لمجلة «الكاتب المصرى»

Maurice Bardèche, *Stendhal romancier*, aux éditions de la Table Ronde, (١)  
Paris, 1947.

Balzac romancier, Plon, 1940. (٢)



إليها حين قام بتحقيقه الطويل عن تكون الصنعة الفنية لدى بلزاك ، خير استخدام ؛ ولهذا تراه طيلة كتابه يقوم بمقارنات مستمرة بين الروائيين العظميين وهي مقارنات غنية لم يسبقه إليها سابق . وسنعود إليها . بيد أن ثقافة باردش لا تقتصر على الناحية الأدبية . فلكي يتكلم الكاتب عن ستندال كلاما قيما ، يجب أن يتذوق الموسيقى والتصوير ، كما فعل ستندال نفسه ، كما تجدر به أيضا دراسة تطور الفن السينمائي . ولا يخفى علينا باردش أنه كتب كتابا في تاريخ السينما ، وكان عند ظهوره يعد عملا جديدا كل الجدة . وهو يشير في كتابه إلى التقارب بين الفن الروائي عند ستندال وبين الفن السينمائي .

والأسلوب أيضا من المزايا الرائعة لهذا الكتاب . ولا يكفى القول أنه صحيح أنيق . فهو ملء بالرشاقة التي تميز الآثار الأدبية الناجحة . ويبدو لي أن خير ثناء عليه هو القول بأنه ينسجم انسجاما موقفا مع أسلوب المؤلف الذي يتكلم عنه . والكتابة تسير أحيانا بقوة ودقة ووضوح وتسحر أحيانا بما فيها من تردد رشيق كما يبدو ذلك في الصفحات الأولى . وترتفع النغمة أحيانا فتشور فيها عاطفة لا تخمد وتبدو الجملة حارة كثيفة . وأحيانا يبدو المؤلف وقد أخذه حب الكتاب الذي يتكلم عنه ، فيرتفع إلى القمم المبهمة في الشعر ، وتلك هي الأجزاء التي أفضلها . وذلك الحب الذي ذكرته منذ قليل ، هو أهم مزايا باردش . وهو ليس حبا أعمى ، فمن بين الصفحات التي أحب أن أذكرها ، صفحات طويلة درست فيها بدقة كبيرة مقطعات ستندال ، أخفاقه في *Armanse* وفي *Lamiel* . هو على العكس حب مستنير . وبعض الصفحات من

المؤلف إلا بمقدار ما يلزم لدراسة المؤلف . وأول ما أهتم به باردش مسائل الفن والصنعة عند ستندال . ولن نستطيع أن نفهم ما يستحق من ثناء لما قام به في هذا الصدد . ذلك لأن هذه الجوانب هي أندر ما نلقاه في المؤلفات السائرة ، وربما كان ذلك لمشتقتها . ولكنها في الواقع أهم الجوانب بل هي وحدها الجديرة بالدراسة . ومن الحق أن نعترف بأن الأستاذ باردش لم يكن مجددا التجديد كله في هذه الناحية ، فقبل كتابه ظهر كتاب غنى لجان پرفو هو رسالة دكتوراه قدمت عام ١٩٤٢ وعنوانه : « الخلق الفني لدى ستندال » . ومن المؤسف ألا يشي الأستاذ باردش على سلفه الثناء الكافي ، فهو لم يذكره إلا عرضا في أحد الهوامش مع أنه قد أخرج إلى النور بعض الصفات الأساسية لفن ستندال . ولكن لنسرع بالقول : إن الكتائين مختلفان شيئا ما . فلدی الأستاذ باردش اهتمام أكثر بالأسلوب والانشاء وإحساس أقوى بشاعرية ستندال . وكتاب ج پرفو يبدو أحيانا كأنه مجموعة من البطاقات ، وضع بعضها بجوار بعض . ولهذا كانت تلك الطريقة تصويرية أكثر من اللازم ، ولكنه من ناحية أخرى غنى بالتجربة الشخصية التي قام بها المؤلف حين حل لنفسه مسائل الخلق الأدبي . والكتابان ، على العموم ، يكمل كلاهما الآخر في انسجام تام ، وهما لمن يقرأ ستندال بعناية لا يعتبران مرجعا دراسيا بقدر ما يعدان حافزا مشيرا ودليلا ماهرا يساعد على تفسير أثر أدبي تزدد أهميته كلما ازداد المرء دراسة له . ومزية أخرى للأستاذ باردش ، تلك هي ثقافته الواسعة : ثقافة أدبية أولا ، ثم فهم للآداب الروائي في أوائل القرن التاسع عشر كانيا . وهو يستخدم النتائج ، التي وصل



« ربما لم يكن هناك من هو أقوى خيالا من ستندال سوى دون كيشوت » (ص ٦٩) . وسأعود ثانية إلى نقد ما يعده الأستاذ باردش كشفا أساسيا : وهو أثر الأزمة السياسية الفرنسية فيما بين ١٨١٤ ، ١٨١٦ في القصة عند ستندال . ولكن على وفاق معه في الدور الذي لعبه اكتشافه لاياليا وفي أثر التسامح والتأليف الشعري اللذين أتى بهما « المثل الأعلى الايطالى » لستندال حين كتب في الهجاء السياسى . وأنا أيضا على وفاق تام معه في الأهمية العظمى التي يعلقها على مأساة حب ستندال لماتيلد ديموفسكى ؛ فقد كان من أثرها أن انطبع في نفس ستندال مثل أعلى للحب الذي ينطوى بالضرورة على الألم الذى لا بد منه للسعادة الحقيقية .

أما من الناحية الفنية الصرفة فما أكثر ما يجدر بنا ذكره ! لنقرأ الصفحات من ١٧٠ - ١٧٣ وهي التي رصدها لدراسة أقصوصة عنوانها « الشراب السحري » *Le Philtre* وهي أقصوصة نقل فيها ستندال أقصوصة لسكارون Scarron ولكنه وضعها في بيئة القرن التاسع عشر . هذه الصفحات توضح إيضاحا تاما الخلق الفنى الرائع في قصة « دير بارم » . وفي صفحات أخرى ( ١٨٤ وما يليها ) ، وهي التي خصصها الناقد لدراسة العلاقة بين الحقيقة والخيال ( فيما يختص بجوليا رينيرى Giulia Rinieri ، فانينا فانيني Vannina Vannini ، الأحمر *Le Rouge* ) نرى النظر الثاقب الحصيف . وإنى لأعجب أيضا بتحليله للتأليف الهزلى في قصة دير بارم ، وهو تحليل يوضحه إيضاحا موفقا بمقارنة عقدها بين هذه القصة وقصة *le Soulier de Satin* . وهناك صفحات أخرى أعدها غاية في الأهمية هي تلك التي يعرض فيها باردش من ناحية ، إلى قلة

الجوانب الشعرية في « دير بارم » لا يمكن أن يكتبها إلا من يحب ستندال وأثارة الأدبية بحيث يستطيع أن يغوص إلى أعماق أعماقها .

فلا يأخذنا العجب إذن إن وجدنا في هذا الكتاب عديدا من الآراء الصائبة والجديدة عن ستندال رغم محيئه بعد كثير من المؤلفات عن هذا الكاتب ، ورغم أن بعضها رائع في تأليفه . ولن أستطيع أن أسرد بالتفصيل هذه الآراء . ولكنى أود أن أذكر من بينها ما يبدو لى مهما .

لم يبلغ ستندال مجده الأدبى إلا متأخرا ، شأنه في ذلك شأن بلزك . كان في حوالى الخمسين من عمره حين كتب « الأحمر والأسود » . وقبل ذلك كان يتلمس طريقه في سبل مختلفة . وقد جعل الأستاذ باردش لكتابات ستندال المسرحية - حين كان شابا يطمح أن يصبح أكبر شاعر هزلى في عصره - أهمية تستحقها . وقد استمر ستندال في ذلك النوع من الكتابة وقتا طويلا وانتهى إلى إخفاق تام . ويقوم الناقد بتحليل المناهج الأصلية الثائرة ، في وقتها ، وهي مناهج علمية خالصة سلكها مؤلف « لتلييه » *Letellier* ليصل إلى الخلق الأدبى . والناقد يحدد في دقة الأثر الفنى لنظريات المثاليين في أعمال ستندال الأولى . وهو يوضح خاصة ، بتحليله الدقيق ، كيف أن هذه الطريقة المؤدية إلى تفاصيل عاتقة لا تجوز في الفن المسرحى قد أدت بستندال إلى سلوك سبيل القصة . وهو يسط لنا أيضا كيف أن هذه الطريقة العلمية التي كانت قديمة بأن تجعله واقعا إلى أقصى حد ، قد قاومتها طبيعة ستندال الشاب ، وهي طبيعة خيالية حاملة عاطفية . وهو يلتقى إلينا بهذه العبارة التي أعدها صحيحة تماما :



عناية ستندال بالأثر المسرحي ( فهو يسرد قصة حياة ولا يسرد قصة الأزمة النفسية ، أى إنه يقدم لنا مذكرات ولا يعرض علينا درامة ) ، ومن ناحية أخرى إلى محاولاته الدائمة للتعبير عن مشاعر أبطاله بعرض كلامهم وأفعالهم فحسب ، فالقاص يرفض أى نوع من الايضاح أو التعليق . وهناك أخيرا الصفحات التى تكلم فيها عن «لوسيان ليفين» Lucien Leuwen فعرض تحليلا صادقا لقصور ستندال بالقياس إلى بلزاك المصور للامح الشعب أو المؤرخ لأحداثه . وليس ذلك فحسب لأن العاطفة القوية أو التحيز أو الأحكام السابقة تشوه نظرتة وتعمره الاتصال الحقيقى بشخصيات لا يستطيع لها حبا ، وتعوقه عن بلوغ ذلك الاشراق الذى بلغه مؤلف : الملهاة الانسانية ، *la Comédie Humaine* ، وإنما يرجع ذلك القصور إلى أن المؤلف لا يهتم « إلا بقصة القلب الانسانى » ، أو بعبارة أدق لا يهتم إلا بقصة بعض القلوب الكبيرة ، بعض الأبطال ، وبالاختصار يرجع إلى أنه قبل كل شئ : أخلاقى وشاعر .

ولكن هذا الكتاب الجميل لا يسلم من المآخذ التى لا بد لى من ذكرها . وسأستعرض سريعا بعض النقص فى المعلومات ، فالعلم التام لا وجود له . وقد ذكر خير النقاد تخصصها فى ستندال بعض الأخطاء أو النقص الذى وقع فيه باردش ولن أضيف شيئا إلى مأخذه ، وهى فى مجموعها طفيفة (١) . ولكن أحب رغم ذلك أن أشير إلى قصصين أعدهما خطيرين :

أولها يتعلق بقراءات ستندال ؛ فقد درس الأستاذ باردش ، فى رسالته عن بلزاك ، النصوص الأدبية ، التى ساعدت على التكوين العقلى أو التكوين الفنى لمؤلف الملهاة الانسانية ؛ فهو إذن خير من يعرف أهمية ذلك الأثر فى حياة الكتاب . وإنه ليزكر بعض أساتذة ستندال الروحيين مثل : كورنى ، وأريوست وتوم چونز . ولكنه يسمر بهم مرورا سريعا سطوحيا ولا يذكرهم بطريقة منظمة ، وهكذا لا يستطيع أن يضع بعض الحقائق وضعا مضبوطا . وأنا لا أدرى أيضا لم أهمل باردش دراسة سنوات طفولة ستندال وشبابه ، ولم مر بها مر الكرام فى الصفحتين الأوليين من كتابه ؟ لو أنه وضعها فى المكان اللائق بها لاستطاع أن يقلل من أثر الأزمة السياسية لسنة ١٨١٥ . وإنى أعتقد أن رد الفعل السياسى والاجتماعى والدينى لدى ستندال لا يعود إلى بغضه للرجعية فى عام ١٨١٥ وإلى الاستبداد الأبيض *La terreur blanche* بقدر ما يرجع إلى كرهه فى طفولته لبعض الشخصيات المحيطة به فى أسرته وفى مجتمعه . وعداؤه لرجال الكنيسة يفسره قبل كل شئ ما عرض له من إهانات لا تنسى ، وما أصاب قلبه فى طفولته من جروح لا تشفى . وعلى العموم لا بد لفهم موقف ستندال أمام عصره من الالتجاء إلى تفسيرات أشد عمقا من ذلك ، وهى تفسيرات شبه عضوية . فقد كان لديه نوع من عدم القدرة الوراثية مما ألجأه إلى الهجاء وإلى الحلم معا . وقد سبق لأرمان هوج (٢)

ولكن هذا الكتاب الجميل لا يسلم من المآخذ التى لا بد لى من ذكرها . وسأستعرض سريعا بعض النقص فى المعلومات ، فالعلم التام لا وجود له . وقد ذكر خير النقاد تخصصها فى ستندال بعض الأخطاء أو النقص الذى وقع فيه باردش ولن أضيف شيئا إلى مأخذه ، وهى فى مجموعها طفيفة (١) . ولكن أحب رغم ذلك أن أشير إلى قصصين أعدهما خطيرين :

ولكن هذا الكتاب الجميل لا يسلم من المآخذ التى لا بد لى من ذكرها . وسأستعرض سريعا بعض النقص فى المعلومات ، فالعلم التام لا وجود له . وقد ذكر خير النقاد تخصصها فى ستندال بعض الأخطاء أو النقص الذى وقع فيه باردش ولن أضيف شيئا إلى مأخذه ، وهى فى مجموعها طفيفة (١) . ولكن أحب رغم ذلك أن أشير إلى قصصين أعدهما خطيرين :

(١) Henri Martineau dans *Le Divan* : Juillet-Septembre 1947.

(٢) A. Hoog, *Littérature en Silésie Deux études de Compensation Machiavel* et Stendhal, Paris 1941.



السبيل الممهدة له ، وزايله في الأغلب  
الأعم القصد والاعتدال مما قاده إلى أخطاء  
خطيرة .

وأولها — وأقلها أهمية — هي مبالغته في  
الدور الذي لعبته السياسة في قصص  
ستندال . ومن هذه الناحية ، يخيل إلى أن  
بدء الفصل الأول عن دير بارم خاطيء أو  
على الأقل مبالغ فيه إلى أقصى حد . كما أننا  
يصعب علينا فهم الدافع إلى وضع كتابة  
فصول « بوناپرت والبوربون » « والملكية  
وفقاً للدستور » في كتاب رصد لدراسة  
ستندال الروائي . هذه الأشياء تخفى ملامح  
الكتاب الحقيقية وتزييف مظهره .

والخطأ الثاني : هو الأهمية الزائدة التي  
يعلنها باردش على حوادث ١٨١٤-١٨١٦  
وقد سبق أن قلت إن هناك تفسيرات  
أخرى أعمق وأقدم وأشد اتصالاً بواقع  
الحياة كان يمكن أن يفهم على ضوءها موقف  
ستندال من عصره . وإني لأود أن أضيف  
لها شيئاً من المبررة ، والاشمئزاز الذي  
يستشعره رجل أخفق في حياته . وإني  
مضطرب أخيراً أن أذكر أن هـ . بيل  
(ستندال) وقف منذ صدر شبابه ، في مؤلفه  
*Letellier* من نظام سياسي — سابق للملكية  
بعشر سنوات — موقفاً يشبه تماماً الموقف  
الذي سيقفه في كتابه « الأحمر » *Le Rouge* ،  
وأن أذكر من ناحية أخرى أن النظام  
السياسي والجماعي الذي عرض لنقده في  
*Lucien Leuwen* لم تعد له علاقة ما  
بالنظام الذي كان قد عاد إلى فرنسا في  
السنوات التي تلت عودة البوربون .

ولكن هناك ما هو أخطر من هذا . فما  
تكاد العاطفة السياسية تبدو حتى نرى  
الأستاذ باردش — وهو الملىء بحكمة المتشبع

أن أبان بجلاء ، في دراسة عميقة له للأدب  
في سبيليزيا ، هذه الحقائق الغامضة .

ولكن أخطر نقد يثيره كتاب باردش  
هو إدخاله لأمر سياسية راهنة في النقد  
الأدبي للماضي .

ونحن نعرف من هو موريس باردش .  
فقد تخرج في نفس الدفعة التي تخرج فيها  
روبير برازيك من النورمال *Ecole Normale*  
ولم يكن صديقه فحسب وإنما تزوج من  
أخته ، وعاش أكثر سني شبابه العاطفية  
في رفقة من أصبح المحرك الأساسي لـ *Je suis partout*  
قبل الحرب وخلالها . وقضى  
عليه بعد الحرب وحوكا . وقضى  
على روبر برازيك بالاعدام وقتل رمياً  
بالرصاصة . وأطلق سراح باردش إذ ثبت  
أنه برىء من أى عمل عدائى لوطنه ، ولكنه  
اضطر لترك الجامعة . ومعذرة لذكر هذه  
التفاصيل ؛ إذ أن من المهم معرفتها لفهم  
المشاعر التي يمكن أن تؤثر فيمن هزم  
وضحي به « رد الفعل » الذي قام على  
أنقاضه وأنقاض أعز أصدقائه في فرنسا  
خلال السنتين الماضيتين . كما أنه قد أبان  
عن هذه المشاعر حديثاً في خطابه إلى  
فرانسوا مورياك (١) ولن أتكلم عنه هنا  
لأنى لا أود أن يكون مقالى في النقد معرضاً  
للمناقشة السياسية .

وأريد فقط أن أقول إنه لم يستطع أن  
يكتف تلك المشاعر في دراسته النقدية . وفي  
الحق كان الاغراء قويا . وكان لا بد من  
المقارنات بين موقف ستندال أو موقف أغلب  
أبطاله وبين موقف الناقد ، ولم تكن تلك  
المقارنات في الأصل مصطنعة . ولكن  
الأستاذ باردش ترك مع الأسف — عواطفه  
العنيفة تفعل فعلها ، فأدت به إلى أن يسلك



ستندال في سبيل هذه الصورة كل ما يعرفه  
كانسان ويصور من يقتلون الناس في دورهم  
ومن يقيمون المحاكم العسكرية ارتجالاً في  
صورة من يلتزمون للمضطهدين . « هو  
يقبل الخيال ، ربما كان ذلك لأن الخيال  
السياسي في هذه الناحية وفي هذه الناحية  
وحدها ، أعز عليه من الحقيقة . » ص ٣٤ .  
وكل هذه التأكيدات التي لا دليل عليها  
والتي أملتها العاطفة ، تشوه جمال هذا  
الكتاب الرائع . ولكنها لا تصيبه في  
الصميم . ويمكننا أن نغفرها له عن طيب  
خاطر . ولكني أظن أن التفسيرات الخاطئة ،  
التي أملتها عليه تلك العاطفة فادت به  
إلى ارتكاب أخطاء عن آثار ستندال الأدبية ،  
ليست مما يغفر له . فالأستاذ باردش يسخر  
من الصورة التي رسمها لنا ستندال في تلك  
الصفحات الرائعة عن تعاون أهل ميلان  
مع جيش الاحتلال الفرنسي ، ويسخر  
بذلك الشك الذي يلقيه ستندال على  
الوطنيين المحتمين في الجبال ، المركيز دل  
دنجو وابنه . فهل يمكن أن يرتكب باردش  
مثل هذه الأخطاء فيما يتعلق بمشاعر ستندال  
الحقيقية ؟ أليس من الواضح أن هذا الأخير  
كان يعتبر الجيش الفرنسي جيش إنقاذ ؟  
وأنه كان يعد أهل ميلان الذين استقبلوه  
بحماسة ووطنيين حقيقيين ، وأن أولئك  
الذين احتموا بالجبال واتصلوا سرّاً بالنمسا  
خونة صريحين ؟ وهكذا يزيّف الحقيقة  
تزييفاً مزدوجاً : الحقيقة التاريخية أولاً ،  
ذلك لأنه يبدو أن الشعور الإيطالي كان  
حقاً كما وصفه ستندال ( وذلك أمر قد يقبل  
الناقشة ) ، والحقيقة الأدبية في كتابة  
ستندال . ( وهذا أمر لا جدال فيه ) .

وقد رأيت لزماً على أن أبن تلك  
الأخطاء لدى الأستاذ باردش ؛ وليس ذلك

العقلية النقدية طيلة كتابه — مسوقاً إلى  
تأكيدات لا أساس لها ولا دليل عليها .  
فهو يكتب — دون تردد — في آخر تحليله  
لصورة فرنسا السياسية كما وردت في  
*Le Rouge* : « صورة صورها لفرنسا رجل  
حزبي ، ولكن ما فيها من حق ، نستطيع  
اليوم ملاحظته ، لا يقل بياناً عن الحق  
الذي نلقاه لدى الشخصيات » ص ١٨٨ .  
وهكذا ينسى باردش القاعدة الأولى للحقيقة  
التاريخية التي تقتضي بعدم الحكم على الماضي  
قياساً على الحاضر . ولا ينسى ذلك لحسب ،  
ولمّا يرى ، بنظرته الحزبية إلى حقيقة  
اليوم ، أن يجعلنا نصدق نظرة حزبية إلى  
حقيقة الأسس ! وقد استخدم نفس الوسيلة  
حين عرض لكتاب *Lucien Leuwen* ، فهو  
يقول : « كل هذا الكلام عن انتخاب كان  
Caen إنما هو وثيقة ضخمة عن الأحوال  
السياسية عام ١٩٣٥ . كل شيء فيها  
صحيح ... » وإننا لنأمل بعد ذلك أن  
نرى أدلة تاريخية لمثل هذا التأكيد .  
ولكننا مع الأسف — لا نصادف شيئاً من هذا ،  
ولمّا نقلى هذا لحسب — وهو قول  
لا أحسب أي مؤرخ جاد يرضى عنه — :  
« كل ذلك يتضمن نظرة جديدة بادية  
الصدق لحال الأقاليم ، وستبقى إحدى الوثائق  
الهامة عن سير نظام يوليه ، إنها صورة  
صادقة لطهى الانتخابات ، بقيت إلى أيامنا  
بادية الصدق والصواب بعد مائة عام ،  
رغم التحولات التي طرأت على نظمنا . »  
ص ٢٥٩ .

ولكن نظراته تختلف حين يحلل  
*l'Abbesse de Castro* . ففي هذه المرة  
يصور لنا ستندال صورة مليئة حماساً للماكي  
( المقاومة السرية ) . ومن هذه المرة  
لا يرى باردش شيئاً من الصواب في تلك  
الصورة وإنما هي خيال صرف ! « ينسى



إلا بدافع الأمانة الفكرية ، ورغبة في أن  
أضع نفسي مكانه ، لكيلا يبدو أني أتجنب  
مناقشة أمر علق هو عليه بوضوح أهمية  
كبرى . ولكني أرجو ألا ينقص هذا  
النقد الطويل الذي انسقت فيه المديح  
الذي وجهته إليه في بدء هذا المقال .  
والخطأ في الواقع أقل مما كان يريده المؤلف  
نفسه . وفي الكتاب بعد ذلك حقائق  
جديدة نفاذة ، حتى لنستطيع أن نؤيد عن  
طيب خاطر الحكم الذي أصدر عليه إميل  
هنريو (١) « إنه كتاب يجدد تفسير  
الكاتب العظيم تجديدا تاما . وهو لو  
وزن في مجموعته لبدا لي تحفة أدبية في النقد  
وفي تاريخ الأدب » .

برنام هوبنر

نقلها عن الفرنسية محمد كامل فوده

( ١ ) Dans Le Monde



# من وراء البحار

## بولونيا وحكومتها الحاضرة

بعبء المسؤولية للأمال التي عقدها عليه مواطنوه ، ولكنه كان أيضا يتحمل هذا العبء بسرور يساعده في ذلك شعوره بثقة مواطنيه به . ولقد كان يعرف وقتئذ دخائل الأسور إذ رأى أنصاره يقبض عليهم أثناء الانتخاب ، ويعرف معنى الحرية كما يفهمها الشيوعيون ، ومع ذلك كان كبير الاعتقاد بسياسته ، ويرى في وجوده ببلاده ضمانا للمعارضة السلمية النزيهة .

ولكنه في هذه المرة عندما رآته الكاتبة في لندن ، حين فر من بولونيا تاركا كل شيء غير الملابس التي كان يرتديها ، كان قد عراه تغير كبير ، فبدت الغضون في وجهه ، وكان يتكلم في حذر ويزن كل كلمة وقد زایلته الثقة وحل محلها نوع من الحيرة ، شأن من يرى أماله قد انهارت .

وقد شرح للكاتبة تسلط الشيوعيين على الحكومة فقال : إن أهم الوزارات في يد الشيوعيين ؛ فالشرطة والجيش والاقتصاد والتربية في أيديهم ، ورئيس الوزارة اشتراكي ، ولكن هنالك شخصا تابعا له بالاسم ، وهو مدير المناطق الغربية التي ضمت إلى بولونيا ، وهو أقوى منه فعلا وهو شيوعي . ووزير العدل اشتراكي كذلك ، ولكن المحاكم التابعة له لا تنظر في غير الجرائم العادية ، أما أية تهمة سياسية فتحول إلى المحاكم العسكرية . ففي كل وزارة لا يكون وزيرها شيوعيا لا بد أن يكون الوكيل شيوعيا . والخبراء ليسوا من الشيوعيين ولكنهم يقعون تحت رقابة الشيوعية . وكل

يعلم المتبعون للتغيرات السياسية في أوروبا أن الحكومة البولونية الآن هي من أتباع السياسة الروسية ، ويعلمون كذلك أن هنالك حكومة بولونية ظلت قائمة في منفاهها بلندن طوال مدة الحرب . وكان الحلفاء يعترفون بها ، وظلت انجلترا تؤيد هذه الحكومة إلى أن أرغمت في مؤتمر يلتا على أن تعدل عن الاعتراف بها وتسحب منها تأييدها . ولقد أراد رئيس الوزارة البولونية في لندن بعد موت الجنرال سيكورسك ، وهو مسيو ستانسلاف ميكلولاجك ، أن يوفق بين الحكومتين ويمنع الشقاق ، فذهب إلى موسكو في مايو سنة ١٩٤٥ ، واشترك في الحكومة البولونية المؤقتة التي كانت تتبع سياسة روسيا ؛ ولكنه بعد أن أمضى سنتين في بلاده عاد ففر منها إلى لندن في نوفمبر الماضي .

وقد كتبت السيدة فريدة بروس لوكهارت ، وهي محررة في مجلة « تايم اندتايد » ، ومختصة بالأمور الاسكندنافية والبولونية ، فصلا في « مجلة القرن التاسع عشر » (عدد يناير) تكلمت فيه عن مقابلة لها مع مسيو ميكلولاجك . وفي هذه المقابلة اطلعت منه على أمور كثيرة عن الأحوال في بولونيا .

وقد ذكرت الكاتبة أنها رآته من قبل في خريف سنة ١٩٤٦ بمدينة فرسوفيا . وكان لا يزال وزيرا في الحكومة التي فر منها الآن ، وهي تقول : إنه كان عندئذ يشعر



ويقول مسيو ميكولاجك إنه خشى أن يلجأ أنصاره إلى الانتقام وأن تراق الدماء، فرأى من الخير أن يقر من البلاد. وقد صحبه صديقان من أهم أنصاره مع زوجتيهما فوصلا معه إلى لندن وتابعوا السفر إلى الولايات المتحدة.

وأعرب الزعيم البولوني عن خيبة أمله في البريطانيين، وقال إنه لم يكن ينتظر أن يفعلوا شيئاً فيما يتعلق بالحكومة، ولكنه كان ينتظر ألا يهتم البريطانيون فيسرعوا بمباركة هذه الحكومة. فمن العجيب أن حكومة لندن أسرعت فدعت رجالاً من أمثال باركوفسكى وهو الرجل المسئول عن تزوير الاستفتاء ومشاجن وزير العدل.

وقال إن البولونيين يقارنون بين ماتبديه أمريكا في إزاعاتها من صراحة لمعارضة الشيوعية، وما تبديه بريطانيا في إزاعاتها من مجاملة ومداهنة للحكومة البولونية القائمة.

وهو يقول إنه لم يبق في بولونيا أى حزب يستطيع أن ينافس الشيوعيين في تسلطهم على البلاد، وإن السجون مليئة بأولئك الذين أيدوا المعارضة الشرعية للشيوعيين. وهو يرى أن البولونيين في يأس من مجرى الأمور، وأنهم ليسوا مسئولين عن الحالة التي وصلوا إليها، بل الدول التي فرطت في اتفاقات يلتصق بها هي المسئولة عنها.

قسم من أقسام الحكومة يكون من اختصاصه تعيين الموظفين لابد أن يكون رئيسه شيوعياً.

ومن الطبيعي أن الضمانات التي نص عليها في مؤتمر يلتنا ليست إلا حبراً على الورق. وذكر مسيو ميكولاجك أن الناس في بولونيا لا يتحاشون الحديث في الترام والأماكن العامة خشية العواقب مع أن الأمر في أيام الاحتلال الألماني نفسه كان يخالف هذه الحال كل المخالفة، وكان البولوني يستطيع أن يعبر عن رأيه علناً وفي صراحة تامة دون أن يخشى سوءاً، أما الآن فإن جواسيس الشيوعيين في كل مكان.

ومما أسف له مسيو ميكولاجك أشد الأسف هو تأثير التربية الشيوعية. ففي المدارس الثانوية وفي امتحان القبول إلى الجامعة لا ينتج الطالب إلا إذا تحقق مندوب اجتماعي من أنه يعتنق مبادئ الديمقراطية الشعبية الصحيحة.

وقد أخذ الشيوعيون يقوون مركزهم في البلاد في حين يعملون للقضاء على حزب الفلاحين البولوني الذي يرأسه ميكولاجك، فبدأت الصحف الموالية للشيوعيين تحمل عليه حملات شديدة، وقبض على زعماء الحزب ورجال صحافته، وكانت مكاتبه تفتش وتغلق، وكان الضغط يتوالى على الأعضاء كي يخرجوا من الحزب. وقد حدث لأحد موظفي الحزب أن دعى للتحقيق في ستة وعشرين يوماً من أيام الشهر.

### شكسبير واستكشافات عن حياته

للمجلة ( عرض لجهود مدام لوغجورث - شمبران في استجلاء الأسرار التي تدور حول شخصية شكسبير شاعر الانجليز

في مقال بقلم فلوريس دلاتر نشر في مجلة « اللغات الحديثة » وهي التي تصدر في فرنسا ( عدد ٦ من السنة الحادية والأربعين



ابن عم اللورد اسكسن صاحب الخطوة لدى الملكة اليزابث . وكان هذا اللورد الشاب محبا للمسرح ، وهو الذى أدخل شكسبير إلى القصر الملكى . وهكذا وجد شكسبير طريقه ممثلاً ومعدلاً للمسرحيات القديمة ، ثم واضعاً للمناظر ومديراً للمسرح . وأخيراً مؤلفاً مسرحياً ، وهى المهنة التى تركها عامداً وهو فى أوج نجاحه ليعود إلى بلده ، بعد أن جمع من المال ما يكفيه فى حياته .

وهكذا استطاعت المؤلفة بمباحثها الكبيرة أن ترسم صورة لذلك الرجل من بلدة ستراتفورد الذى ينتمى إلى أسرة كاثوليكية وكيف وجد معيناً فى اللورد ساوثمبتون الذى تربى تربية كاثوليكية وبذلك استطاع أن يزيد من ثقافته الرفيعة . وعند اللورد تعرف إلى جوفانى فلوريو وتلقن منه ما كان لدى الايطاليين وقتئذ من ثقافة عليا مع مرونة وخبرة ، وكيف اتصل بالسلادة من شباب الانجليز ، فأخذ يترك عاداته القروية ، وظهرت مواهبه العظيمة بوصفه شاعرا ليس له نظير . وقد جمعت مدام دى شمبران مئات من الاشارات إليه فى مكاتبات معاصريه ، وكلها تثبت صحة الصورة التى أرادت أن ترسمها له ، وتدل على أنه كان رجلاً محبوباً مقدراً من معاصريه وأن شعره حين وفاته فى سنة ١٦١٦ كان معروفاً ومشهوراً بين الناس ، وكانت الأمة الانجليزية تعده مفخرة لها .

ولم تكف مدام دى شمبران بذلك بل عمدت إلى رسم صورة سريعة وقوية ومدعومة بالوثائق للعصر الذى كان يعيش فيه الشاعر .

على أنها فى حماسها لاستجلاء حياة هذا الشاعر الكبير ، قد أهملت البحث فيما يتصل بنقد رواياته ، وهى الابحاث التى

العظيم . ومن المعروف أن مدام دى شمبران تعد من أكبر الباحثين فى أمر هذا الشاعر وقد وقفت حياتها ومالها على الامام بكل ما يزيدنا معرفة بذلك الرجل العظيم الذى أخرج تلك المسرحيات الخالدة ، وقد نشرت عدة كتب وبحوث فى هذا الموضوع ولا تزال توالى ابحاثها ، وكان من نتيجة هذا الدأب أن وفقت لعلومات كبيرة أضاعت تلك الحياة الغامضة .

وهى فى كتابها الأخير المسمى « العودة إلى استكشاف شكسبير » عمدت أولاً إلى تحقيق الوقائع القليلة التى كانت معروفة عن حياته ، ثم نقتب في محتويات المحفوظات العامة والخاصة ، فجمعت طائفة كبيرة من الوثائق من مكتبات القصور القديمة ودرستها ، كما جمعت مجموعة من المؤلفات النادرة والوثائق التى تلقى ضوءاً على القرن السادس عشر الذى عاش فيه هذا الشاعر . فهى الآن تمتلك نسخة من كتاب حويلات اغيلترا واسكتلندة وايرلندة جمعها ورتبها رفايل هولنشد ، وهذا الكتاب مطبوع فى سنة ١٥٨٥ . والأهم من ذلك انها تمتلك النسخة التى كانت لشكسبير نفسه وعليها ملاحظات بخطه كتبها بلاريب فى الزمن الذى كان ينظم فيه مسرحياته التاريخية مقتبساً موضوعاته من هذا الكتاب التاريخى المين .

وقد استطاعت مدام دى شمبران ، بعد أن تسلحت بهذه الوثائق الكثيرة ، من أن ترسم صورة واضحة لحياة الشاعر منذ شبابه فى بلدة ستراتفورد ثم انتقاله مرغماً إلى لندن ، ثم اتصاله بحياة تلك الفئة من الشبان التى تملؤها المطامع ولم توفق بعد للعمل ، وهى تجد لذتها فى حانات المدينة . ثم وصفت كيف تمكن من الاتصال بالهيئة الاجتماعية وصار صديقاً للورد أوف ساوثمبتون



وهي فضلا عن ذلك قد قضت قضاء مبرما على تلك الخرافة التي أخذ يرددوها أدباء الانجليز وبلجيكيون وفرنسيون مرة أخرى ؛ إذ يزعمون أن هذه المسرحيات العظيمة لا يمكن أن تكون لكاتب من عامة الشعب مثل شكسبير ، ويعزونها إلى عظيم من عطاء الكتاب من أمثال لورد بيكون وسير فيليب سدن وسير والتر رالي وغيرهم . فهي بقوة وثائقها وبكثرة هذه الوثائق لم تترك مجالا لهؤلاء الضاربين في عالم الخيالات والباحثين عن الجديد ولو كان غير الحقيقة .

قام بها كثير من الأدباء المختصين ، ومنهم بولارد وجريج ودوفر ولسن ، وهم الذين عمدوا إلى تحليل مؤلفات الشاعر وبحثها من الوجهة النفسية ، وهي إذا تكلمت عن هذه المؤلفات رجعت إلى الباحثين القدماء واعتمدت عليهم .

فهى إذا كانت في مجال النقد الأدبي لم تأت بجديد ، فقد أضافت في وصف حياة الشاعر إضافات كثيرة جلت حياة ذلك الرجل العظيم حتى تبددت أستار الأسرار التي كانت تحيط بهذه الحياة .

### الفوضى السياسية الأوربية

نعيش ونرى ثورة الماركسيين في سبيل الدفاع عن المبدأ الثاني . ومع ذلك — في رأى المجلة — فقد ثبت أن نظريات ماركس خاطئة ، ومن ميزات رجال الثورة الحداثيين أنهم يستعملون الألفاظ في غير مدلولها ، فيطلقون اسم الديمقراطية على العبودية للدولة ، ومن غريب أمر هؤلاء الرجال أنهم لا يشعرون بما في أقوالهم وأفعالهم من تناقض ، كالصيحة التي يصيح بها الاشتراكيون من الانجليز مطالبين باعتقال سير أوزويلد موزلى الذى يطالب بالفاشية مع أنهم يؤيدون في حماسة ذلك النوع الآخر من الفاشية الذى يعرف بالاشتراكية . والعجيب في الأمر أن كلا من الفاشيين والماركسيين يريدون العودة إلى نظام الاستعباد . فبعد أن ظل الناس يسرون عدة قرون نحو الحرية الشخصية ترى جماعتين كلتاهما دولية وقائمة في جميع الدول الأوربية تقريبا . وهاتان الجماعتان تطالبان بفرض الاستعباد مرة ثانية ، ولا يفتح أعينهم ما تحدثه الشيوعية في شرق أوروبا فتجد في فرنسا مئات من الفرنسيين يقاتلون في سبيل

عقدت مجلة « ناشنال ريفيو » ، وهي من أهم مجلات المحافظين الانجليز ، مقالا افتتاحيا في عدد يناير لمناسبة إخفاق مؤتمر لندن الذى عقد للاتفاق على معاهدة الصلح الألمانية . ومما جاء في هذا المقال قولها إن العالم في هذه الفترة من تاريخ حياته الطويلة يعيش في وقت يسد فيه أن عناصره تعود إلى الفوضى الأولى والظلام القديم الذى كان منشأ العالم . فلم يعد الناس يتبينون الليل من النهار ، أو يحسون ثبات الأرض تحت أقدامهم . فكل ما حولهم فوضى وعدم نظام وقد أدى عدم الاستقرار فيما حولهم إلى شل حركتهم . فالناس لا يعرفون مجرى الأمور . والعبارات التي ألفوا سماعها مثل القول بأن الناس ولدوا أحرارا وأنه يجب إلغاء الملكية والقوانين لكي يتمتع الناس بالسعادة ، هذه العبارات أصبحت لا معنى لها ومع ذلك فقد قامت ثورتان في سبيل الدفاع عن المبدأين اللذين تنطوى عليهما هاتان العبارتان ، فكانت الثورة الفرنسية الكبرى للدفاع عن المبدأ الأول وهما نحن أولاء



الأموال الألمانية في النمسا حتى أن يعرب عن رغباته مما جعل من المستحيل الاتفاق على معاهدة الصلح مع النمسا وفي المسائل الاقتصادية التي كان يجب تسويتها قبل الاتفاق على معاهدة الصلح الألمانية . أصر المندوب الروسي على خطة موسكو ، فطالب بتعويضات تبلغ عشرة آلاف مليون دولار . وعاد مولوتوف إلى ربط مسألة التعويضات بمسألة الوحدة الألمانية ، ولم يظهر أى ميل نحو فهم وجهة نظر الدول الغربية فيما يتعلق بالمسائل الكبرى التي تعرض في مؤتمر لندن .

وقضلا عن ذلك عمد مولوتوف ، كما فعل من قبل ، إلى طريقة الدبلوماسية السوفيتية بأن أخذ يكيل الاتهامات الكاذبة ويعلن البيانات المثيرة متهمًا الحلفاء الغربيين . وعلى ذلك لم يتم شئ نحو الوصول إلى معاهدة صلح عامة ، وصار من واجب الحلفاء الغربيين أن يتخذوا إجراءاتهم . وقد يذكر بهذه المناسبة أن الولايات المتحدة في الحرب العظمى الأولى لم توقع معاهدة فرساي التي اشترك في المفاوضة فيها الرئيس ولسون وتركت المولود تحمله إنجلترا وفرنسا وحدهما ، وليس من جديد تحت الشمس . ويجب ألا ينامرنا العجب إذا رأينا التحالف الحربى ينتهى عند بدء الصلح ، ولا إذا انقسمت ألمانيا قسمين ؛ فان ذلك ليس فيه على كل حال ما يسوء بقية أوروبا .

تنفيذ أغراض روسيا بالقضاء على حريتهم ، وهذا مثل من أمثلة الجنون الذى تبتلى به الجماهير أحيانا وإن كان ابتلاؤها به نادرا .

لقد انعقد مؤتمر لندن في ٢٥ نوفمبر وبدأ الخلاف بين أعضائه لأول وهلة ، وظهر في التوكيف تهب الرياح الباردة من الشرق . ولم تؤدِ الجلسات التي عقدها الوزراء إلى تدفئة الجو ؛ فقد أراد مسيو مولوتوف أن يبدأ بمناقشة الاجراءات لاعداد معاهدة الصلح الألمانية ، وأبدى الوزراء الآخرون أن الاجراءات تتوقف على الاتفاق أولا على الموضوع ، وأنهم على كل حال يريدون البدء بوضع المعاهدة النمساوية . وعندما ثبت مسيو مولوتوف على موقفه كما هى عادته تراجع الوزراء الآخرون — كما كان ينتظر الروس بلا شك — لكي يجتنبوا إخفاق المؤتمر منذ البداية . وحينئذ أخذ مولوتوف يلقي الخطب التي أعدها لأذان الألمان خاصة . وكانت نظريته تمثل الحكومة السوفيتية بأنها ملحة في إبرام الصلح سريعا وراغبة في تأليف حكومة ديمقراطية لألمانيا بأسرها ، وأنها بوجه عام تقاثل في خبايا اللصوص وحيدة من أجل إقامة سلم « ديمقراطى » . وكان من الطبيعى أن يكون الخلاف بين الوزراء كبيرا . وما قاله مولوتوف لتغطية أغراضه لم يخف من طبيعتها ؛ فقد رفض مولوتوف في المسألة الأولى ذات الأهمية وهى مسألة



# ظهر حديثاً

تربية سلام موسى للأستاذ سلامه موسى ( دار الكاتب المصرى )

لكتبه منذ سنوات طويلة ، هو كاتب فذ له صفاته الخاصة ، وله رسالته الخاصة التي يدعو اليها ، فهو قد سلك في آرائه مسلكاً كان منفرداً به عندما بدأ يظهر آراءه في كتبه، ولا يزال منفرداً به في كتبه الأخيرة . فما هو طابع سلامه موسى في آرائه ؟ طابعه في رأي ، وقد أكون مخطئاً ، أنه يسبق الفكر الشرقى إلى الآراء الأوروبية . فهو قد نادى في كتبه بآراء اجتماعية جديدة، حين كانت الأمة المصرية لا تلتفت ولا تهتم إلا للادب القديم ، وشئ من الأدب الحديث البعيد عن الإصلاحات الاجتماعية . وقد لفت الأنظار إلى التقدم الحديث في ميدان العلم ، في زمن كان فيه الناس في الشرق يتمتعون بميزات العلم ولكنهم لا يفكرون فيه ، ولا يخطر لهم أن يقرأوا عنه ، وأن يققوا على سر الغرائب التي كانت تغير من حياة العالم في أوروبا . وهو كاتب قد بحث في خلجات النفس وأسرارها ومكنوناتها ، وأظهر الناس على ذلك في كتبه في زمن كان الشرق لا يهتم بهذه الأبحاث ولا يفهمها . وهو كاتب قد فصل للناس القيم المادية في زمن كان الشرق فيه يركن إلى الخمول ، ويزعم أن هذا الخمول نزعة روحانية . فسلامه موسى إذن هو الكاتب الذي كان رائد الشرق في هذه الميادين ، وهو الذي وطأ للشرق هذه البحوث التي كان الغربيون يكتبون فيها ويتكلمون .

هذا الكتاب هو ترجمة حياة الكاتب المصرى والباحث الاجتماعى الأستاذ سلامه موسى بقلم نفسه . وترجمة الحياة التي يكتبها الكاتب لنفسه ، فن غير مألوف كثيراً بين الكتابات في الأدب العربى الحديث وإن كان الأدب العربى القديم يحتوى على درر قليلة منه . ولكنه فن مألوف وواسع الانتشار في الآداب الغربية ؛ فهو في بعض الأحيان يبلغ في يد الكاتب مبلغ القصص ، وفي بعض الأحيان يكون صورة للحياة الاجتماعية في عصره ، وفي بعض الأحيان يكون حديثاً معاداً يتلهم به القراء ، وهو في كل هذه الأحوال يكون عبرة وموعظة .

وهذا الكتاب الذى بين يدينا يجمع مزايا الأنواع جميعها : ففيه القصص ، وفيه صورة لحياة العصر الذى نشأ فيه الأديب ، وفيه من الحديث ما يتلهم به القارى . ولئن أراد الأستاذ سلامه موسى أن يقصره على تربيته ، كما قد يفهم من عنوانه ، فانه لم يوفق في حصر الموضوع ، ونستطيع أن نقول إنه لم يوفق في اختيار العنوان ؛ فان الكتاب أشمل وأكبر من أن يكون وصفاً لتربية الأستاذ سلامه موسى وحدها . وإذا كان الأستاذ سلامه موسى يجب أن يرى أن سيرته هي أولاً وآخرها تربيته ، فان القارى قد لا يرى ذلك بل سيرى ما هو أبعد وأعمق من ذلك في هذا الكتاب . فالأستاذ سلامه موسى ، كما يعلم المتابعون



بأبنائه ، ثم بعد ذلك أي بعد العائلة والمدارس ، نعيش نحو خمسين أو ستين سنة ونحن نتربى بالصحف التي نقرأ كل صباح ، وبالكتب التي نستشير بها . ثم بالعمل الذي نرتزق به . لأن هذا العمل ، بما فيه من حقوق وواجبات ، يكلفنا تكاليف مختلفة ، ويعملنا على الاختلاط والتعرف إلى الشخصيات البارزة التي كان لها أثر التوجيه الحسن أو السيئ في المجتمع . كما أن تتابع الحوادث وتغير الدنيا بالاختراعات الآلية أو الكيميائية ، ثم اختياراتنا ومحننا كل هذا له أثر التكوين والتربية . »

ولكننا في الحقيقة لانقره على هذا القول بأكله ، فنحن نرى فيه جزءاً من الصواب ، ولكننا لا نرى فيه كل الصواب . فانا لنجد الكثيرين من الناس يتلقون التربية التي تلقاها سلامه موسى ، ويقرأون الصحف والمجلات التي قرأها سلامه موسى ، ويمر عليهم الحوادث التي مرت عليه ، فلا يزيدهم ذلك خبرة ولا تيقظاً . فنحن إذ نقرأ هذا الكتاب نقرأه في لذة وتعجب كأننا نقرأ قصة . ذلك لأننا نقرأ قصة رجل فذ له عقل فذ يتحول بالأمور العادية عن سيرها ، ويحاول أن يستخلص منها الحقائق ، ويصل إلى أصول الأشياء ، ويسبق إلى ما فيه خير بلاده وخير الإنسانية . وليس العقل الذي يخضع للحوادث بقدر ما يجب سلامه موسى أن يفهمنا بهذا النوع من العقل الذي يرسمه سلامه موسى في كتابه . فنحن إذن أمام سيرة لكتاب سيقى له أثر كبير في الحياة الفكرية في الشرق ، وسيستفيد الشرق طويلاً من آرائه واتجاهاته .

وإذا أردنا أن نجد مأخذ في كتابات سلامه موسى ومجهوداته فذلك المأخذ هو تحمسه البالغ لراء الجديدة التي يريد أن يبشها . وكان من أثر هذا التحمس أن سلامه موسى كان دائماً وما يزال كاتباً كبير التأثير في الشباب ؛ لأن هذه الحماسة تجذب ما في نفوس الشباب من حماسة طبيعية . ولكن هذه الحماسة هي أيضاً من مزاياه ، لأن الحماسة عند الشباب قد تدفع للوقوع في الخطأ ، لكن حماسة سلامه موسى في كتاباته أيام شبابه كانت مقرونة بالدقة ، وفي أيام شيخوخته زادت دقتها . فالتأثير الذي يحدثه سلامه موسى في قرائه من الشباب تأثير كبير النفع ، قد يدفع الكثيرين من قرائه إلى طرق من الحياة والبحث لم يكونوا يفكرون فيها قبل قراءته . وقد عرفت أكثر من شاب باح لي بأنه ابتدأ اتجاهه الفكري بأحد كتب سلامه موسى ، فكتابته هذا أو ذاك هو الذي أثر في مجرى حياته .

والآن يريد الأستاذ سلامه موسى أن يطلعنا على سر هذه الحياة بأن يقص علينا قصته ، أو كما هو يريد أن يقول أن يقص علينا تربيته . وهو يستعمل كلمة التربية في معنى واسع ؛ فهو يقول في مقدمة كتابه هذا في لغته السهلة النيرة : « وحين يكتب أحدنا سيرته ، ويخلص بقدر ما تتيح له ظروفه ، يعرض ، من حيث لا يقصد ، للعوامل التي كونت شخصيته وربته . لأننا لا نتربى في المدارس فقط ، إذ تربينا أيضاً العائلة التي نشأنا في أحضانها الناعمة أو بين أشواكها الحسنة . كما تربينا الشارع الذي اختلطنا



المصطفى هنرى برجسون نقله إلى العربية الأستاذان سامى الدروبي وعبد الله عبد الدايم ( دار الكاتب المصرى )

احتل مركزاً كبيراً فى الفلسفة والأدب ، وصار من أمهات الكتب التى يرجع إليها . وأحببت الدار أن يكون نقل هذا الكتاب متقناً ، فعهدت فى ذلك إلى شابين هما الأستاذان سامى الدروبي وعبد الله عبد الدايم ، فاستطاعا أن يخرجوا هذا الكتاب الفرنسى القيم فى ثوب عربى كامل ، بحيث لا يفوت قارئ النسخة العربية أى شىء مما يتمتع به القارئ باللغة الفرنسية .  
وبذلك كسبت المكتبة العربية سفيراً هاماً يستفيد منه دارسو الفلسفة كما يستفيد منه رجال الأدب .

ليست بنا من حاجة إلى مقدمة هنرى برجسون الفيلسوف الفرنسى العظيم الذى صار له أثر كبير ومكانة فى البحوث الفلسفية الحاضرة . فهو يعد من أكبر الفلاسفة المعاصرين لهذا الزمن . وهو الفيلسوف الذى استطاع أن يسترعى الانظار فى فرنسا إلى الفلسفة ، فتقاطر التلاميذ كما تقاطر المفكرون ليصغوا إلى محاضراته . وهو الفيلسوف الذى تجدد فى كتبه الفلسفية وفى بريق أسلوبه وفى وضوحه ما جعل من الكتابة الفلسفية أدباً .  
وقد أرادت دار الكاتب المصرى أن تخرج كتابه فى « الضحك » ، وهو كتاب

عطر ودهان للاستاذ محمود تيمور بك ( مطبعة دارالاهلال )

للأمة بطابعها المستقل وسماتها التى ظلت لها على مر العصور .  
ومن الصور الطريفة صورته التى أسماها « سياسة العصا » وهى قصة أظهر فيها ما عرف عن الكاتب من مقدرة فى فن القصة .  
وذلك المقال القصير الطريف الذى اتخذ شكل رسالة بعنوان « ساعة لقلبك وساعة لربك » وتلك الآراء العديدة عن المرأة فى مقالات عدة . كل هذه يقرأ فى لذة كأنه قصة ، ويقرأ فى اهتمام لأنه يثير التفكير لدى القارئ .  
وهكذا ينتقل القارئ من زهرة إلى زهرة فى هذه المجموعة الطريفة وهو بين المتعة والفائدة فلا يستطيع أن يترك الكتاب حتى يأتى على آخره .

أخرجت دارالاهلال طبعة ثانية فريدة لهذا الكتاب من مؤلفات محمود تيمور بك الكاتب المصرى الكبير والقصصى البارع . وهو مجموعة مقالات جمعت فى طبعة أنيقة ، يميزت بجمال صورتها وإتقان طبعها ، وهى طبعة جديدة بقى الأستاذ محمود تيمور ككاتب وأديب .  
وهذه المجموعة هى عبارة عن مقالات وصور ، تعرض فيها الأستاذ لعدة موضوعات تمثل الاتجاهات الفكرية فى حياتنا العامة . فمن المقالات التى نرى الإشارة إليها مقال عن الرجعية الحميدة . وفيه أراد تيمور بك أن يثبت أنه قد يكون فى الرجعية جانب من الخير . ففيها المحافظة على القديم والمحافظة على التقاليد . فهو يدعو إلى عدم الفصل بين الماضى والحاضر ، والاحتفاظ



## كأس الحياة للأستاذ ابراهيم المصرى ( دار المعارف )

يسير في سرد حوادثه ، وكيف يختتم قصته وما يجب أن يرويه ويطلب فيه ، وما يجب أن يقتصد في روايته ، وما يجب أن يهمله أو يخفيه ، كل ذلك يتطلب روحاً خاصة ومهارة خاصة تكاد تكون موهبة لبعض الكتاب .

والأستاذ ابراهيم المصرى أحد الكتاب المصريين الذين أوتوا هذه الموهبة .

والجموعة التي بين أيدينا الآن ، وهي التي أسماها كأس الحياة ، تدل دلالة واضحة على نبوغه في القصة ، بحيث صار له ركن ثابت في تاريخ الأدب المعاصر .

وقد أسمى هذه المجموعة « كأس الحياة » ، مقتبساً هذه التسمية من عبارة طريفة لطاغور الشاعر الهندي حين قال : « ما شربت كأس الحياة مترعة إلا في دنيا القصص . » ولست أريد أن أعرض لما في هذه المجموعة من قصص بدیعة ، وليس من المستحب أن أروى ما أعجبنى منها إذاً الحديث في ذلك يطول ، فهذه القصص التحليلية تمثل حياة العواطف بمختلف أنواعها وضروبها ، لاسيما تلك العاطفة الكبرى المسيطرة على الحياة : عاطفة الحب التي اشترك فيها الرجل والمرأة . وهذه موضوعات استجلى الأستاذ ابراهيم المصرى خفاياها ومكنوناتها ، ووقف على سرها بعقله الثاقب وقوة الملاحظة وسعة الاطلاع ، كما عرف كيف يروض قلمه العربي حتى ليرسمها كما يرسم المصور بريشته .

لقد صار الأستاذ ابراهيم المصرى في طليعة أدبائنا الذين نبغوا في فن القصة . ولقد عالج ابراهيم المصرى جميع ألوان الأدب في كتبه العديدة . وأظهر تفوقاً في هذه الألوان . كتب نقداً فكان موفقاً ، وألف للمسرح فكان موفقاً ، ولكن بروزه الظاهر هو في هذا الفن الحديث الذي يبدو للناس على أنه أسهل الأعمال الأدبية ، ولكنه في الحقيقة من أصعبها إن لم يكن أصعبها . فإذا كان الشعر مقيد بقيود تفرض على الأديب أن يتبعها ويحذقها حتى يعد من الشعراء ، فإن فن القصة تقوم الصعوبة فيه على عدم وجود هذه القيود . فالكاتب القصصى حر في طريقة تناول موضوعه ، وهو حر في الاسترسال في موضوعه ، وحر في صياغة العبارة صياغة تجعلها من اللغة الرفيعة الكثيرة الصنعة ، أو إطلاق اللغة على سجيها بحيث تكون سهلة بسيطة ، أو إدخال عبارات تكاد تكون عامية بحيث لا يحتاج فهمها إلى مجهود .

وويل للأديب القصصى إذا ظن أن هذه الحرية مطلقة ، فما هذه الحرية إلا شرك نصب له قد يؤدي به إلى الاخفاق . فالقصة تقوم في الحقيقة على الاتزان والقصص في استعمال هذه الحرية ؛ فإذا حذق القصص ذلك بلغ المرتبة الفنية التي يجب عليه أن يبلغها ، وإلا أخفق في عمله وفنه . فهذا الاتزان الذي يملى عليه ، يعد اختيار موضوعه ، كيف يبتدىء وكيف



## ألمع ساعات المخرج في تاريخ الإنسانية للأستاذ محمد مفيد الشوباشي (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)

هذا الكتاب وضعه أديب من أمته الأدباء وأكثرهم اطلاعاً ، وإن لم يكن قد بلغ الشهرة التي يستحقها باطلاعهم وبآثاره . فالأستاذ مفيد الشوباشي شاعر من الشعراء القديرين وهو معروف في أوساط الشعراء ، وإن لم يجمع هذا الشعر فيما نذكر في ديوان وهو قصصي بارع من الطبقة الأولى . وهو كاتب اجتماعي ، وله اطلاع واسع في التاريخ . وليست المجموعة التي أخرجها اليوم للقراء إلا شيئاً ضئيلاً جداً بالنسبة لما نشرته له المجالات الأدبية في الزمن القريب والبعيد . ولكن في هذه المجموعة من المقالات ما يمكن أن يكون دليلاً ، لمن لم يسبق له معرفة الأديب ، على حسن أسلوبه وجمال تعبيره وتصويره ، كما يدل على الكتاب وضعه أديب من أمته الأدباء وأكثرهم اطلاعاً ، وإن لم يكن قد بلغ الشهرة التي يستحقها باطلاعهم وبآثاره . فالأستاذ مفيد الشوباشي شاعر من الشعراء القديرين وهو معروف في أوساط الشعراء ، وإن لم يجمع هذا الشعر فيما نذكر في ديوان وهو قصصي بارع من الطبقة الأولى . وهو كاتب اجتماعي ، وله اطلاع واسع في التاريخ . وليست المجموعة التي أخرجها اليوم للقراء إلا شيئاً ضئيلاً جداً بالنسبة لما نشرته له المجالات الأدبية في الزمن القريب والبعيد . ولكن في هذه المجموعة من المقالات ما يمكن أن يكون دليلاً ، لمن لم يسبق له معرفة الأديب ، على حسن أسلوبه وجمال تعبيره وتصويره ، كما يدل

على اطلاع واسع وخيال خصيب . فهو قد اختار في أكثر مقالات هذه المجموعة حوادث هامة في تاريخ الإنسانية ، ورسم لها صورة مفصلة وبارعة حقاً ، تدل براعة الأديب وبراعة المؤرخ . فصورة مثل الصورة الذي رسمها لكيلوياتره ، ووصف مثل وصفه لسقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين ، وسرد لكفاح بعثة سكوت في طريقها إلى القطب الجنوبي وهي أمثلة من صور عديدة ، تدل على أهمية الموضوعات الإنسانية التي عالجها الأستاذ مفيد الشوباشي في هذا الكتاب ، وهي تترك بلا ريب أثراً في نفوس القارئ ليس من المستطاع أن يحصى في سهولة .

## الحكم المصري في السردانة للدكتور محمد فؤاد شكرى ( دار الفكر العربى )

وضع الدكتور محمد فؤاد شكرى ، أستاذ التاريخ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، هذا الكتاب في موضوع حيوى لدى المصريين قاطبة لأنه موضوع يمت إلى السودان . فهو يتناول وصف الحكم المصري في السودان في الزمن الحديث أى من سنة ١٨٢٠ إلى سنة ١٨٨٥ . ونريد أن نقول إن المؤلف لم يقصد بهذا الكتاب غير استجلاء حقائق التاريخ ، فالموضوع لم يكتب للمجهور وميوله ، وإنما كتب للحقيقة التاريخية فقط وهي الحقيقة التي يستطيع الدكتور محمد فؤاد شكرى أن يخدمها أكثر من غيره ، لأنه من أقدر المؤرخين المصريين علماً

بتاريخ السودان ، وقد أنفق سنوات طويلة في البحث في هذا الموضوع والاطلاع على الوثائق الخاصة به . وهذا الكتاب هو إحدى ثمرات هذه الأبحاث الطويلة المستفيضة . فهذا الكتاب المدعوم بالوثائق والأسانيد والمراجع ، سيكون بلا شك عماد كل باحث عن تاريخ الحكم المصري في السودان وتفصيلاته . وهو يرسم صورة واضحة لهذا الحكم ، بعد أن استطاع المؤلف ببحوثه الطويلة ، أن يستعيد صورة هذه الفترة من التاريخ حتى لكأننا نعيش فيها ، ونسير مع حوادثها . كل هذا مع ثقتنا بأن الكاتب لم يضيف من عنده شيئاً ، ولم يزد على الحقيقة شيئاً .



## اللغة اليونانية المبسطة تأليف الأستاذ فرانك ملتون وترجمة الأستاذ أمين سلامه ( مكتبة النهضة )

أدب اليونان ستظهر له في القريب .  
وقد رأى أن يخرج كتابا ييسر تعلم اللغة  
اللاتينية ، ولكنه أثر النقل على التأليف  
فنقل كتاب الأستاذ فرانك ملتون وهو من  
خير الكتب المبسطة .  
والحقيقة أن هذه الجهود خليقة بأكرم  
من التشجيع . وقد صدق الأستاذ الدكتور  
طه حسين في مقدمته لهذا الكتاب حين قال :  
« إن صاحبه خليق لا أقول بالتشجيع بل  
بالتشجيع والثناء الكثير . فالذين صاحبوا  
نشأة الجامعة ونموها وما اختلف على حياتها  
من الأطوار في مصر ، يذكرون من غير  
شك أنه قد كان لمصر نصيبها من هذه  
الخصومة الخطيرة التي ثارت ، وما زالت  
ثائرة ، حول اللغة اللاتينية وحاجة الشباب  
المتعلمين إليها » .  
ولسنا نستطيع أن نقول خيراً من هذا القول .

توفر الأستاذ أمين سلامه في دراساته على  
تعلم اللاتينية والاعريقية ، ولكنه لم يقبل  
على هذه الدراسة لجرد نيل الأجازات  
الجامعية ، واكبر دليل على ذلك أنه لم  
ينقطع عن البحث في هاتين اللغتين اللتين  
هما أساس الثقافة الأوروبية العظيمة ، كما  
كانت اللغة اليونانية عاملاً هاماً في الثقافة  
العربية لحد كبير .  
وقد أراد الأستاذ أمين سلامه أن يخدم  
وطنه بدراساته ، فأسدى للوطن أجل  
خدمة ، إذ أخرج مع زميل هو الأستاذ  
صمويل كامل عبد السيد ، كتاباً في تعليم  
اللغة اليونانية . وهو كتاب ثمين حقاً ووحيد  
في بابيه بين المؤلفات الحديثة .  
ونقل الأستاذ أمين سلامه بعض  
الكتب والأشعار الخالدة في اللغة  
اليونانية ، وهو لا يزال ينقل كتباً من

## أغارير السحر للأستاذ على الجندي ( دار الفكر العربي )

هو أن صاحب هذا الديوان لم يقرض شعره  
لجود الصنعة ، وإنما قرض هذا الشعر ليغير  
به عن مجرى الحياة الحديثة ، وليصف به  
ألوان هذه الحياة .  
فهو رجل يعيش في عصره ، ورجل يحس  
بما يحيط به من متع الحياة وآلامها . وهو  
يعرف كيف يجعل من هذه المتع والآلام  
عبرة وموعظة ، ويعرف كيف يسجل  
الحوادث المختلفة التي تمر بها سواء أكانت  
أزمات نفسية أم أزمات اجتماعية . وهو في كل  
هذا يرسم صوراً رائعة في شعر متين رصين .

لئن كنا قد تأخرنا في الإشارة إلى هذا  
الديوان من الشعر الجيد ، فذلك لأننا كنا  
ننتظر أن يكتب عنه من هو أحق منا  
بتحليل الشعر العربي وفنونه والنظر في  
اتجاهاته . ولكننا بعد انتظار أقدمنا على  
الكتابة عن هذا الديوان ؛ لأننا استطعنا  
أن نتذوق روح هذا الشعر . وفي تذوق  
الروح عند الشاعر المطبوع يكون الناس  
سواء ، لا يتميز المختص بطرائق الشعر  
العربي والمتوفر على دراساته وغير المختص .  
وهذا التذوق يدل على شيء واحد ،



ذكرى الأمير شكيب أرسلان للأستاذ محمد علي الطاهر ( مطبعة عيسى البابي  
الخلي بالقاهرة )

والمسلمين في كافة بقاع الأرض ؛ فكان منعاه  
البهاغت في العام الماضي بعد عودته من  
منفاه إلى وطنه ببضعة أسابيع — رزءا فادحا  
لكل عربي وكل مسلم بين قوسى الأفق ؛  
فبكاه الباكون ورثاء الشعراء وأبنه المؤبنون  
ونفض كل قطر عربي للاحتفال بتأييده  
وتعداد مآثره وتخليد ذكره ؛ ورأى صفيه  
وصديقه الأستاذ محمد علي الطاهر عليه حقا  
أن يحفظ هذه القلائد المنظومة والمنشورة بين  
دفتى كتاب يجعله كالقدمة لكتاب ثان  
يقص فيه تاريخ الأمير الراحل ويصف  
حياته وجهاده ويسجل مآثره ورسائله  
ومراحل جهاده ؛ فكان هذا الكتاب الذى  
أعرضه اليوم ؛ وسيكون بعده الكتاب  
الثانى الذى وصفت . . .

إن ما استقصى الأستاذ الطاهر في هذا  
الكتاب مما قيل أو كتب عن الأمير بعد  
منعاه في شرق الأرض ومغربها لعمل جليل  
يستحق التنويه ، ونوع من الوفاء لاینهض  
لثله إلا قليل من أهل الوفاء !

أما الأمير شكيب رحمه الله فقد كان رجلا  
ملء سمع البلاد العربية وملء نفوس  
أهلها ، وقد عاش ما عاش من العمر المديد  
مجاهدا تتقاذفه البلاد ولا يكاد يستقر  
في وطن ، لم يقصر جهاده على بلد دون  
بلد من هذا الوطن العربى الأكبر ولا على  
فن دون آخر من فنون الجهاد ؛ فكان  
لبنانيا مع لبنان ومصرى مع مصر وسوريا  
مع سورية وفلسطينى يدافع عن بلاد القبلة  
الأولى ومغربيا مع المغاربة ومسلما واسع  
النفس حر الضمير مع الدولة العثمانية البائدة  
ومع الجمهورية التركية الحديثة ومع كل بلد  
إسلامى في المشرق والمغرب ؛ وكان إلى ذلك  
أديبا وعالما ومؤرخا لا يزال له بحث من  
أبحاث أهل الأدب والعلم والتاريخ في كل  
فن من فنون الأدب والعلم والتاريخ ؛  
وكان كاتبا شاعرا له لسان وبيان ورأى  
ومنطق ونفس واعية .

بكل ذلك — وكان بعضه كافيهِ — بلغ  
ما بلغ من المنزلة في نفوس المشارقة والمغاربة

تاريخ العرب العام تأليف ل . أ . سيدىو ، وترجمة الأستاذ عادل زعيتر  
( مكتبة عيسى البابي الخلي بالقاهرة )

هو أول ما ترجم الأستاذ عادل زعيتر من  
هذه الكتب لقراء العربية ولا هو آخرها ؛  
فقد ترجم قبل ذلك أكثر من كتاب  
لجوستاف لوبون وغيره من كبار الكتاب  
الفرنسيين ، وليست كتب « حضارة العرب »  
و « نابليون » و « ابن الانسان » أحقها  
 بالذكر ؛ وأحسبه ما يزال دائب الجهد على

لست من أهل الاختصاص في الحديث  
عما ينقل إلى العربية من مؤلفات الأوربيين ،  
ولكننى مع ذلك حقيق بأن أنوه بالمجهود  
الذى يبذله الأستاذ عادل لترجمة أمهات  
الكتب الفرنسية التى تتصل بحياة الأمة  
العربية من قريب أو من بعيد . . .  
وليس كتاب تاريخ العرب العام لسيدىو



إخراج طائفة أخرى من روائع المؤلفات الفرنسية التي يجسد الحاجة إليها قراء العربية .  
والأستاذ عادل زعتر محام نابه في فلسطين له في المحاماة شهرة ومكانة وعمل ضخم ، وقد كان حقيقا بذلك أن يقتصر على ما تفرض عليه مهنته من أسباب الغنى والجاه لولا إيمانه العميق بأن عليه حقا للامة العربية أن يسهم في نهضتها العلمية الراهنة بما يقدر وإن فاتته بذلك من المال والجاه ما كان أهلا لأن يكتسب في المحاماة ؛ فهو بما يبذل من الجهد والمال في ترجمة هذه الكتب وإخراجها هذا الاخراج الأنيق يضحى بالكثير ولا يكاد يحصل عوضا ؛ إذ كانت سوق الأدب أقل نفاقا ، ولكنه رجل يؤمن بالعلم !  
ذلك كتاب حقيق بأن يقتنيه كل قارئ عربي عن موضوع يعنى كل عربي أن يدرسه دراسة المعتر بمفاخر أسسه ، المعتد بنفسه في يومه وغده !

### المجمل في تاريخ لوبيا : من أقرم العصور الى العصر الحاضر تأليف الأديب اللوبي الأستاذ مصطفى عبد الله بعيو ( مطبعة رمسيس بالاسكندرية )

أعانت على إصدار هذا الكتاب ، الجمعية التاريخية لخريجي كلية الآداب بجامعة فاروق الأول ؛ وقدم له الأستاذ عبد الحميد العبادي بك عميد الكلية ؛ وهو كتاب يظهر في إبانته ؛ فان المطامع الأوربية الأمريكية التي تتجاذب هذا القطر العربي في هذه الأيام ، خليقة بأن تنبه الأمة العربية إلى أن تلتفت إلى هذا الجزء من الوطن العربي وتعرف عن ماضيه وحاضره ما يتيح لها أن تنهض بواجبها بازائه ، وأحسب أن المؤلف الأديب قد قصد إلى هذا الغرض حين أصدر كتابه في هذه الأيام ، وأهداه إلى مصر التي أظلمت بسماها وروته من نيلها وغذته بعلمها ؛ اعترافا بفضلها فيما يقول . فهو قد تخرج في كلية الآداب ، وجمع إلى دراسة التاريخ بها دراسة التربية وعلم النفس ؛ فأهدى إليها كتابه هذا اعترافا بجميلها ؛ على أن ما بين مصر ولوبيا من أواصر القربى والجوار والصهر والدين والشركة التاريخية منذ مئات السنين ، خليق بأن يجعل لهذا الكتاب الذي يفصل تاريخ لوبيا منذ أقدم العصور ، معنى آخر يحمل على العناية به وتقدير شأنه ؛ فاذا كان العرب في مختلف أقطارهم يحسون حاجة إلى معرفة تاريخ هذا القطر فان إحساس المصريين بهذه الحاجة أمس ، وهذا الكتاب لم ألزم ...  
حبذا احتذاء مثل هذا الجهد ؛ وما أجل أن نرى غدا مؤلفا تونسيا يقدم لآخوانه في العربية كتابا محققا عن تاريخ تونس ، وجزائريا يؤلف عن الجزائر ، ومراكشيا يكشف للمشاركة عن تاريخ مراكش ... حتى يعرف العرب بعضهم بعضا في هذه الفترة من فترات التنبه والوعى في هذا الوطن العربي الكبير !



## مصر والشام بين دولتين للأستاذ جمال الدين الشيال (دار الفكر العربي بالقاهرة)

بروحه ، فلا يفوته شيء مما يريد المؤرخ القاص أن يلقنه من حقائق التاريخ بأيسر وسيلة ومن أقصر السبل . على أنها إلى ذلك قصة قد استكملت عناصر الفن وارتسمت فيها صورة تشبه أن تكون من صور الحياة التي كان الناس يحيونها في ذلك التاريخ البعيد .

فمن شاء أن يقرأها قصة فقد وجد تسلياً ومتاعاً فيها ، وحصل إلى ذلك تاريخاً كان يريد تحصيله فتعوقه عن ذلك العوائق ، ومن شاء أن يقرأها تاريخاً لهذه الفترة من تاريخ مصر والشام فسيجد ما قصد إليه كاسلاً دون أن يجد في ذلك ضيقاً أو مللاً ؛ ثم هي مع ذلك خليقة بأن تشوقه إلى المزيد من تاريخ هذا العصر فتحمله على التماسه في مظانه من كتب التاريخ القديمة يقبل عليها مشوقاً وكان من قبل لا يكاد يجد عليها صبراً ؛ لكل ذلك قصد المؤلف وبلغ ما قصد!

وهذا كتاب آخر يهدف إلى ذلك الغرض فيقص قصة هذين القطرين المتجاورين في الفترة بين القرنين الخامس والسادس للهجرة ؛ وهي الفترة التي بدأت والدولة الفاطمية في مصر تحتضر ، ولم تنته حتى كانت دولة بني أيوب قد أخذت تبسط سلطانها من لوبيا إلى الموصل فلا تسمى بعد ذلك إلا سنوات حتى تنتظم مصر والشام وما يتاخهما من البلاد وتخلصهما من كيد الصليبيين وترد إليهما الاستقرار والطمأنينة والسلام . من حيث بدأت هذه الفترة أخذ الأستاذ الشيال يقص قصة يتسلسل بحوادثها مع التاريخ مرحلة مرحلة ، حتى ينتهي وصلاح الدين على كرسي الوزارة في القاهرة يعد عهده لتنفيذ السياسة التي رسمها للدولة الجديدة ؛ وفيما بين بداية القصة ونهايتها تتسلسل أحداث التاريخ على عينيه فيعيها وعى من يرى بعينه ويسمع بأذنيه ويعيش

## السل : عمرو الانساني للدكتور واصف كنعان (مطبعة كوستا تسوماس بالقاهرة)

عامية القراء من المعارف الصحية عن هذا الداء الوبيل ما يكف شره ويمنع انتشاره .

وإلى هذا القصد نحا الدكتور واصف بكتابه هذا مساهمة في الجهد الذي تبذله الحكومات العربية في هذه السنين لمكافحة الأدوية والعلل المتوطنة ؛ فهو كتاب للجماهير يقدم إليهم من الثقافة الصحية ما لا يجدون عنه غنى ، وإن فيه إلى ذلك لمباحث تهم الأطباء والمختصين وبعض القارئ على المؤسسات الاجتماعية .

وهذا كتاب آخر يضيف إلى الثقافة الصحية العامة كسباً جديداً ؛ وما أوجبنا إلى كثير من هذه الكتب التي تمنح عامة القراء في البلاد العربية مزيداً من الثقافة الصحية العامة وتكشف لهم عن الحقائق الصحية التي لا بد أن يعرفوها ليعيشوا أصحاء ويتوقوا أسباب المرض والعدوى . وفي بلاد الشرق الواسعة يجد السل مرعاه الخصب وتنتقل عدواه من صدر إلى صدر نتيجة لقلة أسباب المناعة والتوقي ؛ وفي مثل تلك الحال يجب أن يكون لدى



## أدب الرصافي نظم ودراسة للأستاذ مصطفى علي ( مكتبة المثنى ببغداد )

مات الرصافي الشاعر ؛ وليس الرصافي الشاعر شيئاً قليلاً في تاريخ الأدب العربي في هذا العصر ؛ وقد عنت طائفة من المعاصرين بسرد تاريخه والحديث عن أدبه ، وكان من أولئك أديب مصري في العراق ، هو الأستاذ بدوي أحمد طبانة ، أحد أساتذة دار المعلمين العالية ببغداد ، فأنشأ كتاباً سمعت به ولم أقف عليه ، للحديث عن حياة الرصافي وأدبه ؛ على أن بعض فصول مما نشر الأستاذ طبانة في كتابه لم تلق ارتياحاً من بعض تلامذة الرصافي وإخوانه ومحالطيه ، فنشبت في بعض مجلات العراق طائفة من المعارك الأدبية بين المؤلف وناقديه ، وكان من ناقديه مؤلف هذا الكتاب ؛ فمن مجموع مقالاته في نقد بعض ما ذهب إليه الأستاذ طبانة في كتابه

كان هذا الكتاب الذي نعرضه ... وقد تضمن الكتاب 'فصولاً ثلاثة : مقدمة ، وتعليقات ، وفصلاً ثالثاً هو صلب الكتاب ...

هو إذن حلقة من تلك السلسلة التي نطلب إلى أدياننا منذ بعيد أن يوجهوا إليها بعض نشاطهم لتأريخ هذا الجيل الأدبي الذي نعاصره قبل أن تنمحي الذكريات ويندثر التاريخ ويعود المعارف من أدياننا المعاصرين نكرات يكتنفهم الغموض فلا يكاد دارس أدبهم أن ينفذ إلى أسرار نفوسهم إلا قليلاً من قليل ومع الجهد والمشقة وتوقع الزلل . ومن هذه الناحية حسب ، أجد ما يحفزني إلى شكر المؤلف على العناية باخراج مثل هذا الكتاب .

محمد سعيد العمري



# في مجلات الشرق

من لبنان

الأديب العدد ٢ : ٧ ( فبراير ١٩٤٨ )

حديثه عن « منزلة الشعر بين الفنون »  
فيشر في هذا العدد من الأديب حلقة  
جديدة عن « اللون في الشعر » و « الوحدة  
الفنية » فيقرر أن « اللون » في الحياة يقوم  
بدور لا يستهان به ؛ فهو متعة للنظر يفسح  
القلب للتعبير عنها مجالا بين الفنون ؛ ثم  
يمضي في ضرب الأمثال من شعر القدامى  
والمحدثين ومن النثر أحيانا ؛ على « الألوان »  
في الشعر . فاذا فرغ من حديث الألوان  
مضى في حديثه الآخر عن « الوحدة الفنية »  
فيبري أن القصيدة كآثر فني ، صورة  
منتزعة من الحياة محدودة باطار ؛ ولذلك  
فالجامع الذي يجمع بين ألياتها يجب أن  
يتوحد في كل شيء على نحو ما ينبض فيها من  
صدق الشعور ؛ ويستشهد - فيما يستشهد  
به - للنماذج الموحدة المتساوقة المعاني مع  
حالة نفسية واحدة ، بأبيات الشاعر  
عبد الرحمن صدقي يرثى زوجته :

في هذا العدد فصل ممتع للآنسة سلوى  
روضة عن « فن التصوير عند اليونان » -  
وهي تعنى التصوير الزيتي ، فتمهد لحديثها  
بمقدمة عن الطبيعة اليونانية وأثرها في  
التوجيه الفني في اليونان ، ثم انتقلت إلى  
الحديث عن التاريخ اليوناني فأجلته في  
سطور ؛ ثم أخذت في الحديث عن الفن  
اليوناني في مجلته ، في البناء والهندسة  
والنحت - على اختلاف العصور ؛ وركزت  
البحث بعد ذلك في الحديث عن فن  
التصوير ، ففندت الرأي القائل بأن التصوير  
لم يكن شائعاً عند اليونان ، وخلصت من  
ذلك إلى الحديث عن أنواع التصوير عند  
اليونان ، وتطوره التاريخي ، وأشهر المصورين  
الذين انتهت إلينا آثارهم الفنية ، والتصوير  
على الآنية ؛ وقد زينت الآنسة بحثها بطائفة  
من الصور اليونانية .

ويؤالي الشاعر البحريني ابراهيم العريض

كان لي في أخريات العمر بيت فعدمته  
سنوات أربع ، أم كان ذا حلماً حلمته  
ليته طال ، ولو طال لما كنت سئمته  
زوجتي صنوي ، وما لي غيرها صنو علمته  
هي لم تنقم - على تقصّي - ولا شيء نقمته  
همها همي ، فلا تطعم إلا ما طمعته  
همنا الدرس ، وما تفهمه منه فهمته  
نظمت بالعطف والتفكير عيشي ونظمته  
وارتضينا من لقانا عوضاً عما حرمته



برهة ... وانتبه الدهر فعنى ما رسمته  
أترى الرضوان ذنباً أئتمته وأئتمته  
أحرام أن سعدنا ؟ أم خيال ما زعمته  
كل ما أعرف ... أنى كان لى بيت عدته !

### الطريق العدد ١ : ٧ (يناير ١٩٤٨)

الاتفاق « السرى » وأذاعوا نصوصه !  
ويضم الكاتب إلى « خاطرته » هذه  
خواطر أخرى من « مفكرته السوفياتية »  
أوحثها إليه زيارته منذ قريب لبلاد  
السوفيات ، إلى خواطر أخرى تمت إليها  
بسبب !...

وفي هذا العدد من « الطريق » قصيدة  
جيدة للشاعر نذير الحسامى عنوانها  
« معاهدة » يعنى بها المعاهدة العراقية  
البريطانية الأخيرة التى ماتت غداة  
مولدها ؛ وكأنما ألهم الشاعر بفطرته  
الصداقة ووعيه الوطنى ما آلت إليه هذه  
المعاهدة الميته قبل أن يحدث شئ بما كان ؛  
فقد كان نشر قصيدته مبكراً عن تلك  
الحوادث ... يقول :

فى هذه المجلة التقديمية تقرأ « خواطر  
عربى فى عالم جديد » بقلم الأستاذ رثيف  
خورى ، وهى تأملات ومطالعات ومشاهدات  
استخلصها من مفكرته « السوفياتية » كما  
يصفها . فى هذه الخواطر يتحدث عن شئ  
من أولية تاريخنا الحديث حين انسلخت  
بعض الأقطار العربية مختارة عن الدولة  
العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى لتنضم  
إلى صفوف الحلفاء الذين وعدوها بما وعدوا  
من أباطيلهم فى الوقت الذى كانوا يتفقون  
فيه فيما بينهم « سرّاً » على اقتسام هذه  
الأقطار بعد الحرب ؛ فلم يفصح مؤامراتهم  
هذه ويكشف عن نذالتهم إلا الروس  
حين ثاروا ثورتهم البلشفية سنة ١٩١٧  
وعفوا عما كانوا « موعودين به فى ذلك

وصفعتنى بالغش والخذلان  
كبشا يقدم فى وليمة جاني ؟  
لعصا تنير الدرب للحدثان ؟  
مهجاً بأغلال العذاب عوانى  
تذهب بشائك مذهب الرعيان  
هلا وعيت الحق فى هذياني  
وأشد منك ، الجمر فى بركاني !  
ويدها تقطر من دم القطعان  
فكلا كما بالشاة تأتمران  
ذئباً مع الذئب الكشر ، ثان !

يا سيدي الراعى ، أراك خدعتنى  
أهزأت بي يا سيدي فزعتنى  
أتقودنى بعصا الرعاة ، وإنها  
قد خنت يا راعى وليتك لم تخن  
يا سيدي ضللت فى المسعى ولم  
يا سيدي الراعى وأنت ممنوع  
غضبى الكبير ... أهد منك ضراوة  
أتمد كفك للعدو مصالحاً  
عاهدت سفاك النعاج على الوفا  
لو كنت أهلاً للمروعة لم تكن



## المسرة الجزء ١ ، ٢ : ٣٤ (يناير - فبراير ١٩٤٨)

في الجزء الأول من مجلة « المسرة » تقرأ بحثاً ممتعاً عن « حوران » لناسبة الحديث عن أبرشيته ، للأب أغناطيوس فرح البولسي ، وتجدر تيمنه في الجزء الثاني . وهو يتحدث في هذا البحث عن كل ما يتصل بهذه المدينة العريقة منذ أقدم العصور ، طبيعتها وموقعها وسكنها - على تعاقب القرون والأجيال - ووضعها السياسي منذ كانت ، وتاريخها في المسيحية ، وبعد الفتح العربي حين وليها من قبل الخليفة الثاني : مالك بن الحارث جد الأمراء الشهابيين الذي غلب الغساسنة في هذه المنطقة على أمرهم واستولى على ما كان تحت أيديهم من أرض البلقاء والشام . وثمة مقال بديع في الجزء الثاني ، للأستاذ عيسى اسكندر المعلوف عنوانه « بين رحلة ودمشق في القطار » يصف فيه كل ما تقع عليه العين في هذه المنطقة الخافلة بمناظرها وصورها وما تبعث من خواطر وذكريات تنظم الماضي والحاضر ؛ وهو فيما يصف من ذلك لا يكتفي بالنظرة

العابرة وتسجيل ما يرى ، بل يتبسط في الحديث والوصف من قريب ومن بعيد ، ملماً بتاريخ البقعة أو الأثر ويحل اسمه العربي ، أو الروماني ، أو العبراني ، ويذكر كل ما يتصل به مما وعته ذاكرته أو وقع عليه في مطالعته ، مع التحري والاستقصاء والضبط والابانة . وفي هذا الجزء مقال آخر عن الخزانة اليازجية ، يصف فيه الأب يوحنا الفاخوري البولسي المعجم الذي وضعه اللاهوتي العلامة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي بدعوة من مجلة « المقتطف » في سنة ١٨٨١ م أعجلته المنون عن نشره ، واسمه « الفرائد الحسان من قلائد اللسان » . وقد صور الكاتب صفحة من هذا المعجم ونشر فصولاً منها مقارنة بفصول أخرى من بعض المعاجم المتداولة . بحث طيب عن أثر مهم من آثار عالم من شيوخ اللغة في أوائل هذا القرن كان له فضل على كثير من المشتغلين باللغة والأدب حتى اليوم .

## من سوريا

## التمرد الإسلامي الأعداد ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ : ١٣ ( سنة ١٣٦٦ هـ )

صدرت هذه الأعداد جملة في غلاف واحد متضمنة بحثاً واحداً عنوانه « عبقرية الاسلام في التربية » وهي مباحث فلسفية نفسية في أصول التربية والتعليم في الاسلام ، تأليف محمود فهمي الاستانبولى . هو إذن كتيب في التربية الاسلامية يقع في ستين صفحة من القطع الكبير أثر

مؤلفه أن يكون أكثر تداولاً فنشر في هذه الحجة ليقوم لدى قرائها مقام أربعة أجزاء منها . وقد تضمن عدة مباحث مما يتصل بروح التربية وفن المعلم مستمدة من القرآن والسنة وما جرى عليه الأسلاف ومن وليهم في سياسة التعليم .



## من العراق

البيان الأعداد ٣٥-٣٩ : ٢ ، الممرى الأعداد ١١-١٤ : ٩ (ديسمبر ١٩٤٧)،

الميزان العددان ٢٧ ، ٢٨ : ٤ ( صفر ١٣٦٧ هـ )

منها بأعداد ؛ فانها لتضم مئات الصفحات  
لمئات الكتاب والشعراء والمحدثين في هذه  
الذكرى الطيبة من أهل المشرق والمغرب ؛  
ففيها لأهل مصر والشام والعراق وغيرها  
من بلاد العربية والاسلام ، قد اجتمعوا  
رأياً وعاطفة على الاحتفال بهذه الذكرى  
الباقية . على أن ثمة ظاهرة ينبغي أن أنوه  
بها حين أجهل الحديث عما ضمنت هذه المجلات  
من الشعر والنثر والأحاديث في هذا العام ؛  
هي أنك لا تكاد تظالع حديثاً أو شعراً  
من هذا المنظوم والمنثور إلا وجدت فيه صدى  
للعاطفة التي تلف العرب في هذا العام نحو  
فلسطين المنكودة والرغبة في انقاذها من  
مخالب الصهيونية وحبال الاستعمار ؛ وكانت  
ذكرى استشهاد الحسين رضوان الله عليه  
مناسبة طيبة للتحسيس إلى الجهاد  
والاستشهاد من أجل هذا البلد العربي  
المكافح بدمه وماله وبنيه في سبيل الخلاص  
والحرية !

هذه المجموعات الثلاث من المجلات  
الثلاث خاصة بذكرى أبي الشهداء الامام  
أبي عبدالله الحسين بن علي رضي الله عنهما ،  
للمناسبة ذكرى استشهاد الفاجع في العاشر  
من المحرم سنة ٦١ من الهجرة ؛ فلا يزال  
هذا التاريخ كل عام - منذ ألف وثلاثمائة  
سنة - موسماً للعظة والاعتبار يحتفل  
العراقيون فيه بذكرى الامام الشهيد ،  
بالكتب يصدرونها ، وبالمحاضرات يذيعونها  
وبالأحاديث يلقونها في الجامعات ، وبالاحتفالات  
يحتشد فيها الخلق من شتى نواحي العراق  
وما يتأخمها من البلاد ؛ وبالصحف والمجلات  
يخصصونها للحديث عن تلك الذكرى وتجميع  
أصدائها ويبحث تاريخها وتحليل حوادثها في  
كل عام على نمط جديد .

ومن أجل ذلك احتفلت هذه المجلات  
الثلاث - وهي كل ما وصل إلينا في هذا  
الشهر من صحف العراق - بهذه الذكرى  
فأصدرت أعدادها الخاصة هذه ، كل عدد



# اقتات



سوپرستیل

Superstyl

بایکار  
القتلم الذی  
لا یبارى

یبتاع فی المحلات الکبری  
المصدر: الکاتب المصری ش.م.م





أصدرت دار الطائفة المصرية بإشراف الدكتور طه حسين بك

## مدونة جوستينيان في الفقه الروماني

INSTITUTES DE JUSTINIEN

نقله إلى اللغة العربية معالي عبد العزيز فهمي باشا

٢٨ + ٤٠٩ صفحة

١٥٠ ثمن النسخة المجلدة

## العقيدة والشريعة في الاسلام

للمستشرق الكبير اجناس جولدتسيهر

نقله إلى اللغة العربية وعلق عليه محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، عبد العزيز عبد الحق المدرس بكلية الشريعة بالجامع الأزهر، على حسن عبد القادر دكتور في العلوم الإسلامية، مدير المركز الثقافي الإسلامي بلندن

١٦ + ٣٨٨ صفحة

٨٥ ثمن

## كتاب البخلاء للجاحظ

حقق نصه وعلق عليه طه الحاجري مدرس الأدب العربي بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

٥١ + ٤٦٨ صفحة

١٠٠ ثمن

## تأريخ قضاة الأندلس

ألفه الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي وسماه كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشره إ. ليقي پروفسور أستاذ اللغة والحضارة العربية بالسربون ومدير معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس

٢٤ + ٢٨٤ صفحة

٧٥ ثمن

## قطوف لعبد العزيز البشري

مع مقدمة لطف حسين

الجزء الأول ١٦ + ١٩٦ صفحة، الجزء الثاني ٨ + ١٩٦ صفحة ثمن الجزء ٢٠

## تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط

تأليف الأستاذ يوسف كرم مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

٨ + ٢٦٦ صفحة

٥٠ ثمن